الخطاب
والنظرية والإجراء

تأليف

أ.د. نعمان عبدالحميد بوقرة



المقدمة

تحليل الخطاب منظومة معرفية متداخلة ومتكاملة من المعارف والنظريات والإجراءات والوسائل والأهداف، تتوسل الخطاب موضوعا لها، فتبحث في تشكله، وكيفية ترابط أنساقه الدالة، وتفاعلها لتحقيق بنية متسقة داخليا، ومنسجمة مع السياق الاجتماعي، لتعكس في تعاضدها رؤية منشئ الخطاب للعالم، وتشي في بعض جوانبها بتصورات جمعية وفردية.

إن بنية الخطاب بوصفها الموضوع المركزي لتحليل الخطاب ليست مجرد متوالية قولية، أنجزها المخاطِب في الزمان والمكان والظروف المعينة، بل هي خطة قولية، تستهدف رؤية المخاطَب، ومواقفه المختلفة، تصويبا أو تأكيدا أو تغييرا، مما يجعل من البنية المنجزة فعلا قصديا ذا أبعاد نفسية واجتماعية متعددة الغايات، فيضحي القول مع هذه الخطة عملا مؤثرا ومدركا يمكن وصفه، وتحليله وتأويله، ولأجل تحقيق هذه الغاية قامت نظريات عديدة تبتغي وصل الملفوظ، وضبط آليات عمله، وتفسير قواعد اشتغاله في حدث التخاطب.

ولعل أهم تلك النظريات نظرية الفعل الكلامي (الأعمال اللغوية) في الإطار التداولي العام الذي أرسى دعاماته رواد الفلسفة التحليلية، والباحثون في مجال

السيميائيات واللسانيات الشكلية والوظيفية، أما النظرية الثانية فهي نظرية الحجاج في بعدها البلاغي العام، وما تطمح إليه من تحليل للأقوال الحجاجية والإقناعية، ولما كانت عرى التواصل قد قامت منذ زمن بعيد بين القول والفعل والتعبير والإقناع فقد اختارت الدراسة التي بين أيدينا أن تتمركز في نقطة تقاطع هذه المكونات، متخذة من الإجراء أداة برهانية على تكامل هذه الأنظار، وتفاعلها لفهم أكثر متانة للنصوص والخطابات المختلفة، لذا وسم الباحث الدراسة بـ: **"الخطاب والنظرية والإجراء"**، وقد أقام بنيانها على مدخل وخمسة مفاصل، يعنى أولها بتعريف الخطاب والعلم الدائر حوله، والتأصيل لنشأته، وأهم رؤاه ورواده.

بينما يشكل المفصل الثاني النظرية التداولية بتوجهاتها المختلفة، أما المفصل الثالث فقد تربع على مساحة نصية معتبرة من الدراسة، تناولنا فيه بالبسط والتحليل مظاهر النظرية الحجاجية، من نشأتها إلى أيامنا هذه، وأما المفاصل الثلاثة اللاحقة فقد جردت للمثال، طبق في أولها على **المقامة البشرية للهمذاني**، وفي ثانيها على نصوص إعلامية للكاتبة **السعودية رقية الهويريني** في صحيفة الجزيرة اليومية، وفي ثالثها على نصوص حضارية وتاريخية للمؤرخ **الجزائري أحمد توفيق المدني**، ثم ذيلت الدراسة بخاتمة جامعة لأهم النتائج.

هذا وتسعى الدراسة في بعد من أبعادها، إلى استحصال أهم الرؤى النظرية التي تعلق بها الباحث من خلال سنوات عديدة في القراءة والتجريب والتدريس لأمهات الكتب في اللسانيات والتداوليات وتحليل الخطاب والحجاج، وتقديمها في بنية كلية جامعة لا تستهدف خاصة الباحثين بقدر استهدافها للباحث المستجد في الجامعة، تعرفه بأصول العلم، ومنطلقاته وأهدافه، وآفاق البحث فيه، وأما بعدها الثاني فهو

التجريب، من خلال امتحان صدقية أهم المقولات النظرية على محك التطبيق، وتفعيل ذلك بقراءات تمهيدية لنصوص مختلفة زمانا ومكان ونسقا.

لقد اضطلعت هذه المقاربة بتحليل أنساق لسانية مختلفة بمنهج وصفي تحليلي، يقوم على استقطار المعنى من النسق، وتغريض المدلول الظاهر، بإعطائه تأويلا مناسبا من جهة العمل المنجز، لذلك اكتفى المشروع التمهيدي بنصوص ثلاث هي: **المقامة البشرية** ممثلة للخطاب السردي القديم، والخطاب الإعلامي عند **رقية الهويريني** من خلال نصوص مختارة، والخطاب الحضاري في نصوص مختارة من آثار **أحمد توفيق المدني** المؤرخ الجزائري.

وتدعوني أسئلة ضمنية عديدة قد تخطر على ذهن القارئ إلى الإجابة عنها افتراضا بأن هذا المشروع يتنزل في سياق تحليلي شامل عرضت في بعض محطاته السابقة زمانا ومكانا إلى تحليل الخطاب الشعري القديم والحديث، وتحليل الرواية والقصة القصيرة وتحليل الخطاب الإشهاري والكاريكاتوري وأنواع أخرى، وكان علينا أن نمضي قدما في توسيع مجال التحليل لاستكمال هذا المشروع، غير إن الظروف حالت دون تمام ذلك، وهي ظروف تعيق أغلب الباحثين عن أداء مهام البحث، مع المواصلة في جهود التدريس الجامعي، وأعبائه الثانوية.

لا يفوت الباحث أن يشير في هذا السياق إلى أهم المراجع التي اعتمدها بشكل رئيس بخاصة في بناء صرح التصور النظري، فالبحث مدين إلى كتاب **"الحجاج، مفهومه ومجالاته"** لمجموعة من الباحثين، بتنسيق وجمع حافيظ علوي، وكتاب **"أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"** بإشراف حمادي صمود، ودراسة **"الحجاج بين المنوال والمثال"** لعلي الشبعان و **"أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية"** لمحمد الشاوش، و**الحجاج في للغة** لأبي بكر العزاوي ودراسة

الحجاج والاستدلال الحجاجي لحبيب أعراب و**الحجاج في البلاغة المعاصرة** لمحمد الأمين الطلبة وكتاب **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام** لطه عبد الرحمن، وغيرها من الدراسات العربية السباقة في هذا المجال.

لقد حرص البحث على التنويه بها في السياقات المناسبة، كما انتفع البحث بمصادر تأسيسية للمفاهيم باللغـة الأجنبية (الفرنسية)، والتي تعد في الحقيقة مفاتيح أساسة للبحث في النظريات اللسانية والتداولية والحجاجية، مثل **المعجم الموسوعي للتداولية** لجاك موشلار وآن روبول، و**الحجاج في التواصل** لبروتون وغيرها، وقد أثبت البحث أغلبها في قائمة المصادر والمراجع.

هـذا ويأمل الباحث أن يجـد القارئ العربي في هـذا المصنف بغيته لفهم أهم الـرؤى النظرية في حقل تحليل الخطاب، في سياق تبسيط المفاهيم، وعرضها في كتابة تمهيدية عامة.

وبالله التوفيق

كلمة الكتاب

"لقد درست اللغة في ذاتها بكثير من العمق، وهي اليوم
ينبغي أن تدرس من أجل حقيقة أخرى هي حقيقتنا
نحن كأشخاص نتكلم"

ج.أوستين

مدخل إلى نظرية تحليل الخطاب في الفكر اللساني الحديث

توطئة

إذا كانت العلوم اللغوية المختلفة تعنى بوصف النصوص، فإن ذلك يتم طبقا لمناهجها، ووسائلها وأهدافها المختلفة، فقد تولت البلاغة ونقد الشعر بمختلف اتجاهاته دراسة الأبنية اللسانية الخاصة والوظائف الجمالية والبرهانية للنصوص والأقوال الأدبية، فقد اهتم البلاغيون - مثلا - بدراسة بعض المظاهر الخطابية قصد إبراز وعيهم بتماسك الخطاب، وانسجام بنيتيه الشكلية والدلالية مع بنية العالم المعبر عنه، فالبلاغة تسعى إلى الرقي بالخطاب إلى مستوى تعبيري قادر على شدّ انتباه المتلقي والتأثير فيه.

لقد انطلقت مباحث عددية في علم البلاغة من منطلق المعالجة النصية لظواهر الإيجاز والفصل والوصل، بل نظرية النظم نفسها أكدت النّظام والاتساق بين الكلمات والعبارات والدلالات الكلية والخاصة، يقول **الجرجاني** (ت٤٧١هـ) في هذا السياق **"وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها في الكلام حسب ترتيبها في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه ببعض،**

وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء كيف جاء واتّفق. وكذلك كان عندهم نظير للنسيج والتأليف والصياغة والبناء (...) وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض (...)، والفائدة في معرفة هذا الفرق أنك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت على معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل (...)، واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك، علمت علما، لا يعترضه شك، أن لا نظم في الكلم، ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه سبب من تلك (...)، وننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله"[١].

كما أسهم المفسرون أيضا بنصيب وافر في كشف التماسك الدلالي للنص القرآني، في ضوء مفهوم المناسبة بين الآيات والسّور، وأما في النظر اللغوي الحديث فقد حملت اللسانيات على عاتقها مهمة وصف وتحليل الأبنية النحوية التي يقوم عليها النص ممثلة في الجمل، بالإضافة إلى الاهتمام بالشروط والخواص التي تتصل بالسياقات المختلفة التي تستعمل فيها التراكيب.

إن المتتبع لمسيرة اللسانيات، وتطورها النظري والمنهجي يستشف تلك الرغبة في تجاوز البنية اللغوية المغلقة إلى فضائها التداولي والسياقي، والذي يضمن إدراكا لأبعاد التبليغ الأدبي في ضوء التبليغ اللغوي العام، وكذلك كان اهتمام كل من علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التربية متوجها نحو الطرق المختلفة لفهم النصوص، وكيفية استيعابها وإعادة صياغتها، إذ يقوم علم النفس الاجتماعي وعلوم الاتصال

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي. مكتبة القاهرة، ١٩٨٠، ص ٩٨-١٠٢.

الحديثة – مثلا – بالبحث عن التأثيرات التي تحدثها الأبنية اللغوية للنصوص على آراء وسلوك المتلقين وطرق تفاعلها لتحديد الأشكال النصية للتواصل في مختلف المواقف.

في سياق مقابل اتجهت النظرية النقدية إلى استثمار الأنظار النفسية المختلفة من سلوكية وتحليل استبطاني و**جشطلتي** في تحليل الأبنية اللغوية الظاهرة والكامنة في الخطاب الأدبي، وإذا كانت هذه العلوم المختلفة تتفق في فكرة المادة الأساسية التي يبنى عليها البحث والتحليل والفهم، ألاّ وهي "النصوص"، إلاّ أنها تختلف في تحليلها وكيفية توظيفها.

إن التطور الذي حدث في العقدين الأخيرين من هذا القرن، هو الذي أدى إلى أن تصبح مشكلات تحليل النصوص وأهدافها في فروع علمية مختلفة[٢]، موضوعا لدراسة متكاملة شكلت مجالا معرفيا عرف بـ **"لسانيات النص"** أو **لسانيات الخطاب** "Linguistique textuelle"، فشرع الدارسون منذ فترة مبكرة من القرن العشرين في التدرج نحو دراسة الخطاب الذي يظل من هذا المنظور الأولى بالعناية من أي نسق آخر ينتجه فعل التلفظ.

١ – لسانيات الخطاب، لحظة التأسيس

كان لنشأة اللسانيات على يد اللغوي السويسري **"فردينان دي سوسير"** (F.D.Saussure)[٣] أثر كبير في تطور مناهج لغوية ونقدية تعنى ببنية النص ذاته وبمعايير

---

(٢) صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، الشركة العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٦، ص ٣١٩

(٣) لقد حظيت اللغة بنصيب وافر من الدراسة منذ القديم، لإدراك الإنسان منذ الأزل لأهميتها القصوى في حياته الفكرية والشعورية، فهي وسيلته الفضلى في التواصل مع بني جنسه، وأداته المثلى لتصور العالم واختزال موجوداته في أشكال علامية ما تلبث أن تترسّخ في عقله الجمعي

بنائه، في ضوء رؤية وصفية آنية تستبعد مؤقتا الدراسة التاريخية، وتعلن مبدئيا عدم وثوقية نتائجها في ضل غياب وصف ممعن للحدث اللغوي في لحظته الراهنة(٤).

لقد كان لتفريقه بين اللغة (Langue) والكلام (Parole) أثر مهم في توجيه البحث نحو العناية بالنسق الثابت، والبنية المغلقة، وتحليل النصوص الأدبية من الداخل، من خلال وصف العلاقات النسقية التي تربط بين وحدات اللغة في مستوياتها المختلفة(٥)، وفي تركيز البحث على المقومات الشكلية التي ينهض عليها أي عمل لغوي بذاته، وكانت رؤيته منطلقا لأعمال اتجاهات لغوية ونقدية وأسلوبية متعددة لعل أبرزها في أوربا حلقة "كوبنهاجن" بزعامة **بروندال وهيلمسليف**، وحلقة "براغ" بريادة **رومان ياكبسون**(٦) الذي أكد في سياق حديثه عن الشعرية بوصفها نظرية في تحليل بنية النص الأدبي إلى ضرورة تجاوز القصور التحليلي الذي تميزت به التحاليل البنوية(٧) التي

بفضل الشيوع والتداول القصدي، وبتطور الفكر الإنساني وازدهار الحياة الحضارية تطورت الأفكار الباحثة في هوية اللغة ووظيفتها وأنساقها الصوتية والتركيبية والمعجمية والدلالية، فعرف تاريخ اللغة نظريات شتى تمثل حلقات تطور المعرفة اللسانية إلى حصول استقرار نسبي لها اليوم، في اللسانيات النظرية التي أرسى دعائمها **سوسير** (F.D.Saussure) وتلامذته في أوروبا و**بلومفيلد** (bloomfild) وتلامذته في أمريكا. عن هذا المشغل التأريخي يمكن مراجعة Bertil.Malmberg, les nouvelles tendances de la linguistique, presses universitaires de France, 1972,p 241.

(٤) F.De.saussure , cours de linguistique generale ,Payot.1983, p128

(٥) op .cit,p78

(٦) محمد حماسة عبد اللطيف، **الإبداع الموازي – التحليل النصي للشعر**– دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١، "ص ٣٤". وانظر حشرا لهذا المعنى التأريخي R.H.Robins,Breve histoire de linguistique de Platon a Chomsky,pp103.

(٧) يقال بنية وبنيوي وبنوي على زنة قريش وقريشي وقرشي.

توقفت عند حدود الجملة مع أن النص ليس مجرد جملة ممتدة كما حلى لبعض النحويين وسمه[٨].

ناهيك عن جهود الشكلانيين الروس التي انصبت جميعها في مصب العناية بالأثر الأدبي من حيث هو نظام نصي تتفاعل فيه الأنساق الخطابية والاجتماعية محققة القيمة الجمالية، وإن كان منهجهم الشكلاني واضح المعالم في ترسم خطى الهيكل والإطار الذي تنتظم به وفيه العلامة اللغوية بوصفها اختزالا للحقائق والقيم الجمعية.

إن تطور العناية بالنص من ناحية قواعده الشكلية التي تؤشر لسنن انتظامه حفز على نشوء ما عرف بنحو النص (La Gramaire du texte) في أكثر من مكان وبأكثر من صورة، تتنازعه أهواء مدرسية متباينة أحيانا في خططها النظرية الكبرى، ومتوافقة أحيانا في أصولها المعرفية والمنهجية مع اختلافات إجرائية يكشفها الانتساب إلى الاتجاه الألماني أو الفرنسي أو الأمريكي، وما يمكن الإقرار به مبدئيا أن **نحو النص** اتجاه جديد في دراسة تماسك النـص، ناشئ في رحـم البنيوية الوصفية الغربية بفرعيها الأوربي والأمريكي، ومتخلق من مادتها الشكلية، بخاصة التوجه المدرسي الذي اختط معالمه الأولى "ز. هاريس"[٩] (Z.Harris) في بحث اكتسب أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات

---

(٨) A.J.Michel , linguistique textuelle mdes genres de discourse aux texts mpAris m Nathan, 1999, p 25-26.

(٩) يكاد يجمع كل المتحدثين عن الخطاب وتحليل الخطاب على ريادة ز. هاريس في هذا المضمار، فهو أول لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني ليتعدى الجملة إلى الخطاب، محمد الشاوش، **أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية "تأسيس نحو النص"**، المجلد الأول المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠١ "ص ٣٨" وسعيد يقطين، **تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير)**، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٩٩٧، "ص ١٧"

الحديثة فيما بعد، يحمل عنوان "**تحليل الخطاب**"، وقد نشر هذا البحث لأول مرة سنة ١٩٥٢م في مجلة Languages (n° 13 mars 1969).

لقد كان **هاريس** أول لساني يعدّ الخطاب موضوعا شرعيا للدرس اللساني، كما قدم منهجا لتحليل الخطاب المترابط، واهتم بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص، والروابط بين النص وسياقه الاجتماعي(١٠)، مستخدما إجراءات اللسانيات الوصفية بهدف اكتشاف بنية النص، ولكي يتحقق هذا الهدف فإنه لابدّ من تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية الوصفية والسلوكية وهما في نظره(١١):

أولا: قصر الدراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة، إذ لابد من تجـاوز ذلك إلى مـا هـو خارج الجملة.

ثانيا: الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي، مما يحول دون الفهم الصحيح، ومن ثم اعتمد منهجه في تحليل الخطاب ركيزتين هما: العلاقة التوزيعية بين الجمل، والربط بين اللغة والموقف الاجتماعي، مؤكدا أنه بالإمكان تصور تحليل الخطاب انطلاقا من ضربين من المسائل هما في الحقيقة أمران مترابطان؛ أما الأول فيتمثل في مواصلة الدراسة اللّسانية الوصفية بتجاوز حدود الجملة الواحدة في نفس الوقت، وأمّا الثاني فيتعلق بالعلاقة بين الثقافة واللغة(١٢).

---

(١٠) صبحي إبراهيم الفقي، **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية**، ج١، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠، "ص ٢٣"

(١١) جميل عبد المجيد، **البديع بين البلاغة واللسانيات النصية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، "ص ٦٥"

(١٢) محمد الشاوش، **أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية**، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، سنة ٢٠٠١، ص٣٨-٣٩.

شهدت اللسانيات منذ منتصف الستينات في أوربا ومناطق أخـرى من العالم توجها قويا نحو الاعتراف بنحو النص بديلا موثوقا بمنهجيته التحليلية لنحو الجملة، وفتحت للدرس اللساني منافذ كان لها أبعد الأثر في دراسة اللغة ووظائفها النفسانية والاجتماعية والفنية والإعلامية[١٣]؟.

لقد كان تصور **هاريس** لما ينبغي أن يعتد به التحليل اللغوي الشكلي للخطاب فاتحة خير للدراسات النصية الغربية، إذ سرعان ما أعلن بعض الدارسين الأوفياء للبنوية انزعاجهم من صورنة الشكل اللغوي، والبحث عن قيمة له خارج المعطى السياقي، وقد تمثل هذا التبرم العلمي لسانيون كثر منهم **فيرث** (Firth) و**هايمز** (Himse)[١٤] و**أوستن** (Austine) و**غرايس** (Grice)[١٥].

كما ظهرت دراسات مهمة انتحت منحى تطبيقيا يعرض لسمة التماسك النصي في نظام لغوي بعينه بخاصة ما قدمه **هاليداي** (M. Halliday)، و**رقية حسن** (Ruqaiya Hasan) في كتابهما cohésion in English، (الاتساق في اللغة الانجليزية) سنة ١٩٨٦، وما قدمه أيضا اللغوي الهولندي **"تون فان ديك"** (T. Van. Dick) في كتابين له أولهما (some expects of texte grammer) سنة ١٩٧٢، (بعض وجوه نحو النص)، والثاني

---

(١٣) سعد مصلوح، **"نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية"**، مجلة فصول، المجلد العاشر، العدد١-٢، سنة ١٩٩١، ص١٥٣.

(١٤) كان لهذا اللغوي دور بارز في تأكيد العناية بالمقام، ودراسة مقاصد المتكلمين باعتبارها أهم محدد للدلالة، وكيفية تعامل المستقبلين للرسالة اللغوية، ولمزيد من التوسع حول التصور النظري الذي تبناه هايمز يمكن الرجوع إلى Hymes .D,modele pour l interaction du langage et de la vie sociale min Etudes de linguistique appliqué ,Didier ,1980, p130-133.

(١٥) Sarfati,G.E, Elements d analyse du discourse ,Paris ,ed Nathan, p12-13

(Text and context) سنة ١٩٧٧م أو (النص والسياق)[16]، وقد سعى في هذين الكتابين إلى تبيان أوجه عـدم كفاية نحـو الجملة لوصف ظواهر تتجاوز حـدود الجملة.

غير أن ذلك لا يعني رفض مقولات نحو الجملة أو التقليل من أهميتها وقيمتها أو التشكيك في صحتها، فبالرغم من أشكـال النقـد التي وجـهت إلى نحـو الجـملة لا تعني أنه لم يعد له قيمة، وأنه قد عفا عليه الزمن، وأن كل هذا التراث النحوي الضخم السابق لأجيال متعددة لم يعد له مكان، فقد كان التراث النحوي السابق بكل ما يضمه من تصورات ومفاهيم وقواعد ووصف وتحليل الأساس الفعلي الذي بنيت عليه هذه الاتجاهات النصّية.

إن الأمر بالنسبة إلى **"فان ديك"** وغيره من علماء النص يمكن أن يتحدد في أنه قد تحتم بعد إدخال عناصر دلالية وتداولية إلى الوصف والتحليل اللغويين أن يتغير الإطار الأساس الذي يضم الجملة، لأنّ الحاجة أصبحت ماسة إلى وضع مفاهيم ومقولات جديدة تضم عناصر لغوية وغير لغوية، لم تجد مكانا متسعا في نحو الجملة[17]، فهذا الإطار لم يعد كافيا لاستيعاب العناصر السابقة، بخاصة أنه لم يعد ينظر إليه من حيث كونه وحدة أساسة للوصف النحوي بل عدّ النص بأكمله - على الرغم من الاختلاف الشديد حول مفهومه - وحدّة أساسة لا تستوجب تحولا كمّيا في المعايير.

إن هذا الإطـار الموسع يدفع إلى تغير كيفي، وبغض النـظر عن طبيعة هذه الإسهامات فإن الأكيد أنه حصل شكل من الإجماع على ضرورة التغيير وفق منهجية

---

(١٦) سعيد حسن بجيري، **علم لغة النص "المفاهيم والاتجاهات"**، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٦، "ص و١٣٤و ٢١٨" وظواهر **تركيبية في مقاسات أبي حيان التوحيدي، دراسة في العلاقات بين البنية والدلالة**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٩٥، "ص ٢٣٧"

(١٧) فان ديك، **النص بنياته ووظائفه**، ترجمة محمد العمري، ص٥٨.

لا تغفل الجملة ولكنها لا تعدها أكبر وحدة قابلة للتحليل اللساني، بل تنظر إليها من زاوية علاقاتها ببقية الجمل الأخرى المكونة للنص، بالإضافة إلى علاقاتها بالسياق الذي أنتجت فيه، وبمنتجها وبمستقبلها.

كما تناول "**براون ويول**" Browan et yole سنة **١٩٨٣** موضوعات متعددة تتصل ببناء الخطاب وانسجامه والأعراف التداولية التي يقوم عليها، إلى جانب مسألة الفهم النصي في كتابهما تحليل الخطاب Analyse de discours، كما تعد نظرية الحديث التي وطّأ لها الفرنسي **إميل بنفنيست** ركنا مهما في لسانيات النص بوصفها تمظهرا للسانيات التلفظ عنده.

لقد ربط هذا اللغوي اللغة بالثقافة والشخصية محددا طبيعة كونها ممارسة اجتماعية تخلق التصور الذهني الخاص والجمعي، ومحاولة الاقتراب إلى حياض الدلالة فيها مرتهن بمدى التعاون الذي يبديه المحلل مع السياق الاجتماعي الذي تختزله فيه اللغة بوصفها منظومة من الملفوظات والخطابات الفاعلة(١٨).

يرى **روبيرت دي بوجراند** (R.ebougrand) أن اللسانيات مطالبة بضرورة متابعة الأنشطة الإنسانية في التخاطب إذ إن جوهر اللغة الطبيعية هو النشاط الإنساني ليكون مفهوما ومقبولا من لدن الآخر في اتصال مزدوج، وهذان المتخاطبان وعلاقة كل منهما بالآخر لا ينبغي أن ينسيا أبدا إذا أردنا فهم طبيعة اللغة ووظيفتها الاجتماعية(١٩).

في هذا السياق التفاعلي للغة تتنزل التصورات التداولية والوظيفية برمتها، فقد نعى التداوليون بالرغم من عدم إنكارهم لأهمية التحليل اللساني الشكلي على البنويين

---

(١٨) E.Benveniste, Problemes de linguistique Generale ,ed,Gallimard, p16

(١٩) دي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة تمام حسان، القاهرة: عالم الكتب، ط١، ١٩٩٨ ص ١٢٦. وانظر هذا المعنى في سعيد يقطين، **انفتاح النص الروائي**، ص١٦.

تقصيرهم في الاحتفاء بالمقومات السياقية والحالية التي تسيج الخطاب بالبعد النفسي والاجتماعي والثقافي، هذا البعد المركب بطبيعته اللسانية، وتعدد أوجهه يمثل المقصد الأسنى في تحرير الفعل المنجز بالقول من الزاوية التداولية.

كما إن تحليل الممارسة الفعلية للغة في التخاطب هو الضامن الوحيد للحصول على مغزى وغرض الكلام، فليست عملية التواصل مجرد اتصال عفوي سلبي بين متكلم ومستمع، بل هي عملية ذهنية معقدة تتداخل فيها أنساق معرفية واجتماعية وثقافية ولغوية غير متجانسة في الأساس[٢٠] تبحث لها عن تجانس في أسلوب تلقي المتخاطبين للعلامة اللغوية بكل إحالاتها الداخلية والخارجية، وبكل انتظاماتها الفردية والتركيبية مادامت العلامة اللسانية غير مقيدة بشكل أو معنى معين[٢١].

٢- الأسس الإبستمولوجية لنظريات لسانيات الخطاب

يعد الدارسون لسانيات الخطاب/ النص[٢٢] حلقة من حلقات التطور الموضوعي والمنهجي في نظرية تحليل الخطاب، ضمن معرفة كلية وعامة هي اللسانيات، فنشأتها، أي لسانيات الخطاب/ النص مدينة للنحو التحويلي، والذي أسهم في الانتقال من بنية

---

(٢٠) Saussure, Cours de Linguistique Generale, p38

(٢١) عن هذا التصور التداولي، ومشاغله التحليلية للفعل الكلامي يمكن الرجوع توسعا إلى المراجع التالية: Benveniste , problemes de linguistique generale , p 271 et encore Ducrot ,O.,dire et ne pas dire ,ParisHerman , p 1972 ,p 4-24et Reboul- Moeschler, pragmatique du discourse de l interpretation de l enonce a linterpretation du discourse ,Paris , Armand Colin, .1998, p13-14

(٢٢) نستعمل في هذه الدراسة مصطلح نحو النص مرادفا لمصطلح لسانيات النص ولسانيات الخطاب بدافع تبسيطي بحت.

الجملة ومكوناتها القاعدية إلى البحث المنظم في العلاقات بين الجمل في بنية أعلى، وأكثر تجريدا يمثلها النص.

هذا ما حرص على التنبيه إليه الأمريكي **هاريس** (Z.Haris) في كتابه **تحليل الخطاب**[٢٣]، وبالرغم من كونه معنيا بدراسة الجملة وتوصيف مكوناتها، إلا أنه حثّ على ضرورة دراسة العلاقات النحوية بين الجمل ضمن مفهوم جذري في اللسانيات الشكلية (الوصفية) هو "التحويل"، إلا أن الفارق المميز بين نظرة هاريس (Z.Haris) هذه ورؤية **فان ديك** (V.Dijk) في كتابه النص والسياق، وهي رؤية حديثة وناضجة منهجيا وأكثر شمولية من سابقتها يبين شمول الوصف النحوي لهذه العلاقات في المستويين السطحي والعميق بدون الاقتصار على التغيرات الطارئة على البنية الظاهرة كما يقرها التحويليون.

وفي هذا الصدد يحرص **فان ديك** على ضرورة رعاية الارتباط المنطقي في البحث عن اتساق النصوص وانسجامها[٢٤]، والحقيقة إن **فان ديك** في ثورته على نحو الجملة ينطلق من مقدمة مفادها ضرورة إعادة بناء اللسانيات بناء سليما يعيد الأمور إلى نصابها القويم، فمادام التبليغ اللساني لا يقوم إلا في الممارسة التخاطبية عن طريق إنجاز النصوص، فإن اللسانيات يجب أن تتخذ من النص أو الخطاب موضوعا أساسيا لها.

لذا يمكن تعريفها بأنها العلم **الذي يدرس النصوص في واقعها التخاطبي دراسة علمية موضوعية**، وهذا يعني أننا سنرفض تلك الأطروحة التقليدية التي تجعل من نحو

---

(٢٣) سعد مصلوح، "**العربية من نحو الجملة إلى نحو النص**" (الكويت، الكتاب التذكاري، جامعة الكويت، كلية الآداب إعداد وديعة طه نجم وعبده بدوي، ١٩٨٩)، ص٤٠٧-٤٠٦.

(٢٤) محمد خطابي، **لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب**، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، سنة ٢٠٠١، ص٣٤.

النص مجرد تابع توسعي لنحو الجملة فنحن أمام رؤيتين مختلفتين مستقلتين، ولعل هذا التوجه هو الذي أكده فيما بعد ج. م. آدام (J.M.Adam) أحد رواد الاتجاه اللساني النصي في فرنسا في كتابه عن **مبادئ اللسانيات النصية** حين قرر كون النص إنتاجا مترابطا ومتسقا ومنسجما، وليس رصفا اعتباطيا للكلمات والجمل وأشباه الجمل والأعمال اللغوية[٢٥].

إن شدة ارتباط اللسانيات النصية في المنظور الأمريكي بالنحو التحويلي يمكن القول بأن الراغب في دراسة الكفاءة اللسانية، وأهمية اللغة من حيث هي فعل وممارسة يحتاج إلى معرفة نظرية **تشومسكيي** (TChomesky) اللسانية وأبعادها الوصفية والتحليلية من خلال تركيزها في الوصف العلمي على العلاقة بين التركيب اللغوي والخصائص الفطرية لعمليتي التفكير والكلام[٢٦].

كما يقدم الأنموذج التوليدي تصورا لمبادئ صياغة الجمل وتفسيرها مما يسهل على اللساني مهمة وصف جميع الملفوظات الممكنة المألوف منها والغريب، وفهما وإمكان الحكم عليها بالصحة أو الخطأ.

إن التأثير المنهجي والنظري لهذه النظرية في لسانيات الخطاب ترك انطباعا سلبيا لدى البعض فراحوا ينفون الحاجة إلى هذا العلم ما دام يستمد نظرياته وإجراءاته من اللسانيات التوليدية التحويلية، والتي هي لسانيات جملية بالدرجة الأولى[٢٧].

---

(٢٥) J. M. Adam, elements de linguistique textuelle (theorie et pratique de l analyse textuelle, Mardaga, 1990) .p112. "le texte est un produit connexe, cohesif, coherent et non pas une juxposition aleatoire de mots , phrases , proposition ,ou actes de parole"

(٢٦) صبري إبراهيم السيد، **تشومسكي فكره اللغوي وآراء النقاد فيه**، القاهرة، سنة ١٩٨٩، ص٧٣.

(٢٧) سعيد حسن بحيري، **علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات**، ص٥٢، وانظر حلمي خليل، **دراسات في اللسانيات التطبيقية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص٥٥ و٥٦.

وبالرغم من حداثة نحو النص إلا أن الدارسين في الشرق والغرب يولونه أهمية بارزة لقدرة نماذجه التحليلية على استنطاق النصوص من حيث تكوينها البنيوي والوظيفي والغرضي، فإجراءاته التحليلية تجمع بين الوصف الفونولوجي والمورفولوجي والتركيبي والدلالي والمنطقي والنفسي والاجتماعي والثقافي بشكل عام، وهذه الإجراءات من شأنها أن تعزز إدراك المتلقي المؤول لتماسك النص وترابطه بحسب رأي **جان كوهين**(٢٨).

٣- المصطلح النصي وازدحام المعاني

استعصى مصطلح النص على التعريف قديما وحديثا، إذ كثيرا ما تعددت الأسئلة في ماهيته، وأقسامه، وأغراضه، وتمايزه عن أشكال تواصلية أخرى، ومن بين الأسئلة الملحة؛ أي نص نعني؟ أنعني النص الديني أو الفلسفي أو العلمي أو الأدبي أو اللساني ؟ أنعني النص المكتوب أو المنطوق، أو التراثي أو الحداثي؟ أنعني الشعري أو النثري؟(٢٩)، وبازدحام هذه المعاني، وتشابكها كان من الضروري أن ننطلق من عمق التراث للبحث عن حدود هذا النسق اللغوي بخاصة.

لقد سجل هذا المصطلح حضورا مركزيا في الذخيرة اللغوية العربية والمعرفية أيضا، فقد عبر عن مرجعية القوانين المحتكم إليها في الحياة العربية الإسلامية، ويبدوا أن العرب الأوائل ميزوا بين مستويين في النص هما: مستوى النظام ومستوى التوظيف،

---

(٢٨) جون كوهين، **بناء اللغة الشعرية**، ترجمة أحمد درويش، دار المعارف، د.ط، القاهرة، سنة ١٩٩٣، ص١٨٩.

(٢٩) الحبيب شبيل، **"من النص إلى سلطة التأويل"**، ندوات جامعة منوبة، مجلد ٠٨، ١٩٩٢، ص٤٤٨

ولما كانت الرسالة الدينية نصية في شكلها فإنها أسست لكيفية استثمار المقولات الدينية في الحياة الإنسانية، ثم وجهت بطريق غير مباشرة الفكر العربي للنظر في الكون والوجود بكل أبعاده النفسية والاجتماعية والحضارية والأدبية واللغوية.

ولعل التوصيف الموضوعي لأنواع الخطاب العربي القديم هو الذي وجه الأنظار إلى تأسيس المعرفة اللغوية الصوتية والنحوية والبلاغية والمعجمية والتاريخية، والإبداع بشتى أشكاله، وقد تم هذا التوصيف في دائرة اللفظ والمعنى، وربما هذا هو السبب الذي يجعلنا نقر مطمئنين أن الحضارة العربية نصية في مبدئها ومنتهاها[٣٠]، كما تشكّل النصوص المختلفة بحضورها اليومي في اللغة والتخاطب الوعي بالوجود الإنساني والحضاري ذات الإنسان نفسه، فهي المسؤولة عن تشكل الرؤية والموقف والذوق.

فالنصوص على اختلاف أشكالها وأنواعها سلطة توجيهية وتشريعية وتنظيمية مؤثرة في البناء الاجتماعي والمدني بعامة، هذا وقد ورد لفظ النص في المعجم العربي ليدل على معاني سياقية متعددة، لعل أهمها: رفع الشيء، يقول **امرؤ القيس**[٣١]:

وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ .... إِذاَ هِيَ نَصَّتْهُ وَلاَ بِمُعَطَّلِ **(طويل)**،

ومنه رفع الحديث، وكل ما أظهر فقد نص، يقول **طرفة بن العبد**:

وَنُصَّ الحَدِيثَ إِلَىَ أَهْلِهِ .... فإنَّ الوَثِيقَةَ فِي نِصِّهِ[٣٢] **(متقارب)**

والنص هو التحريك حتى يستخرج أقصى سير الناقة، ونصّ المتاع إذا جعل بعضه فوق بعض، ومنصة العروس تجلس عليها لتظهر، ونص الشواء نصيصا إذا

---

(٣٠) منذر عياشي، **اللسانيات والدلالة، الكلمة**، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سنة ١٩٩٦، ص١٥

(٣١) معلقة أمرئ القيس، **الموسوعة العالمية للشعر العربي**، رقم ١٤٣٢٤، موقع: WWW.ADAB.COM

(٣٢) **مجالس ثعلب**، تحقيق عبد السلام هارون، ١/ ١٠

صوت على النار، والنص الإسناد إلى الرئيس الأكبر، وأصل الشيء ومنتهاه ومنه نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء[٣٣].

وظف هذا اللفظ في المعجم الأصولي للدلالة على اللفظ الوارد في القرآن الكريم أو السنة المستدل بها على حكم الأشياء بمعنى الظاهر[٣٤]، كما وظف في لغة النحويين من مثل ما نجده عند **ابن هشام** في كتابه مغني اللبيب: "...**ونص جماعة على منع ذلك كله**""[٣٥]، واستعمله **ابن جني** بصيغة اسم مفعول: "...**اعلم أن إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص**..""[٣٦].

وأشار **الرضي** إلى استعمالها للدلالة على معنى الحدث المساوي للمعنى الصريح الذي لا يقبل أكثر من تأويل واحد[٣٧]، والظاهر أن دلالة النص في تراثنا النحوي

---

(٣٣) ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، ٤/ ١٤٨، والفيروزبادي، **القاموس المحيط**، فصل النون، باب الصاد، وابن منظور، **لسان العرب**، ٣/ ٦٤٨.

(٣٤) ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، مطبعة الإمام، د.ت.ط، القاهرة، وبتحقيق أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، سنة ١٩٨٠، ١/ ٤٢، وانظر التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، تحقيق لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٦٣، ٢/ ٤٨٧، والشريف الجرجاني، **التعريفات**، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، سنة ١٩٧٨، ص ٢٦٠٤٨٧.

(٣٥) ابن هشام، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق مازن المبارك ومحمد على حمد الله، دمشق: دار الفكر، د.ط، ١٩٩٦، ١/ ٢٥٣.

(٣٦) ابن جني، **الخصائص**، تحقيق الشيخ محمد علي النجار، بيروت: المكتبة العلمية، د.ت، ١/ ١٨٩.

(٣٧) الرضي الإسترابادي، **شرح الكافية**، تحقيق هادي حمودي، عالم الكتب، بيروت، ١/ ١٧٨ و١/ ٤٦٢.

بخاصة ارتبطت بالحدث والفعل، ولم تتمحض للاسمية مثلما هو شأنها اليوم، كما أن مصطلح النص في سائر القطاعات المعرفية التراثية من تفسير وأصول(٣٨) وكلاميات دلّ على شكل محدد من أشكال الكلام لا الكلام في جملته.

ربما كانت مصطلحات أخرى أكثر حضورا منه؛ منها ما يدل على أجناسه كالشعر والنثر والخطابة، ومنها ما يقترب منه وضعا واستعمالا كالخطاب والقول والحديث والكلام والقول واللفظ والرسالة(٣٩).

وفي السياق الوضعي المعجمي يمكن الزعم بأن أغلب هذه الاستعمالات تحيل مصطلح النص إلى معنى كلي هو الظهور المكتمل، ولعل هذا المعنى هو الذي ارتكز عليه التصور الحديث للرسالة اللغوية الدالة في تميزها عن الملفوظ الذي يفتقر إلى سمتي الاتساق الشكلي والانسجام الدلالي(٤٠)، أما في الأدبيات اللسانية الحديثة فقد

---

(٣٨) عن مفهوم النص عند الأصوليين ينظر الشافعي، **الرسالة**، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة: البابي الحلبي، ١٩٤٠، ص٢٠.

(٣٩) أشار أصحاب المعجم الوسيط إلى أن ما يناسب النص من دلالة حديثة هو معنى **مولَّد**، المعجم ١/ ١٦.

(٤٠) محمد الصغير بناني، **"مفهوم النص عند المنظرين القدماء"**، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، عدد ١٢، ديسمبر ١٩٩٧، ص ٤٠، والحقيقة إن الربط بين الدلالة التراثية للفظة نص ومقابلتها الحديثة ذات المرجعية الثقافية الغربية صعب، وموقع في الاضطراب لعدم تجلي المعنى الحديث بصفاء في التصور التراثي العربي فقد استعاض المتقدمون عن النوع النصي بتسميته المباشرة شعر ونثر ورسالة ومقامة وغير ذلك كما عبروا بالنظم والمكتوب والمرسل عما يشتمله المصطلح في الثقافة اللسانية النقدية المعاصرة، انظر بسط هذا الغياب - مثلا - في نهلة الأحمد، **"ما هو النص"**؟ مجلة المعرفة السورية، عدد ٤٥١، سنة ٢٠٠١، ص ٨٨. وانظر مقالتنا: **"نحو النص، مبادئه واتجاهاته الأساسية"**، مجلة علامات في النقد، نادي جدة، مجلد ١٦، عدد٦١.

تعـددت تحديدات المفهوم، وتشعبت مرتهنة باختـلاف الأصول النظرية، وغايات البحث.

لعلنا نقف مع بعضها للتعرف على هذا التعدد، وفي هذا التعدد تعبير عن حيرة معرفية ومنهجية في اللسانيات الغربية، إذ يعرفه **ايزنبرج** (Isenberg) بكونه **متتالية جملية مستعملة في الاتصال اللغوي** مؤكدا المعنى الرياضي لمصطلح متتالية، في حين يعرفه **هارفج** (Harfg) انطلاقا من مبدأي العلاقة والتجانس؛ فهو **وحدة لسانية متتابعة ومبنية بسلاسل إضمار متصلة**، كما ورد في قاموس اللسانيات **أن النص مجموع الملفوظات اللسانية الخاضعة للتحليل، فهو إذا عينة من السلوك الإنساني المكتوب أو المنطوق**[٤١]، والنص عند هاليدي (Halliday) لا يمكن أن يكون إلا **وحدة دلالية تمثل اللغة في التواصل، فقد يكون كلمة أو جملة أو عدة جمل أو قصة**[٤٢].

كما يعده عملية تفاعل لغوية في واقع اجتماعي، يتم بوساطتها تبادل المعاني، معنى ذلك أنه نوع من الحوار بين المتخاطبين باللغة، وتبرز بذلك عنده الأهمية في محاولة ربط مفهوم النص بالسياق، ومعرفة الكيفية التي يكوّن بها الناس توقعاتهم لما يتكون في النص من خطاب، ومن ناحية أخرى يركز **هاليدي** (Halliday) على ثلاثة مظاهر أساسية لسياق الموقف، تؤثر تأثيرا بالغا في معالم النص، هي: مجال النص، إذ تشكل اللغة أساسا مهما في التعبير عنه، وهو الموضوع الأساس الذي يتخاطب فيه المشاركون في الخطاب، أما النوع فقد ربطه بطريقة البناء والتكوين والعرض، مما يحينه إلى أن سكون مكتوبا أو منطوقا أو ما إذا كان سرديا أو جدليا ونحو ذلك، وأما المشتركون فيمكن وصف طبيعة العلاقة القائمة بينهم، من حيث هي رسمية أو غير رسمية.

---

(٤١) Duboi.dixionerre de linguistique(Paris:Larousse,1973) ;p156

(٤٢) Jilles siouffi, 100 fiches pour comprendre la linguistique ,p138-139.

يرى **يوري لوتمان** (Y.Lotman) أن تحـديد النص يعتمد ثلاثة مكونات هـي التعبير والتحديد والخاصية البنيوية؛ فالتعبير يجبرنا على أن نعتبر النص تحقيقا للنظام، وتجسيدا ماديا له، وذلك على أساس ثنائية سوسير (F.D.Saussure) الشهيرة التي تضع الكلام (Parole) مقابل اللغة (Langue)، أما التحديد فهو لازم للنص، فالنص يحتوي على دلالة غير قابلة للتجزئة مثل أن يكون قصة أو أن يكون وثيقة أو أن يكون قصيدة مما يعني أنه يحقق وظيفة ثقافية محددة وينقل دلالتها الكاملة، أما الخاصية البنوية فترتبط بخاصية التحديد السابقة فبـروز البنية شـرط أساس لتكوين النـص(٤٣)، أما جوليا كرستيفا (J.Krestiva) فتعده **جهازا عبر لغوي يعيد توزيع نظام اللغة، يكشف العلاقة بين الأدلة التواصلية مشيرا إلى بيانات مباشرة، تربطها أنماط مختلفة من الأقوال السابقة عليها أو المتزامنة معها**(٤٤)، ويذهب **كالمـاير** (Kalmair) إلى كـون النـص **مجموعة من الإشـارات الاتصالية التي ترد في تفاعل تواصلي يمكن أن يحدد بوضع نقطة أو علامة استفهام أو تعجب**(٤٥).

ويذهب **بارت** (Barth) إلى أن النص مأخوذ من حيث الجذر من مادة (Texte) التي تعني النسيج، ونشدد داخل النسيج على الفكرة التوليدية التي ترى النص يصنع ذاته، ويعتمل ما في ذاته عبر تشابك دائم، وتنفك الذات وسـط هذا النسيج ضائعة

---

(٤٣) صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص ١٥٣.

(٤٤) Kristiva , recherches pour une semanalyse ,Seuil,1969,p19

(٤٥) برند شبلنر، **علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي**، ترجمة محمود جاد الرب، ط١، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ١٩٨٧، ص١٨٨، وانظر، فولفجانج وديتر، **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، سنة ١٩٩٩، ص١١، وانظر الأزهر الزناد، **نسيج النص**، ص١٢.

فيه، كأنها عنكبوت تذوب هي ذاتها في الإفرازات المشيدة لنسيجها، ولو أحببنا استحداث الألفاظ لأمكننا تعريف نظرية النص بأنها علم نسيج العنكبوت(٤٦).

ويميز فان ديك (V.Dijk) بين مفهومين للنص إذ يمكن القـول مؤقتا بأنه ملفوظات لغوية ذات أشكال خاصة منطوقة ومكتوبة، وهو ما يعني استبعاد سائر النظم التواصلية من دائرة نصوص اللغة الطبيعية، وفي هذا المقام لابد أن يكون الملفوظ اللساني دالا ووظيفيا في التواصل الإنساني، كما أن لاستمرارية وانسجام وظائف الخطاب بالرغم من تعدد منتجيه تؤدي دورا مركزيا في تحديد سمة النصية في الملفوظات المنتجة(٤٧). وربما جاز لنا القول باتصال الخطاب بالجانب المنطوق، بينما النص يتصل بالجانب الخطي (المكتوب)، كما يتجلى لنا على الورق(٤٨).

ربما أمكننا التسليم بهذا التمييز مؤقتا بالرغم من عدم دقته، فالنص إذن **وحدة كبرى شاملة لا تضمها وحدة أكبر منها**، وهذه الوحدة الكبرى تتشكل من أجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي، ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي حيث يتكون المستوى الأول من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية، بينما يتكون المستوى الثاني من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية؛ ومن ثم يصعب أن تعتمد في تحليل النص نظرية بعينها، وإنما يمكن أن تتبنى نظرية كلية، تتفرع إلى نظريات صغرى وتحتية تستوعب كل المستويات.

---

(٤٦) Dubois J,et autres , Dictionnaire de linguistique 2 ed , Laroosse ,Bordas ,2002 ,p482 , Voir Ducrot ,O, Todorov, T, Dictionnaire encyclopedique des sciences du langage med Seuil, 1972 ,p 375

(٤٧) عبد القادر بوزيدة، **"فان ديك وعلم النص"**، مجلة اللغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، عدد١١(١٩٩٨)، ص١١.

(٤٨) بول ريكور، **"النص والتأويل"**، ترجمة منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، عدد٣، سنة ١٩٨٨، ص ٣٧.

اعتمد بعض الباحثين ما يسمى بنظرية السياق الاتصالي التي تحدد للنص وظيفة معينة فعلى عكس الاتجاهات الداخلية الباطنية التي تعرف النص بالنظر إلى مكوناته، فإن الآراء الجديدة تعتمد في نظرية النص السياق الاتصالي، وما يتضمنه عمليا، وترى أن النصوص ليست سوى منظومة من الرموز اللغوية المعبرة، وأن وظيفتها إنما هي الاتصال الاجتماعي[٤٩]، إذن فتحديد النص ليس سوى مجموعة من الرموز اللغوية المعبّرة لها وظيفة الاتصال الاجتماعي.

لا يقل عن مصطلح **النص** إشكالا مصطلح **الخطاب** في الفكر اللساني الحديث فهو يشير إلى كل كلام تجاوز الجملة الواحدة، والتي تغدّ أثناء تحليله الوحدة الصغرى التي يتكون منها، سواء كان مكتوبا أو منطوقا.

هذا ولقد ورد مصطلح الخطاب في التراث العربي في أكثر من سياق، فمن ذلك مثلا ما أورده **التهانوي** في كشافه من أنه توجيه للكلام نحو الغير للإفهام، ثم نقل الكلام الموجه نحو الغير للإفهام[٥٠] مما يعنى دورة التخاطب التي تستلزم طرفين رئيسين هما المخاطِب والمخَاطب، كما نسجل استعماله في القرآن الكريم بصيغة المصدر والفعل في الآيات التالية: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم ﴿٢٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٧، ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ الفرقان: ٦٣، وقوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ النبأ: ٣٧.

في اللسانيات الحديثة يذهب **غرايس** (Grice) إلى أن للكلام دلالات غير ملفوظة يدركها المتحدث والسامع دون علامة معلنة أو واضحة، مثل قولنا: ألا تزورني؟

(٤٩) محمد مفتاح، **تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص**، ط٢، الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، سنة١٩٩٢، ص١٢٠.

(٥٠) التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، ١/ ٤٠٣.

فالظاهر من الكلام سؤال لكن الغرض دعوة للزيارة، وقد نتج عن هذه الرؤية لديه أن حدد مبادئ للحوار والحديث، تتعلق بكم العبارات وكيفية عرضها بين المرسل والمتلقي في ضوء النية الحسنة، وترابطها الدلالي، وعدم تناقضها بخاصة فيما يعرض للخطاب في مستوى المعنى من دلالات متعارضة أو متضادة.

ولعل هذه الصفة كفيلة بأن تحقق مبدأ آخر مهم يتعلق بهيئة الخطاب من حيث وضوحه، وبعده عن الإبهام بخاصة في الخطاب النثري، أما مبدأ الوجاهة فيمثل عنده مطابقة المقال للمقام أو المناسبة بين السياقين الداخلي (النصي) والخارجي (الاجتماعي)[٥١]، أما **سيريل** فينظر إلى الخطاب من زاوية انسجامه من حيث هو فعل قولي في التواصل، لابد له من شروط تحضيرية تلخصها صفة الأهلية والاختصاص، وشرط الصدق بأن يؤمن المرسل بما يقول ويفعل، في حين تشير الشروط الجوهرية إلى صدق المقاصد أو النوايا بما لا يتعارض مع المعتقد والرغبة، وفي محاضراته "نظام الخطاب" يقرر **ميشال فوكو** (M.Fouco) أن الخطاب شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام بوصفه خطابا[٥٢].

إنّ الخطاب إنجاز في المكان والزمان، ويقتضي لقيامه شروطا، أهمها المخاطِب والخطاب والمخاطَب، ومن وجهة نظر اللسانيات فإن الخطاب لا يمكن أن يكون سوى مرادف للملفوظ فالهدف الأساس من استعمال الكلام هو إيصال رسالة ما إلى شخص معين أو إلى مجموعة من الأشخاص، ولذلك فإن استعمال الكلام يستوجب

---

(٥١) براون ويول، **تحليل الخطاب**، ترجمة محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، مطابع جامعة الملك سعود، النشر العلمي، سنة ١٩٩٧، ص ٤٤.

(٥٢) محمد الحناش، **البنيوية في اللسانيات**، ط١، دار الرشاد الحديثة، المغرب، سنة١٩٨٠، ص٣٧٦ وما بعده.

وجـود عنصرين لا يكون الحـديث إلا بهما وهما المتكلم، الذي يؤلف المرسلة تبعا لأهوائه ورغباته، والمخاطب الذي يقوم بفك رموز هذه المرسلة لفهمها.

لابد إذن من أن تكون هناك مرسلة يبثها المتكلم ليتلقاها المستمع الذي قد يكون شخصا حقيقيا أو وهميا متخيلا من قبـل المتكلم. فهـذا التواصل الخـارجي لا يقوم إذن إلا بوجود قطبي الحديث (المرسل والمرسل إليه)، بالإضافة إلى ضرورة وجود مرسلة تنتمي إلى نظام مشترك بين طرفي التواصل ليتمكن كل منهما من فهم الآخر وإفهامه.

أما **جاكبسون** فيميز نوعا آخر من التواصل يكون فيه المتلقي والمرسل شخصا واحدا، وهو ما يعرف بالتواصل الداخلي (Monologue)، أو المونولوج كما يشدد على أهمية التواصل الخارجي (Dialogue) في إيصال الأفكار للآخرين والتعامل معهم(٥٣)، فهو لا يفتأ يذكر الحوار الداخلي أيضا، فالتواصل مع الآخرين لا يكتمل إلا باستبطان اللغة، فمصطلح الخطاب إذن متعدد المعاني، فهو وحـدة تواصلية تبليغية ناتجـة عن مخاطِب معين وموجهة إلى مخاطَب معين في مقام وسياق معينين يدرس ضمن ما سمي بلسانيات الخطاب.

إنه تواصل لساني ينظر إليـه بوصفه إجراء بين المتكلم والمخاطب؛ أي فاعلية تواصلية يتحدد شكلها بواسطة غايـة اجتماعية، والخطاب يتنوع بتنوع الطـرق التي يتخذها المتكلمون أو الكتـاب وذلك بحسب مواقف اجتماعية وثقافية محـددة وتنتج بذلك أنـواع كثـيرة من الخطابات، متشكلا بحسب الطرق التي يتخذها المتكلمون أو الكتاب من خلال مواقف اجتماعية وثقافية محـددة وتتولد من ذلك أنـواع كثيرة

---

(٥٣) فاطمة الطبال بركة، **النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون**، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت.ط، ص٤٠.

منه مثل الخطاب الديني والخطاب العنصري والخطاب العلمي، والخطاب السياسي...إلخ، وبالرغم من أن الخطاب يتوسل دائما اللغة في غاياته فإن جوهره في حقيقة الأمر ليس لغويا، إنه هو مجموعة من النوايا والأفعال تتحقق بوساطة اللغة.

٤ - لسانيات الخطاب ومقولة النوع

يقوم تصنيف النصوص والخطابات في الدرس اللساني القديم والحديث على مراعاة عدة جوانب ومعايير، لعله أهمها المعيار الشكلي والموضوعي والأغراضي أو القضوي والتاريخي، فبالنسبة إلى المعيار الشكلي يطمح الوصف اللساني إلى إبراز مكونان الخطاب/ النص من حيث بنيته اللسانية في المستوى الصوتي والصرفي والتركيبي والمعجمي، فهذه المستويات اللسانية يمكن لها أن تحدد نوع النص/ الخطاب ما إذا كان أدبيا أو غير ذلك، كما يعبر بالشكل على الصورة الهندسية التي يأخذها النص فقد يأخذ هيئة الشعر متفرعا إلى شعر ملحمي أو غنائي أو مسرحي أو يكونا نثرا، يتدرج في صور مختلفة لينتج نصوصا مسرحية أو روائية أو قصصية أو مقالية أو مقامية، أو أمثالا أو حكما أو سيرا ذاتية، أو مناظرات جدلية، أو خطبا تنجز للتأريخ أو لعرض قضايا اقتصادية أو سياسية أو قضائية أو دينية تبنى على إستراتيجية لغوية ومنطقية مميزة لهذا الضرب من النثر الشفوي المكتوب، ويكون توصيفها بناء على طول الجمل، ونظام ترتيبها، وكيفية توزيع البنى اللغوية المختلفة، وأشكال المقدمات النصية أو جمل الفاتحة، ناهيك عن تلك الخصائص الشكلية التي تميز لغة النص.

أما المعيار الموضوعي فيركن إليه للتمييز بين النصوص السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية والتربوية والدينية والعلمية والإشهارية والفلسفية والقانونية والوعظية والإدارية والاقتصادية، وأما المعيار التاريخي فيميز من خلاله بين النص

القديم والنص الحديث أو الجديد، وليست هذه القسمة مجرد موضعة في الزمان بل هي قسمة تعكس الفروق الجوهرية في مستويي الشكل والمضمون بين سلسلة من النصوص القديمة وأخرى مغايرة لها أنتجتها اللحظة اللغوية الراهنة بكل حمولاتها المعرفية والثقافية والاجتماعية والإنسانية.

وبوجه عام نحدد نوع النص اعتمادا على موضوعته الأساسية أو بنيته الدلالية الكبرى التي ترسم توجهه الخطابي، أما المعيار الأغراضي فقد يؤشر إلى هدف الخطاب فقد يكون مدحا أو رثاء أو هجاء، كما قد يكون وصفا أو تفسيرا أو حوارا أو سردا أو إقناعا تتشكل عبره رؤية النص التي تعكس رؤية المبدع للعالم وخلفياته المعرفية ومرجعياته القضوية التي يطرحها في السياق النص التواصلي.

لقد تشكلت عبر المداخل النظرية المختلفة منذ **أرسطو** في كتابية في فني الشعر والخطابة، وإلى أيامنا هذه تصورات تصنيفية عديدة تهدف إلى تجنيس النصوص، مما يصعب على الدارس مهمة وضع الحدود المائزة بينها، والوصول إلى تعريفات نوعية شمولية، ولعل هذا التوسع بل الاضطراب راجع بالأساس إلى الطبيعة التكوينية المعقدة لظاهرة النص في المنجز الكلامي الإنساني، فالنص رسالة لسانية مؤلفة من نسق علامي دال بمستويات دلالية مختلفة، تندغم فيها الدلالة المعجمية مع الدلالات الحافة التي يوجه إليها السياق التواصلي، ومتطلبات المقام الخارجي، مما يعني تداخلا بين رؤية الباث ورؤية المتلقي من جهة، وظروف إنتاج الرسالة الزمانية والمكانية والمرجعيات الثقافية التي تؤشر للمعطى التداولي في عملية التبليغ برمتها من جهة أخرى.

هذا ويوجه النظر في النصوص والرسائل اللغوية المختلفة إلى وجود أنواع متعددة من الخطابات تختلف عن بعضها شكلا ونظاما، إذ يمكن التمييز بين الخطاب الشعري والنثري من خلال القالب الشكلي العروضي، ومن حيث الغرض العام،

يمكن التمييز بين السردي والوصفي والطلبي والإقناعي (الحجاجي) والتفسيري والحواري[٥٤]، ومن حيث الأسلوب يميز بين النثر العلمي والنثر الفني (الأدبي)، ومن حيث الشكل الخارجي يمكن التمييز بين الخطبة والمسرحية والرواية والقصة والخاطرة والمناظرة والسيرة الذاتية والترجمة، والمقامة والمقالة وبطاقة دعـوة وتقـرير إداري، وشكوى وفهرس.

أما من حيث الموضوع، فيمكن التفريق بين النص السياسي، والاجتماعي، والملحمي والغنائي، ولعل من بين الدراسات العربية التمهيدية التي اهتمت بتجنيس الخطاب، وتصنيفه إلى أنواع بحسب شكله وموضوعه بناء على استقراء المدونة الكلامية العربية دراسة **إحسان النص** الموسومة بـ: **الخطابة العربية**، والتي ركزت على تشكلات الفعل الخطابي من خـلال موضوعاته الأساس في المدونة المختارة، مثل الخـطبة بأنواعها المختلفة فمنها ما ينجز للحث عـلى القتال، ومنها ما هـو لإصلاح ذات البين، ومنها ما هو لإعلان الزواج، ومن الخطب ما يلقى في المحافل السياسية، وقد تكون الخطب سلسلة من الوصايا سالكة أحيانا مسلكا سجعيا يشبه سجع كهان الجاهلية.

كما يمكن أن تظهر الخطبة في سياق سجالي فيما يعرف بأدب المناظرات[٥٥]، غير إن هذا التصنيف قاصر من حيث عدم شموله لكثير من الأنواع النصية التي سكت

---

(٥٤) نظرا إلى تميز الحوار ببنية خاصة من ناحية شكل الجملة، وطريقة بنائها، وأسلوب توزيع الأدوار على المتحاورين عده بعض الباحثين شكلا خطابيا مستقلا بالرغم من تقاطعه المستمر مع السرد والوصف.

(٥٥) إحسان النص، **الخطابة العربية**، القاهرة، سنة ١٩٦٣، ص، وقد علق **صالح بن رمضان** على هذا، واسما إياه بالاضطراب، وهو محق في ذلك لخلطه بين معايير تصنيفية مختلفة، ولعل ذلك راجع إلى غياب الفهم النظري لمقولتي النوع والجنس في النقد العربي بخاصة في بواكيره الأولى

عنها لتركيزه على الخطبة فعلا قوليا خاصا، ناهيك عن تداخل معايير التصنيف فلم يلتزم بإحداها بل جمع بينها في توليفة لا تميز الغرض عن القصد، كما لا تفرق الشكل عن الموضوع. ولعل من بين المحاولات المهمة التي تصدت إلى مسألة التصنيف النصي محاولة **عبد الله العشي** في دراسته **زحام الخطابات**، فقد تمخض تصنيفه عن تحديد أشكال خطابية متنوعة، لعل أهمها(٥٦)، الخطاب البياني الذي يجسده بيان سياسي لحركة أو حزب أو حكومة يعبر عن إستراتيجيتها العامة في الحكم والإدارة، مثل بيان أول نوفمبر التاريخي، والبيانات الختامية التي تصدرها المؤتمرات المحلية والإقليمية وغيرها.

كما يمكن إدراج المواثيق الدولية والأممية في هـذه الدائرة، مثـل **نـص ميثاق الأمم المتحدة** (٥٧). والمنظومة الشعرية في العلوم المختلفة مثل ألفية ابن مالك، وأما الخطاب الحواري فيمثل كـل أنـواع الخطاب التي تقوم رأسا عـلى التحاور والمحاورة مثـل: المناظرة والمجادلة والمساجلة والمسرحية والمائدة المستديرة والندوة العلمية أو

مع جيل الرواد الذين إليهم ينتمي إحسان النص رحمه الله، انظر التقسيم في: **"مدخل إلى قراءة النصوص الخطابية"**، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي بجدة، جزء ٢٠، مجلد ٥، سنة ١٩٩٦، ص ١٥٣، وانظر تفصيل ذلك أيضا في بشير إبرير، **الخطاب غـير الأدبـي، إشكالية المفهوم والمصطلح**، مجلة اللسانيات واللغة العربية، مخبر اللسانيات واللغة العربية بجامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، العدد الرابع، ديسمبر ٢٠٠٧، ص ١٣.

(٥٦) عبد الله العشي، **زحام الخطابات**، ط١، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، سنة ٢٠٠٥، ص ١٢، وانظر أيضا بشير إبرير، **الخطاب غير الأدبي، إشكالية المفهوم والمصطلح**، ص ١٦-١٧.

(٥٧) أنجزت دراسة تداولية في نص الميثاق الأممي عنوانها التعريف والتنكير، دراسة تداولية، نص ميثاق الأمم المتحدة نموذجا إعداد **ليلى عبد الله إبراهيم آل حماد**، جامعة الملك سعود، خريف ١٤٣٣-٢٠١٢م.

الثقافية، سواء كان الحوار قائما على طرفين أو أنجزته أطراف متعددة، أو طرف واحد كما هو الحال في خطاب المونولوج المسرحي، أين تنشطر الذات إلى محاوِر ومحاوَر في الآن نفسه.

قد يتشكل الحوار كتابيا عبر محاورة شخصيات ثقافية حول موضوع نقدي أو فكري أو لغوي أو اجتماعي يعد من موضوعات الساعة، وتتولى الجرائد والمجلات نشره على صفحاتها، مما قد يثير ردودا وتعقيبات تشكل بدورها خطابات مثرية تطول أو تقصر بحسب صاحب الرد، وظروف التواصل المحيطة، وقد تتطور تلك التعقيبات المتسمة عادة بالشمول والاقتضاب فتتحول إلى نصوص وخطابات نقدية موازية تنتهج التحليل والمقارنات والتقويم وما إلى ذلك من أساليب النقد المتنوعة. وأما الخطاب الشارح فيقدم تفسيرا للبنية اللغوية الموظفة للتعبير عن الأفكار والمضامين المختلفة، معززا الوظيفة المعجمية للغة التي حددها نموذج **جاكبسون** في التواصل، والظاهر أن وظيفة الشرح تنسجم مع أنواع نصية كثيرة متداولة في المقام المدرسي بصفة أساسة، من مثل ما نلفيه في شروح النحو والبلاغة والمحاضرات الجامعية في عصرنا الحالي.

وتمثل الحواشي والتعليقات الهامشية نموذجا لغويا حيا لهذا الخطاب الشارع الذي تتعدد مستوياته وأغراضه. وفي هذا السياق يشير **عبد الله العشي** إلى اندراج أنواع نصية تحت **الخطاب الشارح** مثل الشرح الإبداعي ولتحقيق المخطوطات. بينما يمثل الخطاب السردي قطب الرحى في دائرة الاهتمام اللساني النقدي، إذ درجت الدراسات في هذا الإطار على تمييز السرد باعتباره فعلا قوليا يقوم على حكاية الأحداث في زمان ومكان ما، قد يكونان حقيقيين وقد يكونان متخيلين.

من القوالب الشكلية التي يهيمن عليها السرد القصة والرواية والسيرة والترجمة الشخصية والخبر التاريخي والصحفي، والمقامة[٥٨].أما الخطاب المترجم فيمثل نصا موازيا للنص الأصلي الذي تمحورت عليه عملية الترجمة من لغة إلى أخرى.

كما يلحق بهذا النوع نقد الخطاب المترجم، وهو خطاب مواز أيضا، ولكنه مواز بالنسبة إلى الفرع. كما يشير الباحث إلى أنواع نصية أخرى يكثر تداولها في الخطاب اليومي مثل نصوص الرسائل الإخوانية والرسمية (الإدارية) والرسالة النقدية، ونصوص الوصايا بموضوعاتها المختلفة فهناك الوصية التربوية، والوصية الدينية، والوصية الأدبية النقدية مثل وصية **بشر بن المعتمر** في الصحيفة المنسوبة إليه، ووصية **ابن أبي الإصبع**، ووصايا الجاحظ في موضوع حكاية النكتة بلسان العامة، وقد تصاغ في قالب شعري أو نثري، والوصايا بوجه عام لا تنفض يديها من الإقناع والإلحاح على فعل شيء، وسلوك مسلك ما في الحياة يتوجه بها الموصي إلى الموصى يحثه فيها على إنجاز عمل ما، ولعلها الخطاب الأكثر إنجازا لما يعرف بالفعل الطلبي[٥٩].

(٥٨) يمثل النص السردي سلسلة الأحداث المتتالية زمانيا، والمعبر عنها لغويا بالأفعال والجمل وفق منطق يبدأ بمقدمة توطئ لموضوع تستمر أحداثه في التطور والتفرع إلى أن تنتهي بخاتمة ما، وبحسب الترجمات العربية للمصطلح (Texte Naratif) فهو القصة الشفوية أو المكتوبة التي تقوم بنيتها العامة على سرد حكاية، تقدم على أنها متخيلة أو أن أحداثها قد وقعت فعلا، مجموعة من الباحثين (محمد الخبو، أحمد السماري ومحمد نجيب العمامي وعلي عبيد ونور الدين بنخود وفتحي النصري ومحمد آيت ميهوب)، **معجم السرديات**، إشراف محمد القاضي، ط١، دار محمد علي للنشر، دار الفارابي، لبنان، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، دار تالة، الجزائر، دار العين، مصر، دار الملتقى، المغرب، سنة ٢٠١٠، ص ٤٥٧.

(٥٩) صالح بن رمضان، **مدخل إلى قراءة النصوص الخطابية**، مجلة علامات في النقد، جزء ٢٠، مجلد ٥، ١٩٩٦، ص و١٥٢-١٧٠، وانظر بشير إبرير، **الخطاب غير الأدبي، إشكالية المفهوم والمصطلح**، ص ١٥، وعبد الله العشي، **زحام الخطابات**، ص ١٥٠-١٣٨.

يمكن تمييز أنواع أخرى من الخطابات المرافقة للخطاب الأصل مثل خطابات التقريض والتصدير والشهادات التي تقدم بين يدي كتاب أو مرجع علمي ما سواء نشرت معه مثل التصدير، أو وردت منفصلة عنه مثل الشهادة والتقريض(٦٠).

هذا ويقوم النقد اللساني النصي على وصف مستويين أساسين يعبران في ترابطهما عن العلاقة التي تربط النص بالغرض، ولنقل بين الوضع (النظام) والاستعمال؛ وهذان المستويان هما(٦١): المستوى المقطعي (niveou sequentiel) والمستوى التداولي (niveou pragmatique)، فإذا كانت النصوص المنجزة أبنية نسقية غرضية ذات طبيعة معقدة تشبه في تعقيدها بيت العنكبوت الذي تتعالق خيوطه الرفيعة وتتكامل مشكلة بناء هندسيا محكما لعل أهم وصف فيه كونه منسجما متعاضدا.

إن لسانيات النص تضطلع بمهمة وصف هذا التواشج وتبيان مقوماته، وقيمته المادية من حيث هو صورة معبرة عن غرض الخطاب في التداول اللساني البشري، ولن يتحقق ذلك إلا بالتمييز بين مستويين من الدراسة هما المستوى المقطعي والمستوى التداولي، وكيفية عمل العناصر المتضامنة في إطار هذين المستويين انطلاقا من خبرة قرائية ذهنية يتوافر عليها المحلل الذي يصب بمفهوماته على النص صبا، وليس العكس على حد تصور **فرانك سميث** (Frank Smith)(٦٢).

---

(٦٠) المرجع نفسه، ص ١٥٠، كما أضاف الباحث شكلا آخر أسماه بالخطاب التصنيفي ومثل له بالمعاجم التحليلية والموسوعات ودوائر المعارف والكشافات والفهارس المتخصصة، انظر المرجع نفسه، ص ١٧٩-١٨١.

(٦١) Ibid, p 84.

(٦٢) عبدالقادر الزاكي، **من النموذج النصي إلى النموذج التفاعلي**، ص ٢١٨، وانظر تفصيلا محمد الأخضر الصبيحي، **مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه**، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، بيروت، سنة ٢٠٠٨، ص ٣٣.

الفصل الأول

المقاربة التداولية في اللسانيات الحديثة وتحليل الخطاب

توطئة

لعل من أهم المناهج اللسانية المعاصرة التي استأثرت باهتمام الدارسين في الغرب، وكان لها وقع علمي، وصدى منهجي متعدد الآثار في مقاربة أشكال الخطاب بعامة والخطاب الأدبي بخاصة المنهج التداولي بمداخله المختلفة، فقد ظهرت دراسات نظرية مهمة، وأخرى تطبيقية حاولت استثمار أهم أدواته الإجرائية في دراسة هندسة القبول في الخطاب وأغراضه المتشكلة ضمن صيرورة البنية والدلالة والتلقي.

ولنا أن نذكر في هذا السياق ما قدمه ج. أوستن وج. سيريل في منتصف القرن الماضي بالإضافة إلى التوجهات التداولية ذات الطابع الفلسفي التي أسس لها **كتلوب فريج** و**إدولف كارنب** و**لودفيج فتجنشتين** وغيرهم ممن أسهم في تأسيس النظريات التداولية المعاصرة ضمن نظرية أفعال الكلام (الأعمال اللغوية) ونظرية المحادثة والتعاون الحواري ودراسة الافتراضات المسبقة في الخطابات ذات المنزع الحواري والجدلي، كما قامت نظريات المحاجّة عند **بريلمان** و**تتيكاه** و**ماير** و**دي كرو** وغ. **مانجنو** و م. **آدام** على مقاربة الخطاب اللساني في أطره السياقية والتواصلية في ضوء قيمته البرهانية والحجاجية.

١ - اللغة والبعد التداولي

لم يعد مجديا إلى حد ما تعريف اللسانيات بأنها دراسة اللغة لذاتها ولأجل ذاتها - كما زعم **فردينان دي سوسير** في بدايات القرن العشرين - بل أصبح ضروريا تعريف الحدث الكلامي باعتباره الصورة الفعلية للغة المنجزة في التواصل الاجتماعي موضوعا رئيسا ومركزيا في نظرية التواصل، تتوجه له أنظار الباحثين مسلطين عليه مقارباتهم المنهجية الرامية إلى تحليله واستقطار المعنى منه في السياقات المختلفة. وذلك في سياق العناية بالبعد الاستعمالي للنظام اللساني في صلب التخاطب والتفاعل الاجتماعي.

لقد كان للبعد الاتصالي التخاطبي أثره الرئيس في توجيه الدراسة اللسانية بخاصة في الخمسينات من القرن العشرين إلى دراسة بنية الخطاب تحت ضلال البنوية، وما تفرع عنها لاحقا من مناهج ركزت في معظمها على الجانب الشكلي الذي يتحكم أساسا في المكونات الدلالية والتداولية، وشكّل ما نشأ عن هذه الحركة النصية ميلاد علم النص وتحليل الخطاب الأدبي.

ثم انفتح هذا العلم الجديد في فرنسا وألمانيا على أنواع النصوص والخطابات المختلفة على يد **جوليا كرستيفا** و**رولان بارت** و**تودوروف** و**ايكو** و**روبيرت دي بوجراند** و**دليسلر** و**بنفنيست** و**فرانسواز أرمنكو**[1] وغيرهم، وكانت مرحلة الثمانيات مرحلة نضج منهجي لعلم تحليل الخطاب بشتى اهتماماته التي تجاوزت الشعر والسرد إلى

---

(١) أرمنكو، فرانسواز خريجة المدرسة العليا للأساتذة بسيفر، مبرزة جامعية، من أعمالها المقاربة التداولية، وهو كتاب تأسيسي تعريفي في التداولية، ترجمه إلى العربية الناقد المغربي سعيد علوش إيمانا منه بضرورة توسيع الأفق النقدي العربي، ليتجاوز مأزق البنيوية الشكلاني الذي يتجاهل المعطى السياقي بمصادره التاريخية والنفسية والاجتماعية في صياغة النص شكلا ومضمونا وأغراضا في التداول اللساني اليومي.

المحـادثة والإشهار والحـجاج والمسرح والخطابة السياسية وغيرها من صور التعامل الشفوي والكتابي الجديدة.

كما تشكل في هذا الحيز المعـرفي خطاب جديد يؤرخ لخطاب ما بعد الحداثة هو خـطاب التداوليات الذي استهدف معرفيا البلاغة وعلم النفس وعلم الاجتماع والمنطق والأدب واللسانيات، وحقول معرفية أخرى تتقاطع جميعا في دراسة مكنون القول، ومجريات التلفظ بوصفه فعلا لغويا متجذرا في السياق الاجتماعي الذي يؤطر حركة الأفراد.

وفي هذا السياق يرى **رورتي** أن فلسفة ما بعد الحداثة انفتحت اليوم على الحوار والتواصل بعدما أخفق العقل الماهوي في بناء علاقات بشرية مرنة ومفتوحة[٢]، أما في عالمنا العربي فقد ظل التفكير اللغوي في أكثر البلاد متأثرا بمنهج القدماء في دراسة اللغة، غير آبه للتطور الكوبرنيقي الذي أحدثه الفكر اللساني الحديث، وما يشاهد في بعـض الأنحاء اليوم لا يشكل لدى المهتمين باللسانيات إلا بدايـة بسيطة لتلقي هذا العـلم في صـورة أبجديات تشعر الباحث بزهد في العلم وعدم حاجة إليه بالرغم من تتالي الجهود النظرية والتطبيقية الرامية إلى تأكيد حاجة التنمية اللغوية العربية إلى علوم اللسان الحديثة.

ولعل قلة الدراسات العربية في المجالين النظري والتطبيقي المعنية بتحليل الخطاب فيما اطلع عليه الباحث بخاصة المعتمدة على المنهج اللساني الحديث كان حافزا رئيسا للتوجه نحو هذا الموضوع الذي يسلط الضوء على نماذج التلقي العربية

---

(٢) محمد شوقي الزين، **تأويلات وتفكيكات في الفكر العربي المعاصر**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٢، سنة ٢٠٠٠، ص ١٦٨.

لنظريات تحليل الخطاب بخاصة تلك التي ركزت على التحليل التداولي للنصوص الأدبية وغيرها.

وعلى الرغم من تواصل الخطاب العربي المعاصر مع نظريات النقد الأدبي في الغـرب تواصلا حميما تجلى في محـاولات الإفادة من البنيويات المختلفة والسيميائيات (Simiotice/Simiotique) والأسلوبيات (Stylistique/Stylistics) في مجالي النقد النظري والتطبيقي، فإن التداولية باتجاهاتها المتعددة ظلت مهمشة إلى حد ما، وغير فاعلة في العملية النقدية العربية[٣]، مما قلّل من فرص العثور على دراسات نقدية عربية أصيلة تمتح من المنهج التداولي في تحليل الخطاب الأدبي.

لعل مسعى توصيفيا لهذه الجهود على قلتها وتناثرها سيسهم لا محالة في استيعاب مناهج التحليل النصي الحديثة التي حاولت ولا تزال معالجة الخـطاب الإنساني التي يشكل الخطاب العربي رافدا من روافده، كما توجه أنـظار الباحثين القادمين إلى هذا المجال الحيوي الذي ما زالت حماه محظورة لما تنتهك بحثا معمقا في أكثر البلاد.

إن محاولة تتبع ما كتب في هذا المجال هو إسهام متواضع في تشكيل أرضية حوار مع المناهج الحديثة في تحليل الخطاب تحليلا تداوليا، لا تزعم تقديمها حلولا لمشكلات التطبيق التي تشير إلى وجود خلل منهجي في التلقي والتمثل لدى اللسانيين العرب، وكذا النقاد الذي جروا وراء بعض المقاربات اللسانية في ميدان التداوليات بعامة والتداوليات الحجاجية بخاصة. غير إننا نعترف بصعوبة هذا المسلك، وتشعبه إذ يأخذ القارئ إلى تتبع جهود فردية متنوعة في البلاد العربية يحاكي بعضها البعض في الموضوع والآليات والأهـداف، ناهيك عن بعـض الجهود الجماعية التي تظهر في

---

(٣) محمد العبد، "**تعديل القـوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخـطاب**"، مجـلة فصول، ص ١٣٤.

المؤتمرات والندوات العلمية بخاصة تلك التي تعقد في الجامعات العربية في المغرب العربي وبعض بلدان المشرق.

في هذا السياق يمكن أن ننوه بأعمال مؤتمر علم النص الذي عقد بجامعة الجزائر المركزية في يناير ٢٠٠٦، الذي دار حول نظريات التداولية الغربية واتجاهاتها وعلاقتها بمناهج التحليل النصي مثل السيميائية والسرديات، وجدواها المنهجية في تحليل أنواع الخطاب المختلفة، وفي صدارة ذلك الخطاب الحجاجي والخطاب القانوني باعتباره صورة حديثة للمحاجة، ناهيك عن دراسة سبل الانتفاع من المنهج التداولي في تحليل الشعر والسيرة الشعبية والنص الروائي بشكل خاص[٤].

إن هذه الأعمال على أهميتها تخندقت في الغالب في خندق التعريف وتبسيط الرؤية مما يمكن عده نموذجا أيضا للكتابة اللسانية التمهيدية، عدا محاولات تطبيقية سعت على صعيدين مختلفين إلى ربط التراث بالحداثة في أهم مقولات الفكر التداولي من ناحية، ومحاولة تحليل نماذج نصية تحليلا تداوليا من ناحية أخرى، وهذا المنحى بالذات بات قليلا ونادرا في كثير من الدراسات المتصدية للنظريات التداولية وفي مقدمتها نظرية الحجاج في منجزنا اللساني والنقدي الحديث[٥].

---

(٤) يمكن مراجعة أعمال هذا المؤتمر في مجلة اللغة والأدب، مجلة علمية محكمة تصدر عن قسم اللغة العربية بجامعة الجزائر، عدد١٧، سنة ٢٠٠٦.

(٥) من تلك الدراسات تداوليات الخطاب القانوني لعبد الحق بلعابد، ووجهة الخطاب في سورة المؤمنون لمفتاح بن عروس، والضوابط التداولية للخطاب الرسائلي في كتاب الإمتاع والمؤانسة لكميلة وتيكي، وجماليات الخطاب السردي بحث في الرؤية السردية – حديث الحس من حدث أبو هريرة قال للمسعدي أنموذجا للباحث وليد بوعديلة.

والحقيقة إن الالتفات إلى المقـاربة التداولية للخطاب الأدبي بات أمرا مطلوبـا بل ضروريا لما له من أهمية في استكشاف خبايا النص، وأغراضه التبليغية، وما يحيل إليه من مرجعيات اجتماعية وفلسفية وإيديولوجية، ورصيد ثقافي. إن المجتمع يتلقف يوميا كمّا هائلا مـن النصوص والخطابات عـبر الوسائل السمعية البصرية المتعددة تغزو ثقافته وتزاحم وجوده الفكري والحضاري، وأفراده يفتقرون إلى أبسـط أدوات الفهم والتحليل المنهجي بـل لا يستطيعون التمييز بين أنواعها وأشكالها ناهيك عن غاياتها ومراميها. وهو ما يظهر جليا في البرامج التلفزية والخطب السياسية والحزبية، وما تبثه القنوات من كم هائـل من نصوص الدعاية والإشهار، وما يعرض على الطرقات والمباني من لافتات وكتابات مختلفة تجتهد وفق استراتيجيات مصممة سلفا في جلب انتباه الناس، والتأثير في مشاعرهم، وتوجيه سلوكهم وإقناعهم بجملة من المفاهيم الدينية والفلسفية والقيم الاجتماعية التي ترهن وجودهم وتضمن تاريخهم.

وفي إطار العلاقة بين أنواع الخطابات المختلفة من ناحية والسياق من ناحية أخـرى تتنزل الأنواع الأدبية من قصة وروايـة ومسرحية وشعر ومحـادثة ومناظرة وأحاديث تلفزية وغيرها، وهـذه الأنـواع من حيث هـي أشكال تعبيرية لا يمكن إدراك دلالة الخطاب فيها ومراميها النفسية والاجتماعية والسياسية والفنية إلا بالعودة إليها، وأخذها بعين الاعتبار.

كما تبدو مسألة الأنواع الأدبية مسألة حاسمة، فبمجرد أن يعرف المتلقي النوع الذي ينتمي إليه النص يستطيع أن يؤوله، ويتصرف بإزائـه تصرفا مناسبا، لكن في حالة عـدم تعرفه على نوع النص يمكن أن يؤدي ذلك إلى شلل في عملية الفهم، وفي النـص الأدبي بالذات تظهر مسألة مهمة عالجتها التداولية بعناية هي مسألة المضمر أو

الضمني (l inmplicite)[٦]، مما يفتح المجال للبحث في التداولية الأدبية التي تعود نشأتها إلى فكرة المبدأ الحواري التي جاء بها الناقد الروسي **ميخائيل باختين**.

بل إن **تودوروف** يعده أكبر منظري الأدب في القرن العشرين ومؤسس التداولية الحديثة في ضوء ما قرره من رؤى وتصورات تعلي من التفكير التداولي في ميدان تأويل النصوص الأدبية مثل: السياق الاجتماعي والتاريخي، أو ما يسميه بسياق التلفظ، والتفاعل بين المتخاطبين، وقيم الملفوظ، والتنبير أو النبرة فهي موجه لما هو اجتماعي في الخطاب بعامة والأدبي منه بخاصة، خصوصا أنّ اللغة في استعمال المتخاطبين وفي النص الإبداعي في الواقع مشتتة ممزوجة بنوايا المستخدمين، واللغة بالنسبة إلى الوعي الذي يعيش داخلها ليست نظاما مجردا معياريا من الأشكال، بل هي مواقف من العالم، وكل كلمة فيها تحمل طابع المهنة والنوع والاتجاه والنزعة والعمل والشخص والجيل والسن[٧].

كما أفادت التداولية الأدبية من جملة المبادئ السيميولوجية التي ورثت بدورها مبادئ **بروب** في تحليل الحكاية الشعبية على يد **غريماس** و**بيريموند** وغيرهما، ثم ما لبث هذا التوجه السيميولوجي أن أسفر عن منظومة متسقة من الإجراءات المنهجية التي وجهت نحو تداولية الخطاب الأدبي مستثمرة تلك القواعد التحليلية السيميولوجية المعنية بالكشف عن الأبنية الوظيفية ضمن حركة أشمل مثلها علم تحليل الخطاب[٨].

---

(٦) عبد القادر بوزيدة، **ملاحظات ومقارنة بين بعض الاتجاهات التداولية باختين ومانقنو نموذجا**، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، عدد ١٧، ص ٤٧.

(٧) المرجع نفسه، ص ٤٥.

(٨) صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص ١٠٥.

أن التحليل السيميولوجي ذاته أفاد لاحقا من نظرية أفعال الكلام (Actes de Parole) بخاصة في سيمياء المسرح والدراما، فقد انتهى رواد هـذا الاتجـاه إلى أن قـدرة اللغة الاجتماعية والتواصلية والأدائـية هي التي تسيطر في الدراما التي تنشأ خطابا كنائيا يتألف مـن نظام مـن الأقـوال والأفـعال(٩)، وفي كتابه النظرية الأدبية يواصل **جونتان كولر** إبراز أهمية نظرية الأفعال اللغوية/ الكلامية في تحليل المنطوقات الأدبية، بالإضافة إلى تلك العـلاقة الشبيهة بين الأدائية واللغة الأدبية، مما يمكن من تصور الأدب فعلا(١٠).

لقد سجلت تداولية الفعل اللغوي حضورا مهما في نظرية الاستقبال، وأعمال مدرسة **كونستانس** الألمانية، بل يمكن الحديث عن تداولية تأويلية عند **ياوس** و**إيزر**(١١).

في هذا السياق المنهجي لم يعد الأدب بنية شكلية مغلقة، معزولة عن سياقها مما أتاح المجال إلى عودة تلك العلاقة القديمة بين الشعر والخطابة، فالدراسة التداولية للأدب في ضوء هذه العلاقة الجديدة تقوم على اكتشاف الأبعاد الغرضية فيه من خلال دراسة الإيحاءات والإفتراضات المسبقة والقيم الحجاجية والإشهارية فيه مع ربطها بالعالم الخارجي فيما يتصل بعالم الكاتب وإيديولوجيته وسلطة القارئ ورغباته، وكذا فعالية القوى الثقافية والاجتماعية وأنظمة النشر والتوزيع وغيرها(١٢).

---

(٩) محمد العبد، **تعديل القوة الإنجازية**، ص١٣٥ .

(١٠) جونتان، كولر، **مدخل إلى النظرية الأدبية**، ترجمة مصطفى بيومي عبد السلام، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة ٢٠٠٣، ص ١٣٥ .

(١١) محمد العبد، **تعديل القوة الإنجازية**، ص١٣٦ .

(١٢) ميجان الرويلي وسعد البازعي، **دليل الناقد الأدبي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، سنة ١٩٩٢، ص ١٠٢ و١٠٣ .

في مقابل النص الأدبي – مثلا – يمكن أن يظهر النص الحجاجي الذي تترسخ فيه الظاهرة الحوارية على الصعيدين الفكري والتواصلي[١٣] مشترطا جملة من القواعد لبنائه وتقبله، ومن ثم تأويل مقاصده، وفي هذا السياق يقوم الفعل الحجاجي – كما يؤكد **مارك أوجنو** – بتقديم الحجج من الشك إلى المحتمل من أجل اختزال الشك والتغلب على مقاومات التردد، وتذويب المسبقات الفكرية الجاهزة[١٤].

لقد طفقت الدراسات في ميدان تحليل الخطاب تهتم بالجوانب الخطابية والبلاغية التي توجه النشاط الاجتماعي للأفراد الذين يظلون في تواصل مستمر وفعال مع المحيط بمؤثراته ومحفزاته وإكراهاته مما كان له كبير الأثر في عودة البلاغة بقوة إلى مجال التواصل، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن التداولية الحديثة في صميم نظريتها بلاغة للخطاب من حيث كونها طرائق وآليات لفهم القول وأساليب صياغته في المقامات التخاطبية المختلفة، وهذا ما عبر عنه **ليتش** صراحة بعدّه التداولية بلاغة في صميمها[١٥].

إن القارئ العربي لم يخرج بعد بسبب تخلفه الفكري من طريقة الفهم التسطيحية التي حصرت البلاغة في القواعد المعيارية والأمثلة الجزئية، ودليل ذلك انهماك الجامعات العربية في تدريس أصول البلاغة، وإعادة كتابة ما قدمه **أحمد أمين**

---

(١٣) حبيب عراب، **الاستدلال الحجاجي**، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت ن مجلد ٣٠، يوليو –سبتمبر، ٢٠٠١، ص ١٠٢.

(١٤) عبد السلام عشير، **عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج**، إفريقيا الشرق، ط١، سنة ٢٠٠٦، ص ١٣.

(١٥) أوليفي روبول، "**هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي**"، ترجمة محمد العمري، مجلة علامات في النقد، جدة، عدد٢٢، مجلد ٦، ديسمبر سنة ١٩٩٦، ص ٧٦ و٧٧.

وعلي **الجارم** نقلا عن عصر الضعف دون فتح لآفاق الموروث على المناهج الغربية التي ربطت البلاغة باللسانيات ونظرية التواصل والعلوم النفسية والاجتماعية.

يظهر مسح سريع لأهم ما كتب في عصرنا في مصر والشام والخليج العربي هذه النزعة التراثية التي خيمت على البحث البلاغي، وأقسام اللغة العربية في أغلب البلاد تدرج البلاغة ضمن العلوم الأدبية ملحقة إياها بالنقد الأدبي وفي هذا المنحى مزالق كثيرة، وخروج عن مسلكها الاتصالي الذي ترومه منذ عهد **أرسطو** و**الرواقيين**، مرورا **بالجاحظ** و**الجرجاني** و**السكاكي** ووصولا بها إلى عصر اللسانيات وتحليل الخطاب.

إن لمن أولى المساعي التي حرصت على تقديم المنهج التداولي إلى القارئ العربي منذ فترة مبكرة أداة لقراءة التراث، في مسعى نقدي تقويمي هو الفيلسوف المغربي **طه عبدالرحمن** الذي يعود إليه السبق في تقديم المقابل العربي **"تداولية"** للمصطلح الأجنبي (Pragmatics/Pragmatique)، ولعلي أعده من القلائل في الوطن العربي ممن شغل بدرس التداوليات نظرية وتطبيقا، وذلك من خلال مؤلفاته الكثيرة في مجالات المنطق وفلسفة اللغة ونقد التراث الكلامي والفلسفي.

لقد نحا **طه عبدالرحمن** في تحليل ظاهرة التخاطب منحى علميا شاملا في الكشف عن آليتها والقواعد التي تنضبط بها الدلائل فيها وعلاقتها بمستعمليها والمقاصد التي توجه التداول الخطابي بينهم ممارسة وتفاعلا[١٦]. ويقوم مشروعه في بناء التفكير التداولي العربي في ضوء علاقة التناسق والتكامل بين الحمولة التراثية الزاخرة وما تقدمه المنهجية الغربية في الفلسفة والمنطق على جملة من الأسس، لعل أهمها نقده

---

(١٦) طه عبد الرحمن، **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، سنة ١٩٩٨، ص ٢٩-٣٠ وانظر أيضا، آمنة بلعلى، **المنطق التداولي عند طه عبدالرحمن وتطبيقاته**، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، جانفي ٢٠٠٦، ص ٢٧٨.

للنظريات الغربية وفي مقدمتها مبدأ التعاون الحواري لـ: **بول غرايس**، فقد نعى عليه تركيزه على الجانب التبليغي دون التركيز على الجانب التعاملي المتصل بالاجتماع والأخلاق اللذين يؤطران القيمة التهذيبية في الكلام، والتي تتحكم بدورها في صناعة المعنى وتوجيهه في التخاطب اليومي(١٧).

٢- التصور التداولي الفلسفي، وعلاقته بتحليل الخطاب العربي

يعرض **طه عبد الرحمن** إلى مبدأ التأدب الذي يقوم على ثلاثة قواعد متضامنة فيما بينها بفضل تحقق مقاصد لإصلاح السلوك، المبنية بدورها على مبدأ التواجه، وهي: ١- قاعدة التعفف، ٢- قاعدة التشكك، ٣- قاعدة التودد، ٤- قاعدة التواجه. لقد حاول طه عبد الرحمن بأسلوب توليفي جذاب أن يجسد التواصل البناء والهادف بين التراث الإسلامي والتفكير الغربي الحديث، غير إنه لاحظ أن هذه القواعد المستخلصة من التراث الإسلامي مثل: قاعدة الصدق وقاعدة القصد، وقاعدة الإخلاص في ترابطها مع قاعدة التأدب والتواجه والتأدب الأقصى لا تشكل أدوات ضبط للخطاب الأدبي في الغالب، لذلك لجأ إلى آليات أخرى لتصنيف الخطابات في مستوى آخر من مستويات التخاطب مثلما تجلى ذلك في نظرية الحوار(١٨)، وتقوم الحوارية عنده على نوعين من الشروط، أولاها شروط(١٩) النص الاستدلالي من برهان وحجاج، وثانيها شروط التداول اللغوي مثل النطقية والاجتماعية والاعتقادية والإقناعية، مما يفسح

---

(١٧) المرجع نفسه، ص٢٥٣.

(١٨) آمنة بلعلى، **المنطق التداولي عند طه عبد الرحمن**، ص ٢٨٤.

(١٩) المرجع نفسه، ص ٤٣٦.

المجال نحو التمييز بين مراتب الحوارية الثلاث، وهي الحوار (العرضية) والمحاورة (الاعتراضية) والتحاور(التعارضية)[٢٠].

إن نظرية **طه عبدالرحمن** في المجال التداولي تتميز بالطابع التجريدي المونولوجي الذي يغطي خطابات عربية متنوعة في الماضي والحاضر، بل وتستشرف تفجير كثير من البنيات الفكرية المكبوتة في التراث العـربي بخاصة في المساجلات والمناظرات، مقترحا في هذا الإطار نزعة جديدة يصطلح عليها بالمعاقلة الحية بدلا عن العقلانية المجردة، وفي هذا السياق يحدد الفروق الأساسية بين العقل والمعاقلة فهي ليست جوهرا قائما بالنفس، وإنما فعالية تحصر بالتعاون بين أفـراد الجنس البشري تكون محصلتها العمل في ضـوء الاتفاق والاختلاف[٢١]. لقد أسفر تأسيس الشـروط التداولية للمناظرة في تركيز طه عبد الرحمن على الجانب التلفظي عن تغييب لعنصر الموجه الذي يتخذ بعدا سلطويا كما في مناظرة **متى بن يونس** و**أبي سعيد السيرافي** مع **الوزير ابن الفرات**، أو بعدا سرديا كما في حالة **أبي حيان** في المناظرة نفسها حيث يمكن الإفادة من نظرية المستويات السردية عند **ج. جنيت**، وبعدا نفعيا بالإضافة إلى ذلك[٢٢].

ممن تأثر به في المجال اللساني **أحمد المتوكل** الذي أفاد من التصور التداولي الغربي في تأسيس نظرية للنحو الوظيفي في اللغة العربية في سياق مراجعة الفكر اللساني الغربي، من خلال كتبه التي يتصدرها الوظائف التداولية في اللغة العربية سنة

(٢٠) طـه عبدالرحمن، **في أصول الحـوار وتجديد علم الكـلام**، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، سنة ٢٠٠٠، ص ٢٨ و٤٢.

(٢١) طـه عبدالرحمن، **تجديد المنهج في تقويم التراث**، المركز الثقافي، ط٢، الدار البيضاء، بيروت، سنة ١٩٩٣، ص ٣٨.

(٢٢) وحيد بوعزيز، **التداولية في الخطاب العربي المعاصر**، ص ٢٣٦.

١٩٨٥، وهذه الدراسة بالرغم من تنزلها في سياق نحوي بها لا يمس مباشرة الحقل الأدبي تسمح بلا شك بتكوين أفق جوهري في مقاربة النص الأدبي الذي مازال خطابنا النقدي غير قادر عن الإحاطة بجوانبه التداولية كمّا وكيفا.

٣- الاتجاه التداولي في لسانيات العربية

من أهم محاولات التعريف والتمثيل للاتجاه التداولي في اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة محاولة **محمد صلاح الدين الشريف** الموسومة بـ: تقديم عام للاتجاه البرغماتي ضمن دراسة أهم المدارس اللسانية التي صدرت سنة ١٩٨٦، والتي أشرف عليها **عبدالقادر المهيري**، والتي خصصت لتوضيح نشأة التداولية، وأهم قضاياها المفصلية في الفكر اللساني الحديث بصورة مختصرة ومركزة في الآن نفسه، موجهة خصيصا لطلاب الجامعات.

ولعلنا نتلمس تلك العناية بدراسة النص العربي من الناحية الشكلية والتداولية، ولو بشكل عابر ومختصر فالح بن شبيب العجمي الذي عرض في دراسته الربط الذرعي في النص العربي إلى خاصية الربط التي تقوم عليها النصوص اللغوية معتمدة أدوات إحالية وإشارية لم تدرس في الثقافة النحوية العربية بالشكل الكافي - بحسب رأي الباحث - كما أن دراسة طرق الربط تستلزم استعراض أسس النص التداولية في علاقتها بسمة الترابط النصي[٢٣].

وفي سبيل إماطة اللثام عن هذا التصور يعرض البحث إلى مسيرة التفكير في النص ومتطلباته الترابطية عند القدماء من خلال التعريج على نظرية النظم، ثم وصف

---

(٢٣) فالح بن شبيب العجمي، "**الربط الذرعي في النص العربي**"، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد ١٢، عدد ١، سنة ١٩٩٤، ص٢٥٣

جامع لمحاولات المحدثين الغربيين النصوصية، والمهتمة بموضوعات مثل الإحالة، ومرجعية النـص وتكرارية المعاني وغيرها(٢٤)، والوقوف عند محاولات لسانية اتخذت من موضوع الربط الذرعي مشكلة بحثية، هذا ويشير الباحث إلى سبب اختياره لمصطلح الذرعية بدلا على البراغماتية قصد الابتعاد عن الظلال الاجتماعية لمصطلح البراغماتية(٢٥)، أما لبّ الموضوع فيمكن حصره في عرض ومناقشة الروابط الذرعية في اللغة، وهي نوعان: ١- روابط إحالية (Anafora)، و٢-روابط إشارية (Catafora)، أما النوع الأول فيمكن أن يستخدم بشكل متكرر متى أراد المتكلم ذلك بين لا يمكن استخدام أكثر من عنصر إشاري واحد قبل أن تذكر الوحدة المشار إليها في الرابط الإشاري(٢٦).

أما عـن أهـم التركيبات التي تظهر فيها الروابـط الإحالية في اللغة العربية فيمكن إجمالها – عند الباحث – في الموضعة (Topicqlisation)(٢٧)، والتبئير (Focusing)، والتركيـب الفـصلي (Cleft construction)، والتركيب شبه الفصلي (Pseudo-Cleft Construction)(٢٨)، أما الربط الإشاري فيحدد الباحث تحققه في النص من خلال نماذج معينة مثل: أسلوب ضمير الشأن، وأسلوب إبراز الوصف الذرعي(٢٩).

---

(٢٤) المرجع نفسه، ص٢٥٤

(٢٥) المرجع نفسه، ص٢٥٥

(٢٦) المرجع نفسه، ص٢٦٥، كما ضم هذه الروابط الإحالية على نمطين شكليين مختلفين هما الترابط الأفقي التسلسلي والترابط المركزي، انظر تعريفها في البحث المذكور، ص ٢٥٦ – ٢٥٧.

(٢٧) يعتمد الباحث في تحديد مصطلح الموضعة وتمييزه مدخلا وظيفيا معروفا عند **سيمون ديك** و**أحمد المتوكل** في دراساته للمحور والبؤرة والذيل وغيرها، انظر **أحمد المتوكل**، الوظائف التداولية في اللغة العربية، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة، ١٩٨٥، ص ١٣٧ – ١٣٨ وما بعدها.

(٢٨) فالح شبيب العجمي، **الربط الذرعي**، ص٢٦٣-٢٦٤.

(٢٩) المرجع نفسه، ص ٢٦٦.

كما يناقش الباحث الفروق الكائنة بين جملة من المفاهيم الذرعية المرتبطة بمستويات الربط عبر عرضها في ثنائيات، وهي (المسند إليه والمسند) و(الموضوع- الحديث)، و (المبأر الرتيب)، و(القديم - الجديد)(٣٠).

بالرغم من أهمية الموضوع المطروح بخاصة في الفترة التي نشر فيها هذا البحث إلا أن صاحبه عرضه بشكل وصفي مختصر، لم يستوف فيه جانبا مهما بالنظر إلى عنوانه، وهو الجانب التطبيقي النصي، أما عن أهم الدراسات الحديثة التي حاولت عرض الإطار النظري لنظرية الحجاج في علاقتها بالتداوليات الحديثة وتحليل الخطاب فيما وقعت عليه يد البحث أنموذجا لدراسات أخرى سلكت المسلك ذاته دراسة **عبدالسلام عشير**(٣١)، التي تأسست على محاولة عرض النظرية التداولية المعرفية في بعديها المنهجي والتطبيقي.

إن هذه النظرية المنفتحة على نظرية المعرفة ولسانيات الجيل الثالث (اللسانيات العرفانية) تهتم بجملة من القضايا التي دار حولها النقاش بين أنصار نظرية الفضاءات الذهنية بزعامة **فوكوني** ونظرية القالبية **لفودور**(٣٢)، وكلها أسئلة ترتبط بأصول التواصل، ومشكلات الفهم والتأويل المرتبطة به، ومسائل الاستقبال والتخزين والربط وغيرها في المستوى الذهني، كما تركز في المستوى المعرفي على المعطيات الداخلية في الذاكرة والخارجية في ظروف التواصل العامة. وفي السياق ذاته تركز الدراسة على مفهوم

(٣٠) المرجع نفسه، ص ٢٦٨.

(٣١) ركزنا على هذه الدراسة بوصفها مثالا يمكن أن يعبر عن كتابات أخرى تتنزل في الإطار ذاته.

(٣٢) المرجع السابق، ص٣١.

(٣٣) Sperber .D,Wilson La pertinence, communication et cognition ,Paris ,ed De Minuit,p200

التأويل التداولي في نظرية الإصابية (pertinence) التي تقوم على دراسة اختيار ما يأخذ باهتمام المتخاطبين، وما يؤثر فيهم من أقوال وحجج(٣٣).

إن الإصابية علاقة ترتبط بمجموعة من البراميترات السياقية والقولية المعرفية والمنطقية ذات وظيفة توجيهية للقول ضمن مجموع القيم الخارجية(٣٤)، وهكذا تتحول الإصابية إلى مبدأ ملازم للفعل التواصلي لا تنفك عنه. ولعل من أهم ما يرتبط بمسألة الفهم العلاقة الرابطة بين التأويل والسياق الذي يتكون من المعلومات المفهومية والمعلومات الفيزيقية المؤطرة للسياق والمتراكمة في الذاكرة(٣٥)، وهذه المعلومات الكثيرة والمتداخلة تطرح كيفية اختيارها واستثمارها بناء على متطلبات السياق، وهذا الوضع يقتضي تحقق مبدأ الملاءمة، أو ما اصطلح عليه بـ: الإصابية. فالتواصل الإنساني بين أفراد العالم الواحد، وحتى مع الكون بمكوناته الأخرى يفرض نظما تواصلية مختلفة تعتمد علامات مختلفة منها العلامات الشمية واللمسية والذوقية والبصرية ناهيك عن السمعية والتلفظية التي تتحول في التواصل إلى صور ذهنية قابلة للتخزين، ترمز للكائنات والوقائع والأحوال المختلفة.

إن التواصل البشري نظام رمزي بالدرجة الأولى مبني على قواعد تركيبية وعلاقات دلالية(٣٦)، وتحت هذا الإطار الموضوعي يمكن مناقشة القضايا التالية:

---

(٣٤) عبدالسلام عشير، **عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج**، ص ٣٤.

(٣٥) جدير بالذكر أن علماء النفس المعرفي يقسمون الذاكرة إلى ذاكرة قصيرة المدى وهي ذاكرة العمل الرئيسة وذاكرة بعيدة المدى تستحوذ عليها المعلومات المفهومية وذاكرة متوسطة المدى تتراكم فيها تأويلا الأقوال المباشرة.

(٣٦) المرجع نفسه، ص ٣٨

١- مضمون التواصل، ٢- المقاربة الترميزية والفهم الدلالي، ٣- المقاربة الاستنتاجية(٣٧)، ٤- التداوليات الاستنتاجية ومفهومي التضمين والسياق، ٥- مفهوم المعرفة المشتركة في التداوليات المعرفية. وعلى صعيد تمعين العلاقة الرابطة بين التواصل والتحليل التداولي للخطاب تشتغل الدراسة على محاولة إبراز أهمية التحليل التداولي اللساني للخطاب في سياق وصف كرونولوجي لمسيرة البحث في نظريات الخطاب المتوسلة التحليل اللساني انطلاقا من أعمال أعلام الفلسفة التحليلية مثل: **أوستن** و**سيرل** و**غرايس**.

لقد دارت نظرية أفعال اللغة حول مدى تحقق الفعل بوضوح أو بصورة ضمنية لدى السامع في السياق التواصلي الذي يؤطر الفعل المنجز(٣٨). يقول **أوستن**: **"لقد درست اللغة في ذاتها بكثير من العمق، وهي اليوم ينبغي أن تدرس من أجل حقيقة أخرى هي حقيقتنا نحن كأشخاص نتكلم"**(٣٩). وفي هذا السياق يذكر **عبد السلام عشير** أن التداوليات هزت كثيرا من الوثوقيات والقناعات في التحليل اللساني الدلالي على اعتبار أن ممارسة اللغة إنجازا وإبداعا وأخلاقا هي قاعدة كل أنواع الإبداعات الكائنة والممكنة، لذلك اتجهت التداولية من خلال الذهن البشري إلى استكشاف عوالم الذات البشرية فيما يعرف اليوم بـ: معرفَة التداولية (cognitivation de la pragmatique)(٤٠).

---

(٣٧) يملك الذهن البشري آليتين للتواصل أولاهما الترميز وثانيهما الاستدلال أو الاستنتاج فيقوم التواصل أولا على استعمال السنن ثم يلجأ إلى الاستدلال لاستخراج الأحكام والبرهنة عليها. وفي هذا السياق يفترض التداوليون أن ما يتم إيصاله بواسطة الأقوال هو إرادة القول أما المضمون فيتم حل عقده ترميزيا وأما التضمينات فتستنتج.

(٣٨) المرجع نفسه، ص ٦١.

(٣٩) Quand dire c est fair, p12

(٤٠) Sperber .D,Wilson La pertinence, communication et cognition ,Paris ,ed De Minuit, p 63

لقد غدت التداولية في سعيها إلى سبر الذات معرفة عميقة تتغلغل في جوهر الكائن الإنساني في علاقته مع الأحداث والعالم واللغة التي تمثل أداة المعرفة والاتصال، بل راحت تطرح الأسئلة الثقافية المتصلة بالواقع والوجود الإنسانيين من خلال مدارستها لطبيعة العلاقة القائمة بين الشكل والدلالة والسياق، مع التمييز بين القدرتين الإنجازية والتأويلية، ومحاولة التعرف على سبل الوصول إلى مقاصد المتكلمين في ضوء ظروف التخاطب المتغيرة[٤١]. وفي سياق ذلك قامت نظرية أفعال الكلام لأوستن (١٩٧٠) التي صاغها في كتابه Quand dire c est faire.

أصبح لهذه النظرية صدى كبير في الدرس اللساني والفلسفي المعاصر، فتغيرت كثير من التصورات التي حصرت التحليل اللغوي في حدود الجملة ومكوناتها النحوية، فانفتح الدرس اللساني على دراسة الخطابات المختلفة بوصفها صورا لغوية تتجلى فيها عمليات التخاطب والتبليغ المختلفة شكلا وسياقا، وتبوء مفهوم الإنجاز مركز الرحى في هذه النظرية التي يتحول في إطار القول اللساني إلى فعل له تأثيره واقتضاؤه، يقول مارتن: ما يجب تعريفه في التداولية ليس إلا ما يشكل مرجعية لمجموع الأفعال، كما هو الشأن بالنسبة لمجموع الأقوال في النص أو الخطاب[٤٢].

إن تحليل الخطاب بعامة والخطاب الأدبي بخاصة لا يمكن أن يتوقف عند وصف بنية الكلمة أو الجملة، أو حتى إبراز دلالتها المركزية ودلالاتها الحافة في السياق اللغوي، بل لابد أن يتجاوز وصف نظام اللغة إلى وصف العلاقة بين هذه النظام والأبعاد التي يحتفي بها النص بوصفه عملا قوليا يؤشر لوقائع وأفعال لغوية لها أثرها الاجتماعي والنفسي والثقافي والديني والاقتصادي، فمغزى عبارة أو صورة أو مقطع

---

(٤١) Dictionnaire Encyclopedique de la pragmatique, p 499

(٤٢) عبد السلام عشير، **عندما نتواصل نغير**، ص ٦٦.

لا يتحدد بمكوناته المعجمية والتركيبية بقدر ما يتحدد بمراد القائل ومقاصده التي يفترض تأويلها من طرف المتلقي سامعا كان أو قارئا في ضوء رؤية مشتركة للعالم، وتبصر بأحوال اللغة في التواصل، هذه اللغة التي تقصد أكثر ما تعني، وتعني أكثر مما تقول على ألسنة المستخدمين، ولها ستكون نظرية اللغة نظرية في تأويل إنجاز الأفراد المنبثقة عن ملكات متعددة تندمج كلها في ملكة التبليغ اللساني.

٤ – الدراسات الدائرة حول الحجاج والخطاب الحجاجي

لعل أهم موضوع شغلت به التداولية المعاصرة موضوع الحجاج[٤٣] من حيث آلياته ومفاهيمه وأهم نظرياته، وفي هذا السياق لابد من التنويه بجهود حلقة البحث التونسية التي أشرف عليها حمادي صمود[٤٤]، التي أنجزت عملا مطبوعا مهما لهذا المجال يكاد يكون أهم عمل أكاديمي عربي جماعي أنجز في هذا المجال.

مما لا يخفى على المهتمين ذكره في هذا المقام أن الدرس البلاغي العربي القديم في مقاربته للنص الأدبي شعرا ونثرا قدم إسهامات مهمة يمكن أن تدرج في الموروث

---

(٤٣) يعد الحجاج فعلا طبيعيا من أفعال اللغة، ولكي يحصر مفهومه لا مناص من مقابلته مع الحجة والاستنتاج، فالحجاج ليس مرماه التطرق للكلام عن الأدلة، كما أنه ليس خطابا مهتما بالمبادئ المنطقية كعملية استنتاج، وبمعنى آخر أن تحاج لا يعني أن تبرهن على صحة فكرة ما، ولا أن تبين الطابع المنطقي الحصيف لعملية نظر، أن تحاجج يعني إعطاء أسباب وحقائق لنتيجة ما، انظر: Jacques Moeschler, argumentation et conversation ,element pour une analyse pragmatique du discours, serie ;langues et apprentissage des langues,1996, p 46.

(٤٤) فريق البحث في البلاغة والحجاج، **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، منشورات كلية الآداب، منوبة، مجلد xxxix

التداولي الحجاجي، وقد عضدته في لحظات تشكله وتطوره آراء المناطقة والأصوليين وعلماء الكلام والمفسرين، ولعل سلسلة دراسات محمد العمري بخاصة كتابه: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها تكشف عن ذلك الجهد المنهجي الذي قدم من لدن تلك النخب، والذي يصلح مدونة ثرة ينطلق منها لتطوير النظرية التداولية الحديثة، ونظريات الحجاج المتفرعة عنها التي كان لفلاسفة اكسفورد بخاصة دور بارز في تطويرها.

كما شارك **ستراوسن** و**كارناب** ثم **جاك موشلار** في بلورة كثير من قضايا الحجاج بخاصة في كتابه الصادر سنة ١٩٩٦ بعنوان النظرية التداولية والتداولية التخاطبية (Latheorie pragmatique et pragmatique conversationnelle).

هذا وقد أكد **موشلار** أن الحجاج لا يعد إطلاقا من طبيعة برهانية، أي لا علاقة له بالمنطق الصوري الأرسطوطاليسي الذي يبنى على مقدمتين صغرى وكبرى تفضيان بالضرورة إلى نتيجة وفق مبدأ السببية، ويبدو أن قيام الحجاج حاصل بفضل علاقات يسيّرها الرفض والسجال، وفي هذا السياق وجه **موشلار** إلى وجود علاقة حجاجية بين (س) و (ع) حينما يكون أحد الملفوظين س مقدما كي يقنع، فهو يسوغ الآخر (ع) فـ (س) يعد الحجة، أما (ع) فهي النتيجة، ولن تكون العلاقة الحجاجية بالضرورة بين ملفوظين ظاهرين، إذ يبدو أحيانا أن النتائج تكون مضمرة، كما يمكن أن تكون بعض الحجج من طبيعة غير لسانية، وفي حال كونها مضمرة لا بد أن تكون مقبولة ومستوعبة، كما أنّ وجود الحجج لصالح النتيجة يحتم توافرها على توجيهات داخلية تخدم نتيجة واحدة فقط، أو توجيهات ضدية في حال تعدد النتائج وتناقضها[٤٥].

---

(٤٥) ibid ,p52-53، وانظر وحيد بوعزيز، **التداولية في الخطاب العربي المعاصر**، مفهوم المناظرة، الأسس والمساءلات، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، عدد!٧، ص ٢٢٥

إن المتتبع لما صاغه **الجرجاني** في كتابيه **دلائل الإعجاز** وأسرار البلاغة يمكنه إدراك البعد التداولي الرئيس للخطاب العربي بوصفه تمظهرا للغة العربية من خلال تكريس دور السياق وأثره في تمييز المعنى والمغزى والوقوف عند الغايات الحجاجية والاجتماعية والنفسية للمتخاطبين، ولنا مراجعة ما دون تحت موضوعات التقديم والتأخير بعامة وفي النفي بخاصة، والفصل والوصل والحذف والشرط والاستفهام لندرك مدى تفتيقه للمعنى الجديد، وتأويله للدلالة حين تخرج عن مقتضى الظاهر في ضوء العلاقة القائمة بين السياقين اللغوي والحالي.

غير أنه لم يأبه كثيرا على شاكلة نقاد وبلاغيي العصر القديم بالجوانب الافتراضية في إنشاء معاني الأقوال بناء على سياقات مفترضة أيضا جريا وراء المعنى الحقيقي الذي أطر بالبحث في الإعجاز القرآني وبسامع يعنى بقبول المعنى أو رفضه دون تأويل أو مساءلة(٤٦).

ولعل مسعى التداولية اللسانية لدراسة المفترض والمضمر من القول كان أساسا موجها إلى دراسة الروابط اللسانية ذات الوظيفة الحجاجية في علاقتها بالبنيات الاستدلالية الداخلية وبنيات الوقائع الخارجية مثل النموذج والشاهد والمثل والتمثيل، وهي أدوات حجاجية قمينة بأداء أدوار إقناعية أساسية في الخطاب متى ما وظفت توظيفا منطقيا وفق خطة استراتيجية مدروسة سلفا، كما عنيت التداولية الحجاجية بدراسة جدوى القياس الطبيعي في توليد الخطاب الطبيعي(٤٧).

أما القياس التداولي فيشكل ممارسة استدلالية استكشافية للمعرفة تنقل مستخدمي اللغة من حكم إلى آخر، مثل قياس المفرد على المفرد أو الحدث على الحدث،

---

(٤٦) المرجع نفسه، ص٨١.

(٤٧) المرجع نفسه، ص٩٤-٩٨.

وهكذا مما يعني حمل المتكلم للمخاطب على الإفادة من القياس إفادة سلوكية لاشتماله على عنصر القيمة الفكرية التي ترتبط بتغيير المحيط التداولي للفـرد عن طريق الإقناع بمضمون القول عملا به أو كفا عنه(٤٨).

يتميز الخطاب الحجاجي عن باقي الخطابات الأخرى بكونه خطابا مبنيا وموجها وهادفا ومبنيّا بناء استدلاليا يتم فيه اللجوء إلى الحجة والاستدلال والمنطق والعقل، وموجها مسبقا بظروف تداولية تدعو إليها إكراهات قولية أو اجتماعية أو ثقافية أو علمية أو سياسية تتطلب الدفاع عن الرأي أو الانتصار لفكرة، أو تتطلب نقاشا حجاجيا يلامس الحياة الاجتماعية أو المؤسساتية، بهدف تعديل فكرة أو نقد أطروحة أو جلب اعتقاد أو دفع انتقاد(٤٩)، وللحجاج أبعاد تداولية رئيسة لعل أهمها البعد السياقي والبعد الشمولي التفاعلي والبعد التعاملي الأخلاقي والبعد التوسعي في أفعال اللغة والبعد التنظيمي الاستراتيجي(٥٠).

أما سائر الآليات المساهمة في بناء الحجاج فهي الآليات المعرفية الممثلة بالاستدلال والفرضيات والآليات المجازية التي تقوم على التمثيل أو التخييل كالاستعارة(٥١) التي تعد من أبرز آليات الحجاج اللغوي في صورته البيانية والجمالية بخاصة في الشعر، وإذا

---

(٤٨) مجلة المناظرة، عدد ٤\٨٩.

(٤٩) عبدالسلام عشير، **عندما نتواصل نغير**، ص ١٢٨ وانظر طه عبدالرحمن، **اللسان والميزان**، ص٢٢٦، وانظر Essais sur l argumentation, p146.

(٥٠) المرجع نفسه، ص ١٠٤.

(٥١) المرجع نفسه، ص ١١٥ وفي هذا الصدد يعرض الباحث إلى أهم التصورات النظرية التي قدمت في موضوع الاستعارة قديما وحديثا مركزا على موقعها في النظرية الدلالية لسيرل وإيكو وكذا في النظرية التصورية لـ: لايكوف.

كانت الاستعارة الشعرية تتملك السامع أكثر مما ترغمه، فإن الاستعارة الحجاجية تكون أكثر قهرا واقتسارا[٥٢]، وفي هذا السياق تؤدي الآليات المجازية سلسلة من الوظائف بعضها متعلق بالمتكلم وبعضها الآخر متعلق بالسامع كوظيفة تحريك الخيال ووظيفة تزيين القول وتكثيفه[٥٣].

كما خصصت الدراسة الفصل الثالث لمدارسة إستراتيجية الخطاب الحجاجي في ضوء إمكانات التحقق وإشكالات التأويل عبر تحديد طبيعته الاستدلالية التي تجعل منه حوارا ثنائيا أو متعدد الأطراف غايته تبسيط الأفكار، وعرضها وتأكيدها أو نفيها من خلال عملية لسانية ذهنية تهدف إلى إرضاء العقل من جهة وإرضاء الآخر من جهة ثانية مما يعني ضرورة بناء خطة هادفة تراعي مقتضيات السياق الاجتماعي والسياسي والثقافي الذي يحدد فضاء الحجاج[٥٤].

تقوم هذه الخطة على مراعاة خصائص عامة تحدد شكل الخطاب الحجاجي، يمكن إجمالها في: ١- خاصية البناء والدينامية، ٢- خاصية التفاعل، ٣- خاصية الالتباس، ٤- خاصية التأويل، ٥- خاصية الاعتقاد، ٦- خاصية الانتهاض إلى العمل[٥٥]، كما تستطرد الدراسة في فحص أطر وطرائق الاستدلال الحجاجي التي تعطي الخطاب الحجاجي شكله النهائي في السياق التواصلي المعين، من خلال منظومة من التقنيات التي يتصدرها التعريف الحجاجي الذي يشكل مدخلا للحجاج فحاجته

---

(٥٢) المرجع نفسه، ص ٨١.

(٥٣) المرجع نفسه، ص ١٢٣.

(٥٤) المرجع نفسه، ص ١٢٨.

(٥٥) المرجع نفسه، ص١٣٤ وانظر طه عبد الرحمن، **اللسان والميزان**، ص ٢٣٧.

قائمة في حال تحديد مفهوم يكون أرضية مشتركة للمتخاطبين[٥٦]، أما الأشكال المجازية للتعريف فقد لخصها الدارسون في: ١- التعريف الموجه، ٢- التعريف المكثف والشعار، ٣- التعريف بالمقارنة والمخالفة[٥٧].

للحجاج أشكال مختلفة تبعا لتنوع الحجج المعتمدة في الإقناع، وهي التي ترهن بناءه السليم، ليحقق أغراضه التداولية، ولعل أهم أنواع الحجاج ما كان مغالطيا (Paralogisme)، ويقوم الحجاج المغالطي إحداث اللبس في الألفاظ والمقدمات ليضطرب فهم المحاور مثل المصادرة على المطلوب والأسئلة المتعددة، وسحب صفة الكل على الأجزاء، كما يمكن الحديث عن أنواع أخرى للحجاج مثل الحجاج الإشكال والحجاج الذي ينطلق من الشخص ذاته، ويبدو أن تنوع أشكال الحجاج راجعة أيضا إلى تنوع الحجج ذاتها[٥٨].

في هذا الإطار ميز الدارسون بين ما هو موضوعي وما هو ذاتي وبين ما هو صائب وما هو خاطئ تبعا للسياق والموضوع الذي تظهر فيه، مثل الحجاج بالسلطة والحجاج بالتجهيل والمغالطة المعرفية والحجاج بالقوة، والمحاجة الجماهيرية والمحاجة الانفعالية والحجاج بالمصادرة عن المطلوب[٥٩].

كما تتوسل دراسة **عبد السلام عشير** بحث طرائق وتقنيات الخطاب السياسي بوصفه أهم مظهر خطابي تعلو فيه القيمة الحجاجية للغة من خلال تحقيق نوع من

(٥٦) المرجع نفسه، ص١٤٢، هذا وتتفرع صور التعريف الحجاجي إلى أشكال مختلفة تقوم بأدوار فرعية متباينة في بناء الحجاج من ذلك التعريف بالمفهوم والماصدق، والتعريف التفسيري والتعريف بالوصف والتعريف الإجرائي، انظر ص ١٤٣و ١٤٤.

(٥٧) المرجع نفسه، ص ١٥٠.

(٥٨) المرجع نفسه، ص ١٧٠.

(٥٩) المرجع نفسه، ص١٥٠.

التكامل بين الطرائق الحجاجية الذاتية والطرائق الموضوعية العقلانية التي تقوم على المزاوجة بين إثباتين لا يتواجدان في النسق ذاته دون أن ينفي الواحد منهما الآخر منطقيا(٦٠).

هذا ويمكن حصر هذه الحالة في عمليتين عقليتين هما: الثالث المرفوع(٦١) والاختيار الصعب، كما لا يغفل الحجاج السياسي منظومة أخرى من الطرائق المهمة مثل الطرائق المنطقية التي يتصدرها التقابل والتعاكس والتباين والطرائق الرياضية التي تقوم على اللاانفصال والتبادل، أما الطرائق الواقعية فتقوم على التجارب والحدوس والمفارقات الواقعية لون من أهم ألوان هذا المنحى الحجاجي التي يطمح واضعها إلى حمل المتلقي على استكناهها انطلاقا من تجارب ووقائع معينة(٦٢).

لعل من أهم النظريات التي عنيت بدراسة الحجاج في صلب المحاورات نظرية المساءلة التي أرسى دعاماتها **مايير** أحد منظري البلاغة المعاصرة من خلال كتابيه المهمين اللذين أحدثا نقلة منهجية في الدرس البلاغي المعاصر، وهما: أسئلة البلاغة وأسئلة البلاغة المنطقية، اللغة والحجاج، وتقوم نظريته على مبدأين هما: المبدأ الافتراضي في تحليل الأقوال، ومبدأ الاختلاف الإشكالي داخل الأقوال(٦٣).

---

(٦٠) المرجع نفسه، ص١٨١.

(٦١) يعني هذا المبدأ من الضروري أن يكون للشيء صفة ما أو نقضها، كأن تقول مثلا أن التلميذ قد نجح في الامتحان، او رسب، وليست هناك حالة ثالثة لأن الحالة الثالثة مرفوعة بالاختيار (النجاح أو السقوط) وهذا المبدأ هناك من يسميه بالوسط الممتنع أو الوسط المستبعد، ينظر محمد أنعيسي، **الحوار المتمدن**، عدد ١٨٢٩، ٢٠٠٧ / ٢ / ١٧.

(٦٢) المرجع نفسه، ص ١٩٠.

(٦٣) المرجع نفسه، ص ١٩٦.

أما أهم أطروحة صدرت عنها هذه النظرية فقائمة على علاقة النتيجة بالسبب، فأن نفكر، وأن نتحدث وأن نقول شيئا ما، وأن نكتب فذلك يعني أن نطرح سؤالا[٦٤]، في سياق التواصل اللساني الذي يشكل الإمكانات القولية المختلفة التي تسمح للمتخاطبين أن يستنتجوا ويستدلوا، ويحاجوا أو يقنعوا، إنه الوسيلة التي تكشف عن مكمن السؤال فيما يقال دون أن يقال مباشرة[٦٥]، كما تنطوي نظرية المساءلة على جملة من الإشكاليات المتعلقة بطبيعة العلاقة الرابطة بين البلاغة والحجاج، ووظيفته فيها في صلب السؤال والجواب، وارتباط فعل المساءلة بفعل الانعكاس في ضوء أفعال الكلام، فالأقوال التي ترد في صيغتي الأمر والنهي توجد إشكالا تواصليا بين المتكلمين من خلال ما تجره من انعكاسية بالنسبة إلى المستمع، فالقول الانعكاسي نتيجة لجواب يفترض رد فعل، وليس وسيلة مباشرة للطلب أو السؤال، مثل تلك الإجابات الإشكالية التي تترجم ما هو تساؤلي[٦٦].

وعلى صعيد البعد السياقي يشير **مايير** إلى صفة التداخل الحاصلة بين القول والسياق مما يجعل من هذا الأخير سياقا قوليا بامتياز لا ينفك عنه ألبتة، كما يميز بين أنواع من الحوار فهناك الواضح والإشكالي والصامت، كما يطرح التحاور والمساءلة إشكالية المسافة الحجاجية التي تتحكم في بنية المفاوضة بوصفها ضابطا مهما في بنية القول الحجاجي، إذ إن الإشكال الحقيقي في الحجاج حول المسافة يكمن في تأكيد الهوية أو العثور عليها، مما يدفع بالمتحاورين إلى تقديم إمكانات الرفض والقبول.

---

(٦٤) المرجع نفسه، ص ١٩٧.

(٦٥) المرجع نفسه، ص ١٩٨.

(٦٦) المرجع نفسه، ص ١٩٩.

وعلى صعيد بحث العلاقات الحجاجية يؤكـد **مايـر** طبيعة العلاقة الثنائية للحجاج بين المتكلم والمستمع انطلاقا من طرح الأسئلة ومتابعة تقديم إجابات لها، قصد تقريب وجهات النظر، وتحقيق مبدأ الإقرار بالجواب أو السير بالعملية نحو تضخيم الخـلاف، ودحـض الجـواب عبر ممكنات اللغة بعامة، وجانبها المجـازي بخاصة(٦٧)، في ضوء ما تتيحه اللغة الحجاجية من مفارقات تميز الصريح والضمني من القول، ولعل ما يمكن استنتاجه في سياق عرض أركان نظرية المساءلة أن صاحبها أقامها على مفاهيم متعارضة، منها: الحقيقة والمجاز، والافتراض واليقين، والاستعمال والابتكار، والإقناع والتمويه، السلطة المجازية والسلطة المادية(٦٨).

ولا يخفي الباحث دعوته الصريحة النابعة من اعتقاد راسخ بأهمية ممارسة نقد الفكر، وتربية الأجيـال عـلى فن الاستدلال والإقناع، ولا يكون ذلك إلا بتدريس الاستدلال وطرائقه في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية حتى تقوم الجامعة بمهمتها الريادية في التغيير الاجتماعي والحراك العلمي والثقافي، إذ إن فتح حوار عقلاني جاد وموضوعي بين مختلف المؤسسات سيضيق لا محالة من جغرافيا التشنج والسفسطة بكل أشكالها وتمظهراتها المعنوية والمادية، وسيفتح المجال نحو ثقافة التوافق والابتكار.

وفي سياق تمهيدي مشابه يمكن تنزيل دراسات محمد العبد حول التداوليات والحجاج ضمن علم تحليل الخطاب، والتي من بينها "تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب"، وقد عرض فيها لنشأة مختصرة للفكر التداولي الحديث، في ضوء أهم نظرية تمثله في اللسانيات، وهي نظرية الفعل اللغوي، مبينا علاقة التداولية

---

(٦٧) المرجع نفسه، ص ٢٠٦.

(٦٨) المرجع نفسه، ص ٢٠٨.

بالعلوم الإنسانية ومناهج النقد الغربي مثل السيميائية التي طوّرت كثيرا من مقولاتها بخاصة في المسرح والدراما.

كما يعرض لتلك الإضافات المهمة للنظرية على يد **ديتر فوندرليش** و**فان ديك** في كتابه النص والسياق، و**ميخائيل ستوبس** الذي عني بدراسة الأفعال التعاونية في مجال خطاب المحادثة(٦٩)، أما نقطة الارتكاز في هذه الدراسة فهي القوة الإنجازية للفعل في ضوء ارتباطها بالمقصد والسياق، والحقيقة إن عناية هذه الدراسة بتحليل مفهوم القوة الإنجازية لا يقف عند حدود التعريف بل يتعداه إلى محاولة تطبيقها على اللغة العربية، ويتجلى هذا الهدف فيما أفصح عنه **محمد العبد** من أمل في أن تكون هذه الدراسة - من منطلق الاقتناع بأن كل تطور في النظرية اللسانية يؤدي بالضرورة إلى تطور في النظرية الأدبية مساو له في القوة والاتجاه - أن تكون فاتحة اتصال بتداولية أفعال الكلام، وتطبيقها على اللغة العربية من خلال أحد مفاهيمها المركزية الفاعلة في حقل تحليل الخطاب، وهو مفهوم القوة الإنجازية الذي أراه جديرا بأن تفتح له دراستنا اللسانية والأدبية أبواب الاهتمام والرعاية(٧٠).

يقوم مفهوم **القوة الإنجازية** على اختلاف أثر الأفعال المنجزة بالقول في السياقات المختلفة، وتبعا لطريقة تلقي المستمع لها في الخطاب إذ يمكن للدارس وصفها وتأويلها، أما مقاصد المتكلمين فتند عن الفحص العلمي بينما تفسير المستمع فواضح من خلال استجابته(٧١).

---

(٦٩) محمد العبد، **تعديل القوة الإنجازية**، ص ١٣٦ وانظر Stubbs, Michael,discourse analysis,the sociolinguistic analysis of natura l language,Basil Blackwell,Oxford1989, p 149.

(٧٠) المرجع نفسه، ص ١٣٦.

(٧١) محمد العبد، **تعديل القوة الإنجازية**، ص ١٣٩.

ويقود الحديث عن هذا التفاوت في قوة الفعل اللغوي في سياق تمييز الأفعال المباشرة عن غير المباشرة إلى تحديد علامات القوة التي ذكر منها **أوستن**: الصيغة ونغمة الصوت وأشباه الجمل التي يقصد بها تكييف قوة المنطوق مثل تكييف قوة سوف أفعل بإضافة من المحتمل أو تكييف قوة النهي بالظرف لا تنس أبدا وأدوات الربط مثل من أجل ذلك التي تستخدم في قوة استنتج. وبالرغم من تلك التي تستخدم في قوة أسلم بأن، ومصاحبة المنطوق لحركة جسمية دالة وملابسات المنطوق التي تساعد على تحديد الغرض، فقد يكون الأمر أمرا أو إذنا أو عرضا أو التماسا أو توسلا أو اقتراحا أو توصية أو تحذيرا[٧٢].

كما يضاف إلى تلك العلامات اللسانية أعراف الاستعمال الضمنية والاستلزامات الحوارية التي صاغها **غرايس** في آداب الحديث[٧٣]، كما تنصرف الدراسة في شطر مهم منها إلى دراسة كيفيات وأدوات تعديل القوة الإنجازية في الملفوظات، ذلك أن المتكلمين يعمدون إلى تكييف منطوقاتهم، وبالتالي تغيير درجة أفعال القول الأدائية بناء على خطط معينة، يصطلح عليها التداوليون باستراتيجيات التعديل، التي من بينها استراتيجية تلطيف الخطاب التي عرضها فريزر، والتي تعني إضعاف وتخفيف قوة الفعل المنجز في القول الذي تبدو تأثيراته غير مرحب بها عند المستمع، أما استراتيجية زيادة قوة المنطوق وتعزيزها فهي استراتيجية مضادة عرضتها **جانيت هولمز** سنة

---

(٧٢) المرجع نفسه، ص ١٤١، وانظر محمد العبد، **نظرية الحدث اللغوي**، مجلة الدراسات اللغوية، مجلد ٢، عدد ٤، سنة ١٤٢١-٢٠٠١، ص ١١-٥٢-٣٢.

(٧٣) محمد العبد، **العبارة والإشارة، دراسة في نظرية الاتصال**، دار الفكر العربي، ط١، سنة ١٩٩٥، ص ٨١ و٨٢.

١٩٨٤[٧٤]، كما تبين الدراسة أسباب التعديل بالقوة أو التضعيف، باسطة القول في وسائل ذلك، سواء الوسائل اللسانية، مثل وسائل التشكيل الصوتي والوسائل المعجمية، أو غير اللسانية الخطابية الخارجة عن نطاق اللغة مثل تعيين الفعل الأدائي والعلامات الرابطة ووسائل ما وراء الخطاب والتكرار[٧٥].

وبوجه عام يمكن القول إن مفهوم تعديل القوة الإنجازية قادر على كشف العلاقة الرابطة بين الفعل الإنجازي وسياقاته الاجتماعية، كما أن وصف القوة وصفا دلاليا، مع تعيين درجاته المتفاوتة وتحديد استراتيجياته، والآثار الأسلوبية المترتبة على ذلك التكييف من المداخل اللسانية الضرورية لتحليل الخطاب الأدبي بخاصة، وسائر أنواع الخطاب الأخرى ضمن السياق التي تنتج فيه أو تحيل عليه[٧٦].

لقد كشفت التداولية طموحها غير المحدود لولوج مناطق النص الأدبي المحصنة بسياج الدلالة الضمنية القائمة على فنون المجاز المختلفة، كما حملت دعوة صريحة وجريئة بضرورة إعادة النظر في الآلة النقدية الواصفة التي يتأسس عليها خطابنا النقدي الراهن في أغلب المناسبات، ولعلنا نستشهد على هذا الطموح بما أعلنته دراسة **سامية الدريدي** الموسومة بـ: **"الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه"** فقد اتخذت أنموذجا لذلك الصنف من البحوث الأكاديمية التطبيقية التي استغلت المعطيات المعرفية والمنهجية التداولية في نظريات الحجاج لتحليل النص الشعري الجاهلي، قصد ربطه بالخطابة باعتبارها المدونة الأساسة

---

(٧٤) محمد العبد، **تعديل القوة الإنجازية**، ص ١٤٤ وانظر في هذا الصدد Fraser Bruce; Conversational Mitigation,in Jornal of Pragmatics 4-1980, pp 341-350, p 342.

(٧٥) محمد العبد، **تعديل القوة الإنجازية**، ص ١٤٨ وما بعدها إلى ص ١٥٨ .

(٧٦) المرجع نفسه، ص ١٥٨ .

للفعل الحجاجي(٧٧)، ولعل هذه الدراسة ومثيلاتها تحاول الانطلاق من الطبيعة غير المباشرة للخطاب الأدبي الذي يتولد عند امتصاص خطاب آخر، ثم تحويل أزمنته الفعلية، وتعديل ضمائره وإشاراته، بل والتقليل من درجة الموضوعية فيه بفعل اعتماد لغة المتحدث وصياغته الخاصة، فالمعتاد في الأدب - كما يقول التداوليون - استخدام تغيير الشفرة لتقديم الشخصيات، وإبراز خواصها عن طريق إدخال صوت مغاير لصوت فاعل الخطاب الذي يحتفظ بلغة متجانسة وخاصة له(٧٨).

أما موضوع هذه الدراسة كما يظهر على لسان صاحبته النظر في مجموع التقنيات التي يعتمدها الشاعر ليحتج لرأي أو ليدحض فكرة محاولا إقناع القارئ بما يبسطه أو حمله على الإذعان لما يعرضه، وهو أمر سيقودنا حتما إلى دراسة بنية الحجاج من ناحية وأساليبه من ناحية ثانية، ولعل من أهم الأسئلة التي تطرح في هذا السياق: ما الذي يحدث للشعر حين يرود مناطق الحجاج؟ هل يتحول إلى خطابة كما رأى بعض القدماء أم يرتاد عوالم جديدة تكسبه ألقا وطرافة؟ هل تقودنا دراسة الحجاج في الشعر القديم إلى مراجعة بعض الآراء النقدية القديمة التي أضحت بحكم تواترها وعظيم انتشارها مسلمات لا يلتفت الباحث إلى دراستها؟ أم هي دراسات ستثبت وتدعم عددا غير قليل من هذه الآراء والمسلمات؟(٧٩).

---

(٧٧) سامية الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأسلوبه**، عالم الكتب الحديث، وجدارا للكتاب العالمي، ط١، سنة ٢٠٠٨.

(٧٨) صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢، ص ١٠٢ و١٠٥.

(٧٩) المرجع نفسه، ص ٢، جدير بالذكر أن هذا البحث امتداد لمسيرة عمل جامعي قدمته الباحثة في كلية الآداب بمنوبة سنة ١٩٩٢، حول شعر الخوارج مضامينه النضالية وخصائصه الفنية تحت

وعن مبررات اختيار المدونة تقرر الباحثة اختيارها للشعر الغنائي نظرا لحضور الشعرية فيه قيمة ثابتة عبر اللفظ والصورة والإيقاع من ناحية، أما السبب الثاني فإن دراسة الحجاج، بل فيما يفترض قيامه على الاقتناع والاستدلال لا يبدو مهما ومثيرا فآفاقه محدودة، ونتائجه معروفة سلفا أو على الأقل منتظرة، إذ تبين بالتحليل الوصول إلى البنية الحجاجية ذاتها لنصوص الشعر السياسي(٨٠).

إن دراسة الحجاج في الشعر الغنائي وفق هذا التصور المنهجي وعبر هذه الأسئلة سيفتح الباب واسعا إلى فضاءات نصية متنوعة لم ترتدها التداوليات بعامة ونظريات الحجاج بخاصة، أما عن أهم مفاصل الدراسة فقد اتخذت منحيين أحدهما يندرج في السياق التعريفي والتبسيطي للمفاهيم والأطر الحجاجية، مثل تعريف روافد الإقناع والحجاج ووسائل الإثارة التي تتيحها اللغة والبلاغة والموسيقى، بالإضافة إلى ضبط معالم الحجاج وبنيته من خلال عرض أنواع الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية والعلاقات الرياضية، ناهيك عن سائر الحجج المؤسسة على بنية الواقع والمؤسسة لبنية الواقع، والحجج المستدعية للقيم والمشترك.

كما شمل هذا المنحى إبراز أهم العلاقات الحجاجية في الشعر مثل علاقة التتابع والعلاقة السببية وعلاقة الاقتضاء والاستنتاج وعلاقة عدم الاتفاق، أما المنحى المتغير في الدراسة فذلك الذي اتجه نحو تحليل النص وفق إجراءات اللسانيات والأسلوبيات والبلاغة الحديثة مختارا شبكة من النصوص الممتدة عبر ثلاثة قرون

رقم TV١٩، ثم دراسة أخرى بعنوان **الحجاج في هاشميات الكميت**، نشر في حوليات الجامعة التونسية، العدد ٤٠، سنة ١٩٩٦.

(٨٠) المرجع نفسه، ص ٧.

تمثلها بائية **علقمة الفحل** وميمية تميم بن مقبل ونونية **كعب بن مالك** ولامية **جرير** وعينية **عمر بن أبي ربيعة** وعينية **مروان بن أبي حفصة**(٨١).

لعل من أهم ما توصلت إليه الدراسة مما يغني في بلورة التفكير الحجاجي في نظريتي النقد ولسانيات العربية في زعمنا من الناحية المنهجية ثراء بنية الحجاج في الشعر القديم من حيث كثرة الحجج وتنوعها، ربما تكون حجة التعدية من أكثر الحجج حضورا، إذ تجد الشاعر في سياق حرصه على التأثير في محبوبته، بإظهاره لحبها ادعاؤه حب كل مكان تحل به، وكل أرض تتخذها وطنا بل يحب لحبها الأعداء، ويكره لكرهها الأصحاب والخلان(٨٢).

كما ينفتح الحجاج في الشعر على أكثر من متلق، إذ يحاجّ الشاعر المحبوبة والذات واللائمين على صعيد واحد، دون أن تقف العوارض الشكلية والإيقاعية للخطاب أمام قدرته الحجاجية، فحجاجه سلو وتصبر للذات ووصل للمحبوبة واعتراض على اللائمين والعذال في الوقت ذاته، هذا وقد كشف التحليل التداولي لبنية الحجاج عن هزال المقولة النقدية الكلاسيكية التي تنفي الترابط والتماسك عن الشعر القديم في سياق امتياز الشعر الحديث بالوحدتين الموضوعية والعضوية، إذ تلوح النصوص لقارئها بنية واحدة تنجز في التواصل فعلا كلاميا كليا، تتفرع قوته الإنجازية في فضاء القول عبر سلسلة متماسكة من أفعال اللغة كالتهديد والتحذير والحث والعرض والطلب والشرط والإخبار والدعاء والاستفهام وغيرها.

---

(٨١) المرجع نفسه، المقدمة، ص د.

(٨٢) المرجع نفسه، ص٤٣٤.

لقد انتهت الدراسة إلى التمييز بين بنى أربع حكمت القصيدة القديمة هي البنية الاتّساعية والتصاعدية والمتدنية والقصصية الهرمية(٨٣). ففي حالة البنية الاتّساعية تكون النتيجة واحدة بغض النظر عن توتر الحجج وتعددها، أما إذا اتخذت البنية شكلا تصاعديا أو متدنيا فإن النتائج ستكون تراتبية لتنتهي في الأخير إلى النتيجة الرئيسة، بينما تنفتح البنية القصصية على نتائج مختلفة مبنية على حجج متنوعة ومختلفة أيضا. ويمتاز الحجاج الشعري بعمله بشكل خفي وضمني في مسعى اقتحام مناطق المتلقي الشعورية والفكرية، وكذلك العلاقات الحجاجي فهي ظاهرة أحيانا خفية في أغلب الأحيان لأن الشاعر قلما يعتمد الروابط الحجاجية بل يربط الحجج بالنتائج فيما بينها، وكذلك الحجج ربطها خفي نظرا لطبيعة البنية الشعرية، كما كشفت هذه الدراسة عن تحول الحجاج الشعري إلى نوع من التحريض الملتبس بالإيهام والمغالطة، لصلته بالبلاغة(٨٤).

إن التداولية المنبثقة من الفكر الفلسفي في اللغة سرعان ما تجاوزت إطارها المعرفي والمنهجي الذي تأسست ضمنه، فعملت عبر انفتاح نسقها الفكري على العلوم والنظريات المختلفة على توسيع أفقها التحليلي، صاقلة أدواتها الوصفية والتأويلية، وبنظرتها للإنسان في صورته الأنثروبولوجية، وبوصفه كائنا قادرا ومريدا، فتحت آفاقا واسعة في ميادين عدة، لعل أهمها الأدب فقد غدت في عصرنا أداة منهجية مهمة لاستقصاء المعنى، وفهم علاقة الدلالة اللغوية بمقاصد المبدع، وتأويلات المتلقي في السياق التواصلي، وتحت ظلالها تلاشت حدود الأجناس الإبداعية الأدبية وغيرها، فلم يعد تأويل المعنى محصورا على الشعر وفنون النثر بل تعداه إلى أشكال تواصلية جديدة أفصحت عنها العولمة.

---

(٨٣) المرجع نفسه، ص٤٣٦.

(٨٤) المرجع نفسه، ص٤٤١.

ولا أدل على هـذا التوسع من أن توجهاتها في دراسة الحجاج والافتراضات المسبقة ومضمرات القول أضحت تسخر لتحليل الاتجاهات السياسية الكبرى للدول، وفي المجال الاقتصادي أضحى ممكنا الحديث عن إدماج الفرد بوصفه الضامن الرئيس للمردود الإنتاجي في المؤسسة بفعل الإطار النفعي الذي تقوم عليه الفلسفة العامة للتداوليات الحديثة، لكن يظل السؤال مطروحا: أين هو موقع التفكير العربي من هذا النسق المعـرفي والمنهجي بشكل عـام؟ هل هناك استعداد لخوض غمار تجربة قـراءة النصوص، في ضوء تفاعلات الواقع المعيش؟، وما هي حدود قدرتنا النقدية واللسانية والفلسفية على استيعاب هذه الرؤى، وتجذيرها في منجزنا اللغوي بعامة؟

لقد عرض هذا المحور بشكل عام إلى تلك الرابطة القوية ذات الصفة النظرية، والتي ربطت التداوليات بوصفها رؤية ومقاربة ومنهجا تحليليا بالحجاج بوصفه بنية وملفوظا وعملا لغويا، ولبسط حدود العلاقة، وتبيينها لا بد من تخصيص فسحة من القول لعرض نظرية الحجاج كما تبدو في كتب الأوائل ودراسات المتأخرين،[٨٥] تمهيدا لاستثمار بعض مقولاتها في تحليل الخطاب العربي.

---

(٨٥) نعتذر للقارئ على الإطناب أحيانا، فهدفنا في هذا المساق توجيه المسائل من جميع الجهات التي تنير طريق القارئ المبتدئ.

الفصل الثاني

نظرية الحجاج، التأسيس والآفاق

"البلاغة نص ليس هدفه الإقناع فحسب، أو الإشارة إلى واقع خارجي أو الحيرة الممتدة بين المعنيين الحرفي والمجازي، بل هي أيضا صراع النصوص والمتناقضات داخل الإبداع حتى لا يعرف أي منها طغى على الآخر"(١).

١ – مهاد اصطلاحي

إن مبتدأ القول في الحجاج ينطلق من متابعة الدلالة اللفظية للفظة حجاج(٢) نفسها باعتبارها علامة دالة على الفعل اللازم لإقناع الآخرين برأي معين، فقد أوردت المعاجم المتخصصة أن اللفظة ترجع إلى الجذر اللاتيني (*Arguere*)، والتي تعني إظهار

---

(١) بول د يمان: **العمى والبصيرة**، ترجمة سعيد الغانمي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٩٩٥/ ٧.

(٢) تعني لفظة حجاج في اللغة العربية المنازعة بالحجة أو الدليل أو الرهان، أي مقابلة الحجة بأختها، انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة حجج، وجدل، وانظر المرحوم عبدالله صوله، **الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**، منشورات جامعة منوبة، سنة ٢٠٠١، ص ١٧.

الشيء وتلميعه إلى أين يصبح لامعا[٣]، وفي معجم (Grand Robert) تدل اللفظة على استعمال الحجج لتحقيق نتيجة معينة في سياق مناقشة فكرية والاعتراض عليها[٤]، أما معاجم الفلسفة المتخصصة فقد حددت الحجاج أو المحاججة (*Argumentation*) بكونها عملية فكرية تترابط فيها الحجج والأدلة وفق طريقة تعرض بها الفكرة المقصود إبلاغها والإقناع بها[٥]، من خلال إنشاء تأكيدات وقناعات متصلة بتصرفات سياقية ومقامية[٦]، مما يعني قيام التحاجج من حيث كونه فعلا على منطق استدلالي[٧]

(٣) بنور عبدالرزاق، **جدل حول الخطابة والحجاج**، ص٢٥، وانظر المقدمة الضافية التي قدم بها حافظ إسماعيلي علوي الكتاب الجماعي المهم عن: الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ١/ ٢، فقد أفدنا منها إفادة موسعة، كما أفدنا بالكتاب كله في أكثر من جانب ومستوى، وانظر أندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط٢، بيروت، سنة ٢٠٠١،١/ ٩٤.

(٤) Le Grand Robert, Dictionnaire de la langue Francaise ,Paris ,1989, p 535.

(٥) جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ١/ ٤٤٦.

(٦) P.Oleron ,Largumentation ,que sais-je/ Paris ,P.U.F,1983, p 22

(٧) الاستدلال يعني بحسب الصيغة طلب الدليل باتخاذ المعنى الأول المفهوم من اللفظ دليلا على معنى ثان، كأن يستدل من كثير رماد القدر بأنه مضياف، وبعيدة مهوى القرط بطول عنقها، وهو الغرض من القول، أو معنى المعنى عند الجرجاني، انظر **دلائل الإعجاز**، ص ٢٦٣، وانظر توسعا شكري مبخوت، **الاستدلال البلاغي**، ص ٤٠. أما الاستدلال المنطقي فعملية ذهنية ينتقل فيها من مقدمات إلى نتائج لعلاقة بين الطرفين، وهو نوعان يقوم الأول فيهما على الاستقراء (Raisonement inductif)، بينما يتأسس الثاني على الاستنتاج (Raisonment deductif)، انظر محمود قاسم، **المنطق الحديث ومناهج البحث**، مكتبة الإنجلو مصرية، ط٣، القاهرة، سنة ١٩٥٣، ص ٣٧. وانظر أيضا هشام الريفي، **الحجاج عند أرسطو**، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في

تثبت به قضية أو تدحض بها، على أن يكون هناك انسجام من شكل ما بين المقدمات ونتائجها التي توفر الحكم أو الحجة الأساسية التي تنطوي عليها الدعوى المقصودة(٨).

وفي هذا الإطار التعريفي تتنزل تصورات مهمة مثل تصور (Sillars) الذي يعدّ الحجاج عملية عـرض دعـاوى تتعارض، وتتضارب فيها الآراء مدعومة بالعلل والدعامات المناسبة، بغية الحصول عـلى الموالاة لإحدى تلك الدعاوى، إذ يسمح منطق الحجاج بفحص مختلف وجوه التفاعل الحجاجي، وكيف يمكن أن تؤثر الحجج المضادة في تدقيق وصقل نظرية ما عند دخولها في نزاع مع حجج تعترض عليها، أو حجج تناضر نظرية تدعي عكس ما ذهبت إليه النظرية الأولى(٩)، أما **شفرين** فيعده جنسا من الخطاب، تبنى فيه جهود الأفراد بدعامة مواقفهم الخاصة، في الوقت نفسه الذي ينقضون فيه دعامة خصومهم.

كما تطلق لفظة حجاج ومُحَاجَجة (Argumentation) عند **بريلمان** و**تيتيكاه** على العلم وموضوعه، ومـؤداها عندهما درس تقنيات الخطاب التي تـؤدي بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة التسليم(١٠)، أما **أندرسن**

التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، سلسلة الآداب، كلية الآداب بمنوبة، المطبعة الرسمية، ص٩٩.

(٨) وردت تعريفات متعددة في المعاجم، ولكنها تتفق في المعنى سالف الذكر، ولعل أهمها معجم **أندريه لالاند** (Andre Laland) Vocabulaire technique et critique de la pholosophie ,ed P.U.F, pp 78-79.

(٩) حسان الباهي، **العلم والبناء الحجاجي**، ص ٢٠٢.

(١٠) ميز بريلمان في كتابه المهم عن الحجاج بين الحجاج الإقناعي، والحجاج الاقتناعي. انظر Prelman et Tytecar ,traite de l ‘ argumentation, p 92، لقد تم التمييز بين الحجاج والإقناع بوساطة التوكيد

(Inderson) و**دوفر** (Dover) فيعدانه طريقة لاستخدام التحليل العقلي والدعاوى المنطقية بغرض حل المنازعات واتخاذ قرارات محكمة، والتأثير في وجهات النظر والسلوك، وقد شايعهم في هذا التعريف كل من **روبرت هوبر** و**ماكبورني** و**ميلز** و**فيشر**، كما يركز كل من **أوتس ماس** و**فيفيجر** و**هاينمان** على طبيعة العمل اللغوي الذي يحكمه سياق حجاجي معين في وضعية تواصلية ما؛ يتم فيها عرض ضروب من الفرضيات والدوافع والاهتمامات(١١).

أما **فولكي** (Foulquie) فيبني الحجاج على الشك والمحتمل، ما دمنا لا نحاجج ضد البديهيات(١٢)، وربما توافق هذا التصور مع مفهوم القياس الخطابي عند **أرسطو** من حيث احتماليته وظنيته، **مما** يجعل من النتيجة غير ملزمة تبعا لذلك، فالفكرة تسمح بالتفكير في الشيء وضده في الآن نفسه(١٣). كما تؤكد **آموسي** كونه عملا قوليا

الذي يمثل جوهر الفعل الإقناعي، أما المحاججة فتتوسل المنطق لتحقيق أغراضها. انظر محمد العبد، **النص الحجاجي العربي**، ص٤٥. وانظر محمد سالم ولد محمد لمين الطلبة، **"مفهوم الحجاج عند بريلمان، وتطوره في البلاغة المعاصرة"**، عالم الفكر، الكويت، مجلد ٢٨، عدد ٣، مارس، سنة ٢٠٠٠، ص٦٥.

(١١) P.Breton, Largumentation entre information et manipulation ,in la communication etat des savons ed Sciences humaines, p17-19.

(١٢) محمد طروس، **النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، سنة ٢٠٠٥، ص ٨.

(١٣) عباس رحيلة، **الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم ٤٠، ط١، سنة ١٩٩٩، ص ٢٣٨.

(١٤) Amossy, Largumentation dans le discours, p 33-39

مركبا من أعمال لغوية أخـرى، لهـا أثـر في مقام التلفـظ والمتلقي للخطاب[١٤]، وربما كانت وظيفته محاولة جعل العقل يذعن لما يطرح عليه من أفكار، أو يزيـد في درجة ذلك الإذعان إلى درجـة تبعث على العمل المطلوب.

إن القول عن خطاب ما بأنه حجاجي يعني احتواءه على ملفوظين اثنين على الأقل ؛ يقوم أحدهما بتبرير الآخر، فيسمى الأول حجة الرأي المعروض والثاني نتيجة لحجة الرأي المعارض[١٥]، يتنزلان في سياق اتصال خطابي بين متحاورين، في سياق تحاججي معين[١٦]، على أن الحجاج مثلما أنه ليس موضوعيا محضا فإنه ليس ذاتيا محضا؛ لأن من مقوماته حرية الاختيار على أساس عقلي، كما أنه يقوم رأسا على علاقة منطقية استنباطية غير تصورية كما هو الحال في خطابات أخرى كالخطاب الوصفي - مثلا - والذي يبنى على علاقة تصورية تربط الأحداث أو الحالات مقيدة بزمان تصوري معين[١٧]، وثمة ألوان عدة للمحاجَجَة البسيطة ربما يكون أكثر شيوعا في الخطاب القانوني في المرافعات التي تراعي عموم السامعين في ربطهم بين القضايا والوقائع، وعادة ما يصطلح على هذا النوع بالمحاجة بالرتابة (Argumentation par la Banalite)، وعلى صعيد آخر يمكن القول بأن الحجاج في ارتباطه بالمتلقي يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له.

ويذهب **بريلمان** إلى أن من خصائص الخطاب الحجاجي الذي يميزه عن البرهان أو الاستنتاج إمكان النقض أو الدحض مما يجعل من إمكانية التسليم بالمقدمة المعطاة

---

(١٥) حسان الباهي، **العلم والبناء الحجاجي**، ص ٢١٦.

(١٦) محمد برقان، **"الخطاب الحجاجي والاتصال"**، مجلة كتابات معاصرة، عدد ٥٨، سنة ٢٠٠٥، ص ٢٤-٢٥.

(١٧) محمد العبد: **"الخطاب الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الاقناع"**، ص٤٤.

أمرا نسبيـا بالنسبة إلى المخاطب(١٨)، وتتصدر المحاججة كوظيفة لسانية قائمة الوظائف اللغوية بالرغم من عدم إشارة الدارسين الذين تناولوا موضوع وظيفة اللغة إليها مثل: بوهلر وجاكبسون وغيرهما ...إلخ، كما يقف الخطاب الحجاجي موقفا وسطا بين الخطاب التربوي (education) والخطاب الدعائي (propagande).

٢- الحجاج والصيرورة

ليس سبيلنا في هذا المقام التأريخ للبلاغة الحجاجية الأرسطية في مناهضتها المستمرة للبلاغة السوفسطائية(١٩)، وأساليب ردها المنطقية والجدلية المختلفة التي عوّل فيها أرسطو كثيرا على آراء أستاذه أفلاطون(٢٠)، نحو بناء نشروع حجاجي منطقي يحصن المجتمع من اتداعات السوفسطائية، وتبكيتهم على الحقيقة بالإقيسة الزائفة والحجج

---

(١٨) تقوم المحاججة على الوظائف التالية: ١- وظيفة الدحض والنقض، ٢- وظيفة تعديل الرأي وإبرام رأي جديد مهذب وملطف، ٣- وظيفة إنشاء وتكوين، انظر: علي الشبعان، **الحجاج والحقيقة**، ص ١٣.

(١٩) عن تاريخ السوفسطائية من حيث هي تيار عقلاني وثقافي موحد، مهتم ببلاغة القول الواقعي من خلال ارتباطها المبدئي بالخطابين القانوني والسياسي. ينظر: Philippe Breton et Gilles Gauthier, Histoir des Theories de L argumentation ,Paris ed la decouverte, 2000, P3-4-14.

(٢٠) عد أفلاطون – مثلا – البلاغة ما فيها الحجاج مجرد فن للمعرفة، تسمح بالتقريض والإطراء والديماغوجية، كما أنها في خدمة الاستغلال والقوة، انظر أحمد يوسف، ص ٢٦. وانظر أيضا: محمد سالم الأمين الطلبة، **الحجاج في البلاغة المعاصرة**، ص٤٦. وكذا هادي فضل الله، **السوفسطائية من وجهة نظر منطقية**، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت، عدد ٩٩، سنة ٢١، شتاء ٢٠٠٠، ص١٤٩.

الموهمة[٢١]، وما نظرية العلم الأرسطية إلا توسيع وتجديد في نظرية المعرفة عند أفلاطون في بعدها الإقناعي الذي يطمع إلى تأسيس منطق عقلاني سليم لاستكشاف الحقيقة، وبناء المعرفة[٢٢].

فلقد تكلفت دراسات غربية عديدة، وأخرى عربية بالفعل التأريخي مسلطة الأضواء على المراحل الحاسمة للصيرورة البلاغية والإقناعية، بدءً من تأسيس فن الجدل على يد **بروتاغوراس**[٢٣]، ووصولا إلى المجهود الجدلي العربي المؤسس على علم الكلام في امتزاجه ببلاغة القول[٢٤] إلى عتبات عصر العولمة، مرورا بالقرون الوسطى والبلاغة المدرسية التي تفاعلت مع التصورات اللاهوتية والنقدية الأدبية الكلاسيكية، ومما تجدر الإشارة إليه أن **أرسطو** (ت ٣٢٢ ق م) جعل السؤال تابعا للجدل، ووجها من وجوهه المتعددة، والمنضوية تحت فكرة مركزية تستوعب وضع القواعد المنطقية التي تمكن الإنسان من التفكير بشكل صحيح، معصوم من الزلل إلى حد بعيد[٢٥].

---

(٢١) علي محمد علي سلمان، **كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله نموذجا**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، سنة ٢٠١٠، ص٣٥.

(٢٢) انظر: حمو النقاري، **حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع**، ص١٠.

(٢٣) Joelle Gardes Tamine , La Rhetorique, Paris, Armand Colin, Masson, 1966, p24

(٢٤) عن التأثير الفلسفي في البلاغة يمكن مراجعة: J.Lauxerois, Lusage de la Parole publique, Preface de la Rhetorique dAristote, Paris, Pocket, 2007, p8-9 وينظر أيضا: محمد النويري، **"علم الكلام والنظرية البلاغية عند العرب"**، كلية العلوم الإنسانية، دار محمد علي الحامي، صفاقص، ط١، تونس، سنة ٢٠٠١، ص ١٠ وما بعدها.

(٢٥) انظر: محمد حسين الطبطبائي، **أسس الفلسفة والمذهب الواقعي**، تعليق مرتضى المطهري، وتعريب محمد عبدالمنعم الخاقاني، ١/ ٦٨.

كما أنه الإمكانية الوحيـدة التي تضفي سمة الفعل (l'acte) على التفكير، وهـذا ما يعرف في التفكير الفلسفي بـ (الفعل التفكيري) (L'acte depencer)، والذي يقوم على ثلاث علاقات أساسية هي: الإيتوس (أخلاق القائل) والباتوس واللوغوس(٢٦)، وقد قرر **أرسطو** منذ زمن بعيد مشاركة الناس بدرجات متفاوتة في الجدل والخطابة من خلال محاولاتهم المتعددة في نقد الأقوال أو تأييدها، والدفاع عن أنفسهم(٢٧) أو الشكوى من الآخرين، فقد نظر إلى البلاغة بوصفها كشفا نظريا خالصا يقوم على نظام من الخطط بهدف تعديل سلوكيات وعواطف الناس، وإقناعهم بوجهة النظر الخاصة(٢٨)، وعدّ **كونتليان** (Quintilian) البلاغة في سياق الخطابة والإقناع فنا للخطاب الجيد،إذ ينحصر هدفها في توفير القواعد، وإعداد النماذج الكفيلة بمساعدة المتكلم لإقناع سامعيه بحديثه، وقدرته على إثارة الشيء الذي يدافع عنه، فالبلاغة بهذا الوصف علم قواعد القول الصائب والسديد(٢٩)، ويمكننا تبيان هذا التصور بالمخطط التالي:

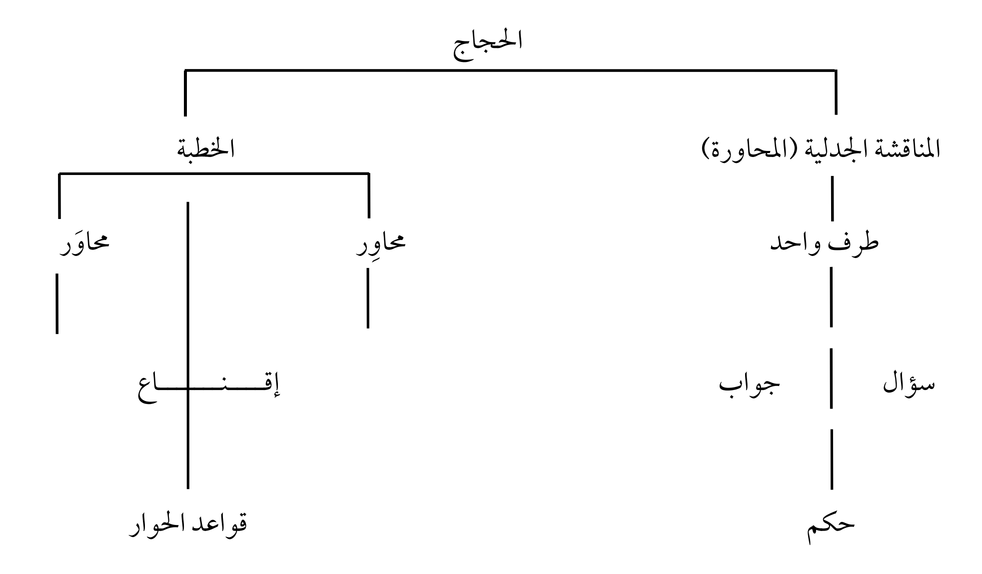
---

(٢٦) أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبدالرحمن بدوي، ص٢٩، وانظر حمادي صمود، **من تجليات الخطاب البلاغي**، ص ١٠٢.

(٢٧) أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبدالرحمن بدوي، ص٢٣. وانظر ابن رشد، **تلخيص البرهان**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢، ص٦٢، فقد وضح أرسطو الفروق بين الحجاج والبرهان من حيث المنهج والموضوع والغاية كارتباط البرهان بالخطاب العلمي وارتباط الحجاج بالخطابة وضرورية النتيجة في البرهاني وعدم اضطراريتها في الحجاجي .انظر في هذا السياق :محمد الولي، **السبيل إلى البلاغة الباتوسية الأرسطية**، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص٦١ .

(٢٨) انظر: محمد مفتاح، **التلقي والتأويل**، ص٣٨ .وانظر: Reboul, la Rhetorique,P.U.F,1984,p 30

(٢٩) برند شبلنر، **علم اللغة والدراسات الأدبية**، ص ١٦٣و ١٦٧ .



كما يكفي في هذا المقام التنبيه إلى الملاحظ الآتية:

١- الأثر السوفسطائي في نشأة وتطور بلاغة الحجاج الإغريقية، وازدهار نظرية الحجاج في الثقافة البلاغية الغربية بعامة، حتى قيل كان كل شيء في اليونان خاضعا للشعب، وكان الشعب خاضعا للخطابة(٣٠).

٢- ارتكاز الفعل الحجاجي على المقومات اللغوية والاجتماعية والمنهجية بدرجة أولى.

٣- تكافل الفعل البلاغي الخطابي مع الفعل الحرفي في نشأة العمران البشري وديمومته(٣١).

---

(٣٠) انظر: محمد الولي، **السبيل إلى البلاغة الباتوسية الأرسطية**، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص٦١.

(٣١) محمد الصغير بناني، **البلاغة و العمران**،ص١١

٤- استمرار الأثـر الأرسطي السوفسطائي فـي الفكر اللساني الحـديث عـبر التداولية اللسانية عند أوستن وسيريل وفلسفة الظواهر عند **هايدجر** والهرمينوطيقا عند **غادامير**(٣٢).

٥- ارتباط الحجاج ببلاغة التزييف التي تتخذها السلطة لبسط السيطرة والنفوذ على العامة، في ضوء الخطابة الإغريقية والرومانية العتيدة(٣٣).

٦- تأرجح الحجاج البلاغي بين اللذة والهوى والذرعية السلبية من جهة وبين الخير والمثل والحقيقة من جهة ثانية .

٧- أسبقية البحث الحجاجي الجدلي عند أرسطو على البحث البلاغي البرهاني وخصائصه العامة.

٨- السمة الشمولية الإنسانية المميزة للخطاب الأرسطي الدائر حول الحجاج والبلاغة، وتنزله في سياق الوعي بالتداخل الاختصاصي(Interdisciplinaire)(٣٤).

٩- قيـام الحـجاج الأرسطي عـلى المقابلة المميزة بلاغة الخطابة عـن بلاغة الشعر(٣٥).

---

(٣٢) انظر: محمد السيـد أحمـد، **الهيرمينوطيقا عند غادامير**، القاهرة، دار الثقافة، ط١، ١٩٩٣، ص١١ . وانظر أيضا: J.Kristeva, Le langage cet inconnu une initiation a la linguistique, Paris, Seuil. P276.

(٣٣) Olivier, Reboul, introduction à la rhétorique, paris, PUF, 1991, p17-18.

و انظر: ابن رشد، **تلخيص الخطابة**، تحقيق، عبد الرحمن بدوي، دار القلم، د.ت، المقالة٢.

(٣٤) يمكن تلمس هذا البعد في قول أرسطو نفسه "إن الخطابة فرع من الجدل وأيضا فرع من علم الأخلاق يمكن أن يدعى بحق علم السياسة" انظر أرسطو، **الخطابة**، تر، عبد الرحمن بدوي، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٦، ص٣٠.

(٣٥) المرجع نفسه، ص١٩٢.

١٠- الرفـض الأرسطي للبلاغة السوفسطائية قائم عـلى رد التبكيت ومخالفة المشهور واستعمال الصيغ اللغوية غير المألوفة، والدفع إلى الكلام الفارغ المكرر والإيقاع في الخطأ(٣٦).

١١- تتنوع الحجج الأرسطية ما بين تصديقات غير صناعية مثل القوانين الجاهزة والشهود والعقود والاعترافات بالإكراه والقسم(٣٧)، وحجج صناعية مثل الاستدلال الخطابي والإيتوس (المظهر العاطفي للمتكلم) والباتوس (ميول المتلقي)(٣٨). ناهيك عن أهمية الترتيب في عرض الحجج المختلفة(٣٩)، إذ لا قيمة للحجة ذاتها إن لم تعرض وفق خطة قولية، ترتبها تدريجا في سلم معقول.

١٢- الاستدلال الحجاجي الأرسطي قـائم عـلى المنطق الصوري؛ بخـلاف الاستدلال الحجاجي العربي الذي يستمد براهينه من منطق اللغة الطبيعية ضمن دائرة الاحتجاج المجازي(٤٠)، في ضوء التعاضد الحاصل بين القيـاس المضمر (الاستنباط) والمثـال (الاستقراء) مـع إعطاء أهمية معتبرة للجوانب النفسية والاجتماعية المشكلة لمقام الاحتجاج(٤١).

---

(٣٦) المرجع نفسه، ص١٩٢.

(٣٧) أرسطو، **الخطابة**، ص٧١-٧٣-٧٥-٧٦، وانظر عرضا مفصلا في: هشام الريفي، **الحجاج عند أرسطو**، ص٢٦٢.

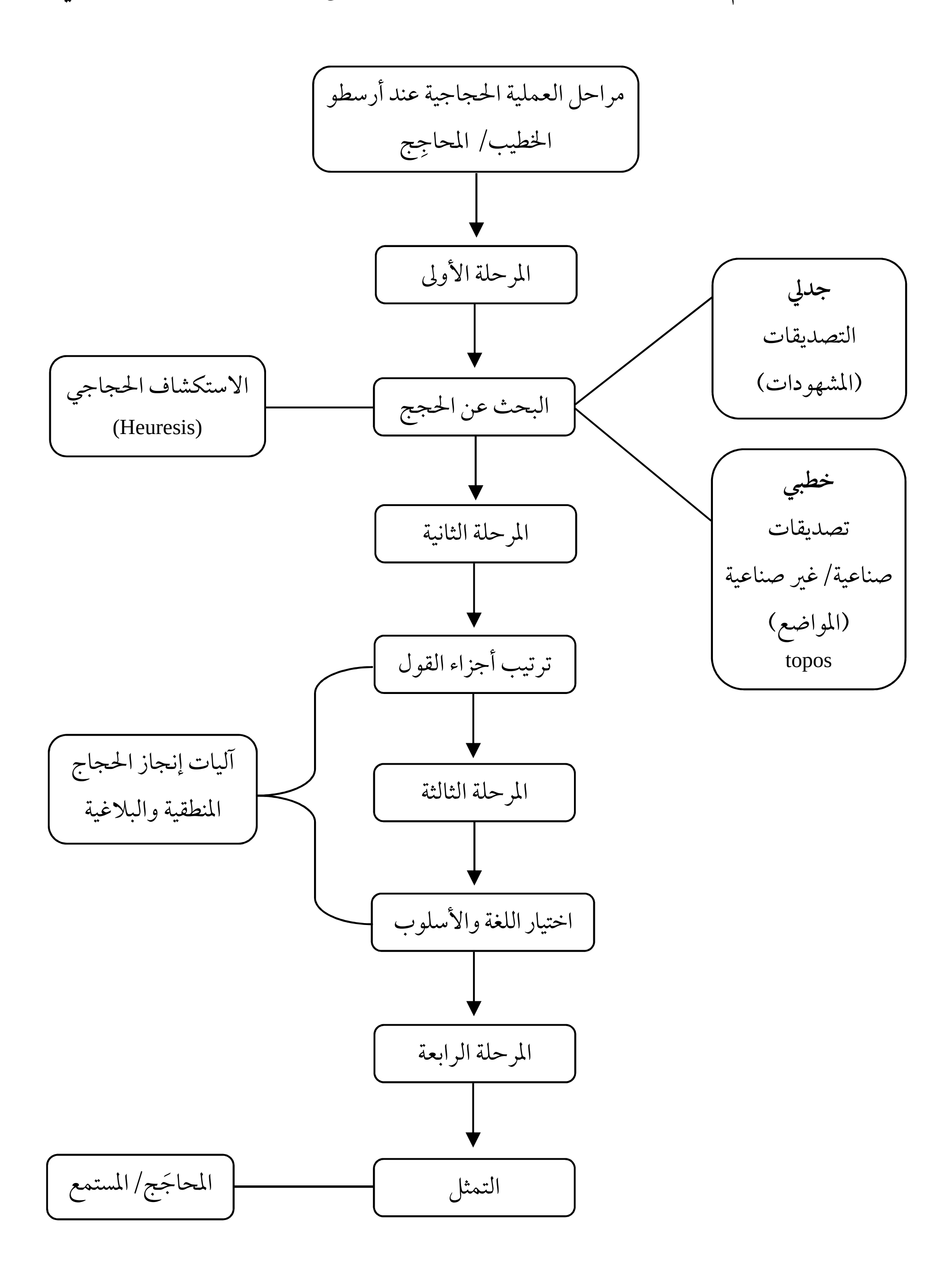
(٣٨) انظر: محمد الولي، **السبيل إلى البلاغة الباتوسية**، ص٧٣ وما بعدها. يقول الباحث: **"إن إقناع شخص ما يقتضي إثارة انفعاله، وبهذا تجب معرفة نوازعه وميوله ورغباته واستعداداته الذهنية"**، انظر المرجع نفسه، ص٧٦.

(٣٩) محمد الولي، **من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات**، ص١٣٠ وما بعدها.

(٤٠) جبيب أعراب، **"الحجاج و الاستدلال الحجاجي"**، مجلة عالم الفكر، يوليو ٢٠٠١، ص١٢٥.

(٤١) محمد السالم محمد الأمين الطلبة، **الحجاج في البلاغة المعاصرة**، ص٤٠.

١٣- تقوم العلة الحجاجية عند أرسطو على مراحل ثلاثة، يبينها المخطط التالي:



إن هذه الملاحظ تشكل ركيزة مهمة في نظرية الحجاج الكلاسيكية في تقاطعاتها الحتمية مع الخطابة بوصفها منجزا لغويا إنسانيا واجتماعيا من جهة والبلاغة باعتبارها قوانين عامة تحكم القول الخطابي، وتوجهه نحو الاستدلال الحجاجي، وضمن هذا التصور يتحدد لنا وجود الإنسان بوصفه العامل الرئيس للوجود المدني. ويلخص الجدول التالي أنواع الخطابة الأرسطية، وأدواتها الاستدلالية التي تقوم عليها، بوصفها أنموذجا أصيلا للدراسات الحجاجية الأولى(٤٢).

واللافت للنظر أن هذا التصنيف الثلاثي للخطابة أضحى موجها مهما لبناء أنواع خطابية معاصرة يكثر تداولها في حياة الناس، فمن النوع المشوري تتشكل نصوص البيانات البرلمانية، ومحاضر المداولات العلمية، والبيانات الختامية في المؤتمرات، ومن النوع الثاني يتشكل الخطاب القانوني والقضائي مثل: المرافعات الجنائية، وتنظم إليها المناظرات والحوارات الفلسفية الجدلية، بينما يتشكل النوع الثالث من خلال المقال الصحفي الدعائي والخطب السياسية، وشتى نصوص وخطابات المدح والذم، مثل خطابات التأبين والافتتاحيات الرسمية والخطب الدينية الموسمية.

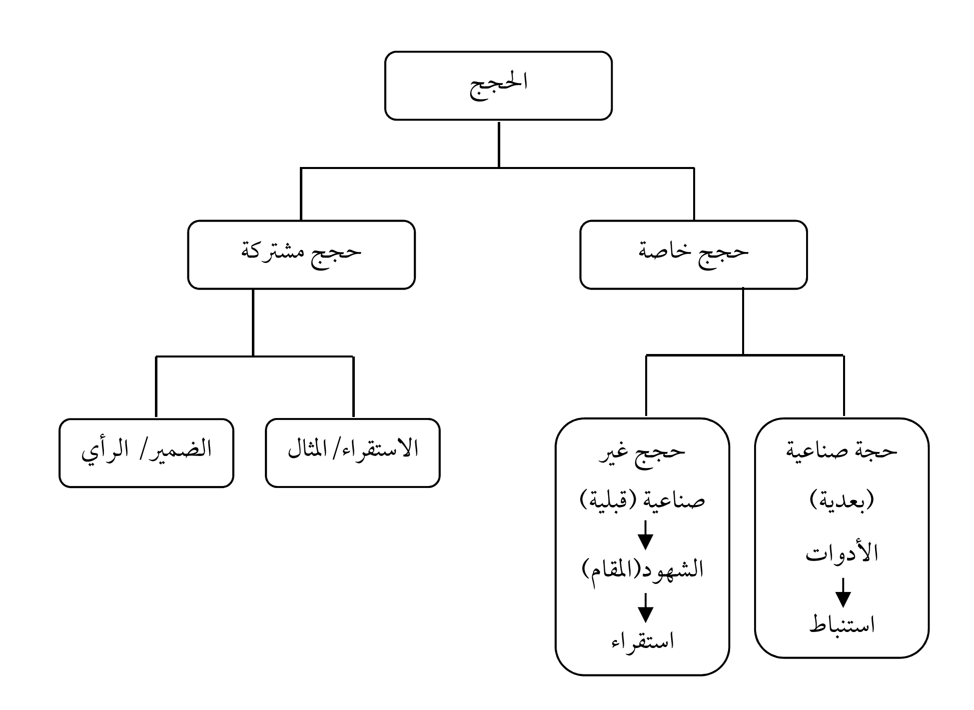
لقد دعا أرسطو في كتابه "الخطابة" إلى أن يحدث التآلف والتضامن بين البلاغة والحجاج؛ ليكون أداة طيعة في يدها لتمارس الإقناع والتأثير في ضوء العلاقة التفاعلية بين المحاجِج والمحاجَج، يؤطرها السياق الحالي بكل مكوناته اللغوية والنفسية والثقافية والاجتماعية(٤٣). وتنتظم العلاقة الرابطة بين الفلسفة من حيث هي جدل عن الحقائق ولها، والخطابة من حيث هي طرائق لتحقيق الخطاب الفلسفي وفق المؤثرات الحجاجية،

---

(٤٢) أرسطو، **الخطابة**، ص١٥٤-٦٥. وانظر هنريش بليث، ص ٣٠.

(٤٣) المرجع نفسه، ص٥٩.

كما يذهب أرسطو إلى بسط أنـواع الحجج التي يقوم عليها الحجاج الخطابي فيما يبين بالشجر التالي[٤٤]:



٣- الحجاج والراهن

يرتد البحث في الحجاج من زاوية بلاغية إلى أعمال **بريلمان** وزميله **تيتكا** إذ يعدّ كتابهما "Traite de l'argumentation: la nouvelle rhétorique" من أهم الكـتب الضخمة المصنفة في الحجاج[٤٥]، وقد لاقت أفكارهما ترحابا كبيرا بين الدارسين بعيـد ظـهور

(٤٤) أرسطو، **الخطابة**، ص١٥٤، وابن رشد، **تلخيص الخطابة**، ص٢١١-٢٣٨.

(٤٥) هما باحثان في الفلسفة وعلم الاجتماع من جامعة بروكسيل بسويسرا ألفا سنة ١٩٥٨ كتابهما الشهير في الحجاج .

الكتاب في خمسينات القرن العشرين، وذلك للروح الإنسانية والتجديدية الناقدة التي تميز بها، فقد انطلق الباحثان فيه واصفين وناقدين للحدث البلاغي في أعمال **أرسطو** ومدرسته المنطقية، وأعمال السوفسطائية في المحاججة المغالطة إلى تصور البلاغيين في بدايات القرن العشرين، قصد بناء تصور جديد لبلاغة الحجاج ترهن الفعل الحجاجي بالممارسة اللغوية البلاغية بعيدا عن الأثر المنطقي الأرسطي، وعليه يتحدد الحجاج بكونه دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم(٤٦).

فالحجاج الفعال هو ذاك الذي وفق فيه صاحبه إلى جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين(٤٧)، بشكل يبعثهم على العمل المطلوب، من خلال تأليف المقدمات المشهورة والمسلمات، وبنائها بناء سليما لتحقيق الإفحام(٤٨).

هذا وقد ميز **بريلمان** و**تيتكا** بين حجاج عقلاني قوامه العقل، وهو الحجاج الفلسفي الذي يتوجه به إلى متلق نخبوي، يرمي من ورائه إلى إسكات صوت الهوى فيه، وإلى جعل العقل قواما للاستدلال، فهو حجاج لا شخصي ولا زمني، والحجاج

---

(٤٦) Chaim Prelman et Olbrechts Tyteca, Traite de l argumentation, p61-62

(٤٧) وردت لفظة حجاج عند القدماء مرادفة للفظة جدل، ويقول ابن منظور في اللفظة: "حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها.. والحجة الرهان، وقيل الحجة ما دوفع به الخصم، انظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة حجج. والحجة والدليل واحد، الشريف الجرجاني، **التعريفات**، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، سنة ٢٠٠٣، ص٦٧، وانظر أيضا في تحديد المصطلح في التراث العربي: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول نكري، **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، **"دستور العلماء"**، تحقيق قطب الدين محمود غياث الدين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، بيروت، سنة ١٩٧٥، ٢/ ١٤.

(٤٨) انظر: محمد رضا المظفر، **المنطق**، دار التعارف للمطبوعات، ط٢، بيروت، سنة ١٩٨٥، ص٣٣٥.

الثاني يقصد دغدغة العواطف وإثارة الأهواء الخاصة والنزعات المذهبية الجماعية(٤٩)، واستنفارا لإرادة جمهور السامعين، ودفعهم إلى العمل المرجو إنجازه، مهما تكن الطرق الموصلة للإقناع بذلك العمل غير معقولة، والهدف المرجو تحقيقه إما الإقناع "La persuation" أو الاستدلال (démantration)(٥٠).

وأما الهدف الذي يرومه الباحثان فهو الاقتناع (Conviction) الذي يقع في منطقة وسطى بين السابقين، فالاقتناع أن يكون المرء قد أقنع نفسه بوساطة أفكاره الخاصة، قبل أن يعمد إلى إقناع غيره، فالاقتناع وحده القمين بأن يحقق الحرية الإنسانية من حيث هي ممارسة لاختيار عاقل، فأن تكون الحرية تسليما إلزاميا بنظام طبيعي معطى سلفا معناه انعدام كل إمكان للاختيار، فإذا لم تكن ممارسة الحرية مبنية على العقل فإن كل اختيار يكون ضربا من الخور، ويستحيل إلى حكم اعتباطي يسبح في فراغ فكري(٥١).

وبهذه الرؤية يخرج الحجاج من سلطة المطلق في الجدل والخطابة الأرسطيتين إلى فضاء التقريب والاحتمالية، ليعانق كل أشكال التخاطب الإنساني، إنه يحضر في جميع مستويات القول، من نقاشات عامة أو عائلية، كيفما كان المستمع الذي تتوجه إليه الأقوال، أو أشكال توجهها(٥٢)، وعلى صعيد أسلوب التحاجج يقرر **بريلمان** و**تيتكا** التزام الحجاج بعدم اللجوء إلى القوة في تغيير آراء المحاججين، بل إنه يقوم على

---

(٤٩) L empire Rhetorique, p29-62

(٥٠) Traite de l’argumentation : la nouvelle rhétorique, p 5-59-63

وانظر أيضا: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص٢٠

(٥١) Quand nous sommes convaincus, nous ne sommes vaincus que par nous-même par nos propres idées, quand nous sommes persuadés, nous le sommes toujours par autrui, Traité… P 54.

وانظر أيضا: صولة، عبد الله، **الحجاج، أطره ومنطلقاته**، ص٣٠١.

(٥٢) Chaim Prelman et Olbrechts Tyteca, Traite de l argumentation, p1-4-10

الاعتراف بالآخر وبأفكاره، ومحاولة تعديلها عن طريق مخاطبة قدراته العقلية، وحريته في الحكم، لذلك أي قرارات أو نتائج تظهر عـلى الآخـر لم تأت بهذه الطريقة تعد نوعا من العنف الفكري.

وعلى صعيد تمعين العلاقة بين الحجاج (la nouvelle rhétorique)،والخطابة من ناحية والجدل من ناحية أخرى يكاد **بريلمان** و**تيتكا** يتقيدان بتلك العلاقة الكلاسيكية التي أقامها أرسطو بين الجدل(٥٣) والخطابة، فإذا كان الجدل لعبة نظرية،فإن الخطابة ليست كذلك، إنها وسيلة عمل اجتماعي تستدعي المسلمات أو بديهيات العقول لإلزام الخصم، فيظهر الأثر الذهني في المتلقي، وتسليمه بما يقدم له أو إذعانه إذعانا نظريا مجردا مجاله العقل، مشابهة لأثر الجدل، وأما الخطابة فتظهر من خلال تأكيدها على فكرة توجيه العمل بالتهيئة للقيام به أو الإمساك عنه(٥٤).

هذا وإن الغاية من التقريب بين الحجاج والخطابة أن نلح على أنه لا حجاج بدون وجود جمهور يرمي الخطاب إلى جعله يقتنع، ويصادق على ما يعرض عليه. لقد حدد بريلمان الحجاج من خلال ملامح خمسة هي: ١- توجهه إلى مستمع، ٢- تعبيره بلغة طبيعية، ٣- احتماليته، ٤- اعتماده الضرورة المنطقية لتقدمه ونموه ٥- نتائجه غير ملزمة(٥٥).

---

(٥٣) الجدل هو القدرة على الخصام، والحجة فيه، وهي منازعة القول لإقناع الغير بالرأي الخاص، أما اصطلاحا فهو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، ودفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة الحقيقية، انظر الجرجاني (الشريف)، **التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، سنة ١٩٨٥ ، ص ٧٨.

(٥٤) Introduction de la rhétorique. O P . cit. P 49.

(٥٥) انظر: أوليفي روبول، **هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي**، ص٧٧.

كما تعد أعمال **أزوالد دي كرو وجون- كلود أوسكومبر** نموذجا لاتجاه جديد في الدراسات اللسانية الحديثة في توجهها نحو التفكير التداولي، وتحليل اللغة العادية، إذ تقوم أنظارهما على ضرورة التمييز بين الحجاج بوصفه خطابا والاستدلال بوصفه منطقا، ينتميان إلى عالمين مختلفين[٥٦] إذ نلاحظ أن تسلسل الملفوظات في الاستدلال لا يرجع إلى تسلسل الملفوظات نفسها، وإنما إلى القضايا المنطقية المتضمنة فيها[٥٧]، ورفض التصور القائم على فصل الدلالة التي تبحث في المعنى، والتداولية التي تعنى باستعمال ذلك في المقام، فهما يعتقدان أن الأمر كله منوط ببنية اللغة، ففيها الجزء التداولي الذي يكون مدمجا في الدلالة[٥٨]، وبالتالي سيكون موضوع البحث الحجاجي هو *بيان الدلالة التداولية المسجلة في أبنية اللغة، وتوضيح شروط استعمالها الممكن، مما سيكون أداة فاعلة لبناء النص الحجاجي*[٥٩]، وفي هذا الإطار يندرج عنصر الحجاج، فهو موجود في بنية اللغة ذاتها من حيث هي علامات لا تدل على قيم مفهومية فقط،

---

(٥٦) O.Ducrot ,Les echelles argumentatives ed Minuit, Paris, 1980, p10

(٥٧) ibid, p10

(٥٨) يعتقد **دي كرو** و **أنسكومبر** أن في الأقوال بعض الخصائص التي تحدد قيمتها التداولية بغضّ النظر عن محتواها الخبري، لذلك يجب أن يدمج المظهر التداولي في الدلالة، **فالتداولية المدمجة** في الدلالة هي: البحث في الجوانب التداولية المسجلة في بنية اللغة، ودلالة الجملة لاستخراج الأشكال اللغوية ذات القيمة التداولية لضبط شروط استعمالها. انظر: شكري، مبخوت، **نظرية الحجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحجاج**، ص ٣٥٤.

(٥٩) المرجع نفسه، ص ٣٣٥، وانظر: ليونيل بلينجر، **"الآليات الحجاجية للتواصل"**، ترجمة عبدالرفيق بوركي، مجلة علامات، عدد٢١، المغرب، سنة ٢٠٠٤، ص ٤١. وانظر: Anscombre, Ducrot, Largumentation dans la langue, p163.

وإنما تنقل قيما تأثيرية وجمالية وتخييلية وسجالية عن الفرد الذي يوظفها(٦٠)، في سياق إنجازها التحويلي للواقع المعين(٦١)، وما دام الحجاج بهذا الشكل فعلا لغويا، فمن الضروري البحث في بنية اللغة ذاتها عن الآثار التي يخلقها فيها هذا الاستخدام الحجاجي(٦٢).

وهذا يعني أيضا أن الحجاج إنجاز لعملين هما؛ عمل التصريح بالحجة من ناحية، وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواء كانت النتيجة مصرحا بها أم مضمرة، فالحجاج -عندهما- خاصية لغوية دلالية، وليس مجرد ظاهرة مرتبطة بالاستعمال في المقام، وبالتالي سيتحقق الحجاج من خلال تتابع ق١ و ق٢ تتابعا صريحا أو ضمنيا، أي الحجة والنتيجة لغويا؛ أي من بنية هذه الأقوال المتسلسلة(٦٣)، وليس من مضمونها الإخباري، فمن أجل أن يكون ق١ حجة تفضي إلى ق٢، لا يكفي في ق١ من الحجج -في مستوى المضمون- ما يفضي إلى التسليم بـ: ق٢، إذ ينبغي أن تشتمل البنية اللغوية في ق١ على بعض الشروط التي من شأنها أن تؤهل ق١ لكي يمثل في خطاب

---

(٦٠) خوسيه ايفانوفيكوس، **نظرية اللغة الأدبية**، ص ٣٢، وانظر طه عبد الرحمن، **التكوثر العقلي**، ص٢٦٠،وانظر في علاقة اللغة بالحجاج : عبد السلام عشير، **إشكالات التواصل والحجاج، مقاربة تداولية معرفية**، مخطوط دكتوراه دولة، المغرب، سنة ١٩٩٩، ص ٢٢٩ وما بعدها.

(٦١) انظر: حسان الباهي، **اللغة والمنطق، بحث في المفارقات**، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، سنة ٢٠٠٠، ص١٢٠-١٢١.

(٦٢) انظر: رشيد الراضي، "**الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو**"، مجلة عالم الفكر، مجلد ٣٤، عدد١، الكويت، سنة ٢٠٠٥، ص ٢٢٥.

(٦٣) انظر: أبو بكر العزاوي، **الحجاج واللغة**، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، سنة ٢٠٠٩، ص٢١

ما حجة تفضي إلى ق٢[٦٤]، فترابط الأقوال لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي، إنما هو ترابط حجاجي مسجل في أبينة اللغة بصفته علاقات توجه القول وجهة دون أخرى وتفرض ربطه بقول دون آخر.

فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه، تجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة ما[٦٥]، مما يحين الحجاج للوظيفة التوجيهية (L'orientation) في إطار اللغة، نظاما ووظيفة، ذلك إن نظرية الحجاج عند ديكرو وزميله معنية تبيين الوظيفة الحجاجية التي تؤديها اللغة، مؤشرا عليها من بنية الملفوظات نفسها، من خلال استكشاف البنية الداخلية للخطاب، ومكوناته اللسانية المحققه لهذا الغرض[٦٦]، على أن ينبني الخطاب على سلمية من الحجج المتسلسلة، والمتفاوتة من حيث قوتها الحجاجية[٦٧].

ولعل من أهم الإشكالات المعرفية المتصلة بتموقع الخطاب الحجاجي ضمن الأنساق البلاغية العلاقة الكائنة بين الحجاج بوصفه عملا قوليا منتجا والبلاغة بوصفها صفة قولية، وإطارا نظريا وعلميا في الآن نفسه، فلقد كانت البلاغة علما شاملا يتناول مجموعة الظواهر التي تطمح إلى دراستها حاليا التداوليات مثل ظواهر تكوين الخطيب والمستقبل والسامع، غير إنها أخذت في العصور اللاحقة تتطور نحو الفصاحة، حتى اختصت كليا بها، وحتى داخل الفصاحة أضحت بعض تلك الظواهر هامشية، مما جعلها تستقر حاليا في مجرد كونها دراسة في المجازات بشكل خاص[٦٨] .

---

(٦٤) l'argumentation dans la langue, p11، وانظر أيضا :عبد الله صولة، **الحجاج في القرآن**، ص٣٧.

(٦٥) انظر: شكري مبخوت، **الحجاج في اللغة**، ص٣٥٢ و٣٧٥ .

(٦٦) انظر: أبو بكر العزاوي، **الحجاج واللغة**، ص ٧.

(٦٧) Les Echelles Argumentatives, p12-18

(٦٨) خوسيه إيفانوفيكس، **نظرية الأنواع الأدبية**، ص ٢٢-٢٣.

تميز الاتجاه البنيوي الذي تبلورت معالمه في الستينات من القرن العشرين في كل من ألمانيا وفرنسا باستحواذ المقاربة الشكلانية على تصوراته النظرية، ومخرجاته الإجرائية بالإضافة إلى دعوته المستمرة إلى إحداث القطيعة المعرفية مع التراث البلاغي الكلاسيكي، والرغبة الشديدة في تحويل البلاغة إلى علم موضوعي قائم بذاته يتمتع بالصرامة العلمية والحياد.

وعلى ذات المنهج الذي سلكه اللّسانيون في نقد التراث اللغوي الأوربي المتراكم عبر القرون، نزع أنصار البلاغة البنيوية إلى قراءة الموروث البلاغي قراءة بنيوية تركز على وظيفة العلامة من حيث هي شكل في الخطاب المنجز(٦٩) تحقق الغرض من التواصل بفضل العلاقات الصوتية والتركيبية والدلالية التي تجمعها بمثيلتها داخل النظام الكلي للبنية النصية. وفي هذا السياق تنزلت عناية أنصار البلاغة البنيوية بوصف وتحليل الأنساق اللسانية ذات الوظيفة الانحرافية أو التحويلية في مستوى النصوص المكتوبة بخاصة(٧٠).

لذا ركز البنيويون على وصف أنساق نصية مهمة مثل؛ الحذف والتكرار والعطف والإضافة والتقديم والتأخير وأنواع الصيغ الصرفية، وكيفية توزيعها في التركيب النصي، وإمكانات استبدالها على المحور العمودي (Axe Paradygmatique)(٧١).

---

(٦٩) انظر: صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص١٣٤.

(٧٠) المرجع نفسه، ص٨٧.

(٧١) يمثل هذا المحور علاقة الاختيار التي تمكن من المفاضلة بين عدد لا نهائي من الوحدات للتعبير عن المعاني المختلفة، بناء على علاقة الاستدعاء، ويعمل هذا المحور متضامنا مع المحور التركيبي الأفقي، لإنشاء النظم، والتأليف بين تلك الوحدات المختارة من لدن صاحب النص.

ولعلّ هذا التوجه يمكن أن يندرج في سياق الأسلوبية، فقد عنيت الأسلوبية بشتى مقارباتها التعبيرية والذاتية والبنوية والوظيفية والنصية بدراسة وتحليل هذه الأنساق ضمن مستويات الخطاب المختلفة(٧٢)، ومهيمنات الأسلوب التي يوجهها الكاتب لتحقيق مآربه الشخصية، والتي يكون من بينها عادة التأثير الجمالي في المتلقي، واستمالته عاطفيا تمهيدا لإقناعه ومحاججته.

وأيّا كان نوع المباشرة فإن مركز الضبط في البلاغة البنيوية هو البنية (structure) ليس من حيث كونها مجرد شكل ظاهري، يتزين به الخطاب، بل بوصفها مجموعة ممارسات ثقافية واجتماعية وأدبية ولسانية يكشف عنها التحليل البنيوي عن طريق الحفر في مستوياتها الظاهرة والعميقة(٧٣). وفي سياق إعادة قراءة التراث البلاغي القديم تبزغ في سماء الفكر اللساني النقدي الغربي أطروحات عديدة، لعل أهمها أطروحة "**رولان بارت**" في كتابه "*قراءة جديدة في البلاغة القديمة*"، وتتلخص رؤيته في منظومة من الأفكار نوردها موجزة فيما يأتي(٧٤):

١- الوجود الحقيقي للنص يكون بانفصاله النهائي عن الكاتب، واتصاله بالقراءة والقارئ. ولعل هذه الفكرة هي نتاج لنظرية التلقي والقراءة في الفكر النقدي الحديث.

---

(٧٢) عن اتجاهات الأسلوبية يمكن الرجوع إلى محي الدين محسب، **الأسلوبيات الأدبية، من لغة النص إلى مغزى الخطاب، رؤية منهجية وتطبيقية في النص الشعري العربي**، من إصدارات كرسي د. عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، مطبعة سفير، الرياض سنة ٢٠١١، ص ١٥-٣٣ .

(٧٣) رامان سالدن، **النظرية الأدبية المعاصرة**، ص١٣٥ .

(٧٤) تناولت دراسات عربية عديدة تصورات بارت اللسانية النقدية والبلاغية.

٢- متعة القراءة محصلة انفتاح النص على القراءات العديدة.

٣- تقوم البلاغة الجديدة على منجزات البلاغة القديمة، والتي لا تخلو من جدة وطرافة من حيث الموضوع والوسائل والغايات.

٤- البلاغة من حيث هي خطاب تاريخي إمبراطورية أكثر اتساعا وصلابة من أية إمبراطورية سياسية(٧٥).

٥- ضرورة الربط بين بلاغة الخطابة وبلاغة الشعر في منوال بلاغي نقدي واحد، يصف ويحلل شعرية الأدب بعامة، ويكون مدخلا لدراسة الحجاج السردي بخاصة(٧٦). كما يعرض "بارت" لمنظومة البلاغة من حيث كونها شبكة من الأعمال تنجز في السياق التواصلي لتحقيق الإقناع، مبرزا قيامها على تقنيات متعددة تتصل باختيار الموضوع، وترتيب عناصره واستحضار حججه، ومن ثم إخضاعها لسلمية معينة تخدم الهدف الحجاجي(٧٧).

أما اللغة فوظيفتها إمداد النسق بوسائل الاتّساق والانسجام التي تضمن دلاليته، ومقبوليته من الناحية التركيبية والدلالية؛ كما يتعضد العمل القولي بالعمل الحركي، فلا تخفى أهمية الحركة الجسمية في الخطاب الشفوي في توجيه الخطاب والاستدلال عليه -مثلا-، وقد تقوم العلامات الرقمية وقواعد الضبط الكتابي بالوظيفة نفسها، إذ يتحول البياض مثلا في التصور السيميائي إلى علامة مرئية دالة، كما تتشكل الحجج المتصلة بالمتكلم، وتنظم بلاغيا لتحقيق الهدف الحجاجي -على رأي بارت- من خلال

---

(٧٥) بارت، **قراءة جديدة للبلاغة القديمة**، ترجمة عمر أوسهان، دار إفريقيا الشرق، ط١، المغرب ١٩٩٤، ص١١ و ما بعدها.

(٧٦) المرجع نفسه، ص٢٠.

(٧٧) المرجع نفسه، ص٤٩-٥٠.

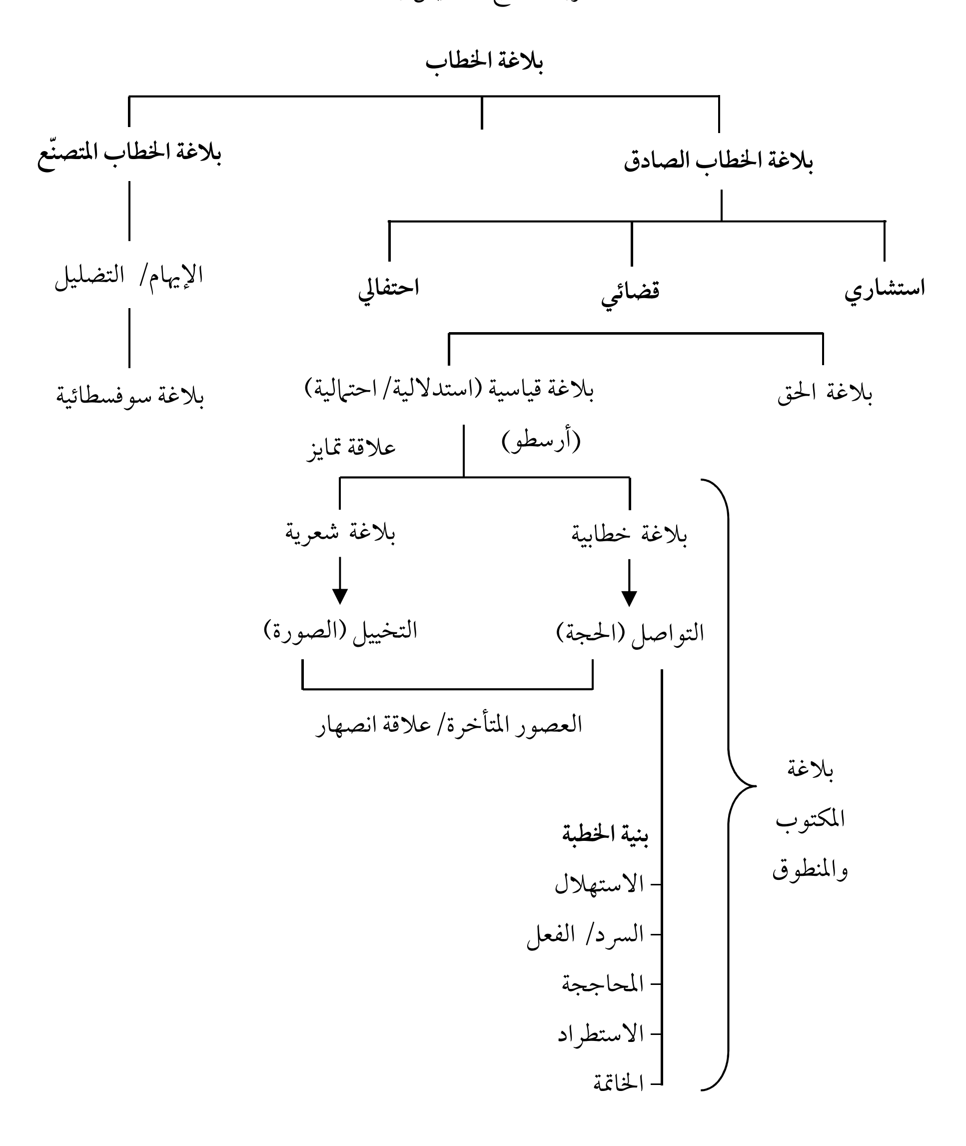
الإشاعات والشهادات والاعترافات والوثائق والأيمان وغيرها من الأدلة الخارجية التي تخترق البنية النصية لتؤسس العامل الواقعي للخطابات[٧٨]، أو ما يمكن عده سياقا خارجيا. وبالإضافة إلى هذه الحجج يقوم المحاجج البلاغي باستدعاء الأمثلة والأقيسة التي تستخلص بالاستقراء والاستنباط لتدعيم رؤيته، وترسيخ فكرته في النص الذي يتوجه به إلى ذاتية المتلقي وأفقه التوقعي. هذا وأفضى التوظيف البارتي للمنجز البلاغي القديم إلى تقديم هذا التصور المشخص للصيرورة التاريخية على نحو يبينه المخطط التالي:

كما وقف **بارت** مطولا مع بلاغة الصورة باعتبارها العلامة الدالة على النسق الثقافي السائد، والأكثر شهرة وتداولا في الحياة اليومية، فبها تختزل تعابير ودلالات اللغة المنطوقة، وتجسدها؛ فتحول الدلالة إلى عالم مرئي يمكن إدراك مكوناته وآثاره النفسية والاجتماعية، وقد حرص على تأكيد العلاقة الجدلية التي تربط الصورة من حيث هي نص بليغ بالانزياح والمفاجأة[٧٩]، إذ بقدر ما تمارس الصورة انزياحها في علاقتها بالمرجع تحدث المفاجأة التي تخرق التوقع، مخلخلة نظام المحاججة في عرف المحاجج أو المتلقي للصورة في الفضاء الاتصالي الإشهاري بخاصة، أين تندمج المكونات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في بوتقة اللغة، منتجة منظومة الصور التي يمكن قراءتها وتأويلها بأفق متجدد ومتغير نظرا لاختلاف المرجعية القرائية، والروافد التأويلية.

---

(٧٨) بارت، **قراءة جديدة للبلاغة القديمة**، ص٥١ و ٥٢.

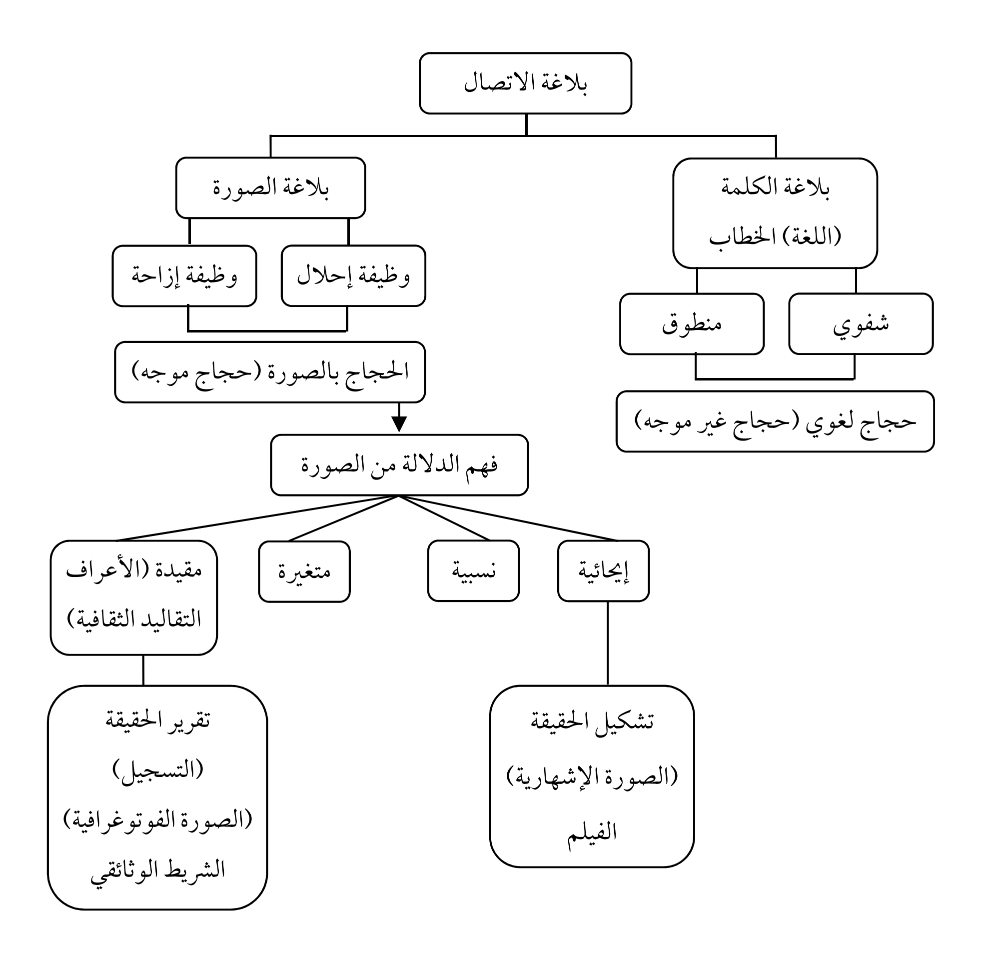
(٧٩) بارت، **قراءة جديدة للبلاغة القديمة**، ص٩١ و ٩٢.



إن عالم الصورة الإيقوني لا ينفك قطعا عن العالم اللساني[٨٠]، وإن كان هذا الأخير يقيم علاقته اللسانية بين الدال والمدلول على أساس اعتباطي بخلاف الصورة فهي خاضعة

(٨٠) المرجع السابق، ص٩٦-٩٧.

لنزعة تبريرية ضرورية تجمل الصورة / الأيقون بالدلالة ومكوناتها المرئية. ويخلص "بارت" إلى أن بلاغة الصورة تعني ما نوحي به، وذلك في حد ذاته خاضع للاعتبارات الفيزيائية للرؤية والصوت معا. هذا ويمثل التصور التالي خلاصة رؤية بارت في تمييزه بين البلاغة في مستوى الصورة والبلاغة في مستوى اللغة الطبيعية[81]، وفق ما يبرزه النموذج التالي:



(٨١) بارت، **قراءة جديدة للبلاغة القديمة**، ص٩٧.

أما **بول ريكور** فتتنزل عنايته بالحجاج البلاغي في سياق السرد من زاوية تأويلية صرفة، تمتح تصوراتها من تقاطعات علمية إنسانية مختلفة، ذلك إن السرد -عنده- ظاهرة بلاغية وجودية مستوعبة للتجربة الإنسانية كلها[٨٢]،و الناظر في بعض مؤلفاته التي نقل عـدد منها إلى العربية، تنكشف له بعض الأمـور المشكلة للإطـار المعـرفي والمفهومي الذي ينفذ منه الباحث إلى الظاهرة البلاغية الحجاجية، لعل أهمها[٨٣]:

١- لا نهائية التأويل وتعدد القراءات (التأويلية المنفتحة).

٢- ارتباط السلطة بالتأويل.

٣- وعي القارئ بالنص، هو وعي بالذات المحاججة، واستحضار للنصوص الخارجية التي يتناصّ معها النص المعين.

٤- الوعي بالذات محصلة للتأويل الظاهراتي من خلال الوسيط اللغوي.

٥- العناية بدراسة الأوجه البلاغية، مثل الاستعارة من حيث هي موجه أسلوبي، وأدوات حجاجية أساسية في النصوص الإبداعية.

٦- الربط بين البلاغة والانزياح (Ecart)؛ فالبلاغة انزياحات قابلة للتعديل المستمر سياقيا وفق قاعدتي الخرق والابتكار.

٧- الاستعارة داعم فكري تأملي للحجاج والتأويل في الآن نفسه.

٨- النص السردي واسطة العقد بين الإنسان وذاته والإنسان والآخر والإنسان والعالم، إنه الإطار الذي تترابط فيه المرجعية بالاتصالية بالفهم الذاتي لتحقيق الحجاج

---

(٨٢) Paul Ricoeur, **conflits des interprétation, essais d'herméneutique**, ed seuil, Paris 1964, p7.

(٨٣) انظر: بول ريكور، **صراع التأويلات**، ترجمة منذر عياشي، ص١٠، وانظر: **من النص إلى الفعل**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت، ١٩٨٩، ص١٧٠ وما بعدها و ص٣٠ وما بعدها.

البلاغي[٨٤]، ضمن علاقة القـارئ بالنص في مستوى الدلالة والتأويل. لقد صدرت هذه الأفكار المفصلية في فلسفة بول ريكور عن موقف عام من التأويل تغذيه المرجعية البلاغية بالدرجة الأولى. ولا نغادر المدرسة البلجيكية في الحجاج قبل أن نقف مجملا عند أهم تصورات رائدها الثاني **"ميشال ماير"** (Michel Meyer) الذي وضع يده برهافة حس على الطبيعة التساؤلية للحجاج البلاغي ضمن دائرتي الأدب والفلسفة خالصا إلى التصور الآتي:

١- السؤال والجواب هما ركيزتا الحجاج البلاغي.

٢- مبدأ التساؤل مبدأ جذري لفهم وجودية الإنسان وتصوره للعالم.

٣- عملية التفكير ليست سوى عملية مساءلة واستعمال الكلام الحامل لقدرة الفكر على المساءلة يعدّ فعل تفكير[٨٥].

٤- كل سؤال هو نداء إلى اتخاذ قرار ما في الحياة.

٥- تأكيد البعد اللغوي العقلي للحجاج ضمن بنية المجاورة.

٦- البلاغة هي الحجاج[٨٦].

٧- المجاز طريقة للتعبير عن الأهواء والعواطف وأداة لصناعة المعنى.

٨- تصاغ الأسئلة صياغة جيدة بناء على القدرات الخاصة بالسائل المحاجج، ومعرفته بإطار المحاجَج (الموجه إليه السؤال).

---

(٨٤) انظر: بـول ريكور، **الوجـود والزمـان والسـرد، فلسفة بـول ريكور**، ترجمة سعيد الغانمي، ص٤٧-٤٨.

(٨٥) M.Meyer, de la problématologie, Bruxelles, mardaga,1986, p57-186-203.

(٨٦) M.Meyer, logique, langage et Argumentation, op, cit, p124-136-140.

٩- تقوم نظرية ماير على مقومات ثلاثة هي التداولية ونظرية التأويل والبلاغة، في ضوء العناية بظروف إنتاج الخطاب، والبحث في العلاقة التساؤلية (سؤال/ جواب)، والربط بين الحجاج والبلاغة إلى درجة التماهي والتوحد في نسق واحد يمكن وسمه بـ: "بلاغة الفلسفة" (Rhétorique de la Philosophie)[٨٧].

وبالجملة يمكن القول بأن هذا العالم الذي جمع بين الإطارين البلاغي والفلسفي في دائرة واحدة هي دائرة الحجاج بمكوناته التداولية والتأويلية واللغوية، قد مهّد الطريق لظهور التيار التداولي الحجاجي في البلاغة الجديدة، ولعل تأكيده استغراق الحجاج لكل أنواع الخطاب الشفوية والمكتوبة وقيامه على أسس عقلية ولغوية تعني بذل الجهد لإقناع من يتوجه إليه[٨٨].

١٠- تناسب الفعالية الإنتاجية للمحاجج مع المستوى الثقافي للمحاجَج، إذ أن بناء خطيب ناجح يتناسب طردا وعكسا مع مستوى المحاجِجين[٨٩]، من مثل تمحيص المحاجج لحججه وأفكاره وثقته في نفسه، والاستعداد النفسي والمعرفي لمواجهة الخصم، أو الطرف المحاجج، فأول الطريق نحو النجاح تبدأ بمحاججة الذات والانتصار عليها بإقناعها.

١١- يعد المقام قيمة بلاغية شكلية ذات وظيفة أسلوبية تسهم في بناء الانسجام النصي من خلال جدول الأشكال والمحتوى، ناهيك عن كونه إطارا حاليا يؤطر الفعل الحجاجي اجتماعيا وثقافيا وزمانيا ومكانيا[٩٠].

---

(٨٧) انظر: ميشيل ماير، **"اللغة والمنطق والحجاج"**، ترجمة محمد أسيداه، ضمن الحجاج، مفهومه ومجالاته، ٥/ ٤٥.

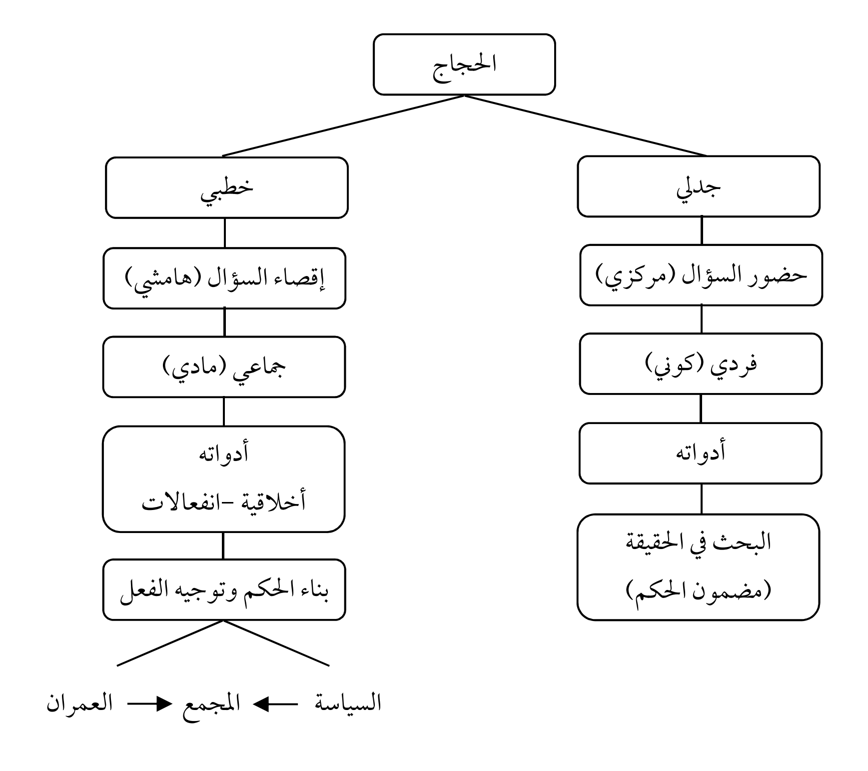
(٨٨) M.Meyer, logique, langage et argumentation, op, cit, p136.

(٨٩) traité de l'argumentation, p32.

(٩٠) traité de l'argumentation. P112-113.

١٢- إن تداخل البلاغة الحجاجية والبلاغة الأدبية لا يعني إلغاء الفروق بينهما فهما متمايزتان شكلا وموضوعا وغاية(٩١).

١٣- تهدف الوجوه البلاغية كالمجاز والاستعارة إلى إبراز حضور ما وتوكيده أو تلطيفه كما تجلو ما يفهم أو يعد غير مفيد(٩٢). هذا ويرشح المخطط التالي العلاقة التي تربط السؤال بالجواب في ضوء مقولة التخالف التي تصل أحيانا إلى التضاد الحقيقي(٩٣):



---

(٩١) صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص٧٨.

(٩٢) question de rhétorique, paris, 1993- p106.

(٩٣) أرسطو، **الخطابة**، ص٤٢ وما بعدها و ١٩٥ . وانظر محمد الصغير بناني، **البلاغة والعمران**، ص٥٠ .

٤- البلاغة والمدّ اللساني

أحدثت اللسانيات ثورة معرفية ومنهجية عارمة على صعيد الفكر اللغوي والأدبي والفلسفي المعاصر، وتعدت آثارها الإيجابية حقول المعرفة القديمة لتندمج في حقول علمية مختلفة ذات منزع اجتماعي ونفسي وأنثروبولوجي(٩٤)، وتدخلت إجراءاتها الوصفية والتصنيفية في أنساق إنسانية سياسية واقتصادية وإعلامية وأصبح من الممكن تحليل الخطابات التي تنجز ضمن هذه الأطر، والوقوف على مكوناتها اللغوية، وخططها الإبلاغية، وأغراضها التأثيرية في حياة الفرد والمجتمع.

ولعلّ من بين الخطابات التي تم وصفها وإبراز قيمتها الاجتماعية والثقافية الخطاب البلاغي المتشكل عبر أزمنة مختلفة من نصوص كلاسيكية شمولية مؤطرة بالإبداع الأدبي الخطابي والشعري، ناهيك عن النصوص الدينية التي تم تداولها في الثقافة الإنسانية، ولمّا كان مثقف اليوم جاهلا إلى حد ما بالنصوص ذات الأصل غير العربي أو الغربي فإن دائرة الوصف البلاغي ستكون مقيدة بإطاري البلاغة الأرسطية عبر امتداداتها المدرسية إلى عصر البلاغة الجديد وتقاطعها مع الدرسين الأسلوبي والنقدي الغربي الحديث من ناحية والبلاغة العربية القائمة على منطق البيان اللغوي، الذي يستمد حضوره المادي من المكون الأدبي الشعري والنثري بالإضافة إلى الموروث النقدي الذي يعد خطابا يضطلع بوظيفة الوصف والشرح والتفسير.

لقد تحولت البلاغة في تلاقيها مع اللسانيات إلى علم وصفي تفسيري يستهدف تفكيك النصوص والخطابات المختلفة التي ينتجها الفكر الإنساني الحديث، مجاوزة بذلك صفتها المعيارية التي لازمتها ردحا من الزمن قصد تقويم الملفوظات الأدبية

---

(٩٤) انظر: محمود فهمي حجازي، "**أصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الاثنولوجية**"، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثالث، عدد١، ص ١٧٧ وما بعدها.

والحكم عليها بالجودة أو الرداءة انطلاقا من مقاييس أسلوبية معينة(٩٥) إلى فضاء تأويلي يستقطر المعنى من رحم الخطابات المتزاحمة، كاشفا عن إيهامات اللغة وتناقضات الدلالة التي يشكلها فعل القول لإقناع الآخرين، كما كان للاتصال الذي حدث بين اللسانيات التداولية ونظرية تحليل الخطاب ونظرية الحديث والدلالة التوليدية والتحليل السيميائي والأسلوبيات والشعريات ونظرية الاتصال واللسانيات الاجتماعية واللسانيات العرفانية والذكاء الاصطناعي ولسانيات النص دور كبير في إرساء معالم النظرية البلاغية الجديدة التي اتخذت من مقولة الحجاج/ الإقناع موضوعا رئيسا لها، تدور حوله عملية مباشرة الخطاب لسانيا وأغراضيا.

بل يمكن الزعم من خلال النظر في نظرية تحليل الخطاب العامة أنها ليست سوى نظرية بلاغية شاملة تتصدى إلى وصف وتحليل تشكلات الخطاب اللغوية والدلالية، وطريقة التشكل وأسلوب توظيفه في التواصل اليومي في ضوء الخصوصيات المقامية، وقد يكون من المفيد نعتها (أي البلاغة) في صورتها الحالية بأنها الأنموذج الأشمل لتداخل الاختصاصات(٩٦)، من حيث مسعاها إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- وصف وتحليل الخطابات واستخلاص قواعدها الجمالية الذاتية.

٢- تأويل الخطاب وإنتاج الدلالة النصية.

٣- إبراز الإستراتيجية الإقناعية للخطابات المتداولة في الواقع اللغوي الاجتماعي.

---

(٩٥) انظر: رولان بارت، **قراءة جديدة للبلاغة القديمة**، ترجمة، عمر أوكان، المغرب، إفريقيا الشرق، ط١، ١٩٩٤، ص٧-٨. و انظر هنريش بليت، **البلاغة و الأسلوبية**، ترجمة محمد العمري، المغرب، إفريقيا الشرق، ص٢٢-٢٤.

(٩٦) صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٦٤، سنة ١٩٩٢، ص٢٥١.

٤- دراسة البعـد النفعي للخطاب، وطرائق تحقيق ذلك في الحيـاة العامة من خلال إنتاج نصوص تحث على الاستهلال وتبرز القيمة العينية.

٥- تحليل مقومات الإقناع اللغوية والبصرية في ضوء الانتقال من بلاغة الكلمة إلى بلاغة الصورة والحركة أيضا[٩٧].

أما عن علاقة بلاغة الحجاج باللسانيات فقد تأسست في ضوء رؤية ترى انتماءه للفعل اللغوي بدرجة أولى، يقضي أداه التأثير في السامع، من خلال استثمار مدروس لوسائل اللغة وأدواتـها التي تفيد سياقيا الإقناع، مما يعني كـونه مفارقا للبـرهان والاستدلال المنطقي اللذين يبتغيان إثبات قضية أو دحضها في ضوء مسلمات عقلية معينة، وبعبارة أكثر وضوحا ليس الحجاج اللغوي حجاجا برهانيا منطقيا، إنه عملية لغوية تنتج بفعل القول، يبتغى بها التأثير في المتلقي بأدوات لغوية صرفة[٩٨]، لتتيح عملا استدلاليا طبيعيا قائما على الاحتمالية.

مما يعني انتماءه إلى نظام الخطاب اللساني، وهو نظام يختلف في تكوينه ووظيفته عـن نظام المنطق. ويذهب حبيـب أعـراب في دراسته عـن "الحـجاج والاستدلال الحجاجي" إلى أن الحجاج ظاهرة لسانية نصية لا يمكن تفسيرها دون إبراز دور المتكلم ومنزلته في عملية التواصل الحواري، ناهيك عن ضرورة العودة إلى المكونات اللغوية ذاتها، وما تقدمه من روابط نصية ذات غائية حجاجية تنظم عمل الحجج، وتوزعها وفق منظومة سلمية معينة تعبر عن إستراتيجية العمل اللغوي الرئيس[٩٩].

---

(٩٧) سعيد بنكراد، وانظر أيضا: حمادي صمود، **من تجليات الخطاب البلاغي**، دار قرطاج، ط١، تونس، ١٩٩٩، ص١٣٤.

(٩٨) انظر: أبو بكر العزاوي، **الحجاج في اللغة**، ص ٥٦.

(٩٩) انظر: حبيب أعراب، **الحجاج و الاستدلال الحجاجي**، ص١٠٤.

وفي هذا السياق يشدد **شكري مبخوت** على أن موضوع الحجاج اللساني قائم على ما يتضمنه المتلفظ به من قوة حجاجية متصلة بالمعنى، لا تنفصم عنه، وتمارس هذه القوة بفضل الأدوات اللغوية الحجاجية التي توجه الملفوظ نحو غاية إقناعية معينة(١٠٠)، مما يعني ضرورة أن يشمل الوصف التداولي للخطاب الحجاجي مستويين من البنية هما: ١- المستوى اللساني النصي، ٢- المستوى البلاغي النصي، بالتركيز على أدوات الربـط الحجاجي إحصاء وتصنيفا ووظيفة بالإضافة إلى سائر الأنساق التي لا ينحصر دورها في تحقيق التماسك النصي مثل التكرار والحذف والوصل(١٠١)، بل تتعدى وظيفتها إلى توجيه الدلالة العامة إلى الدلالة الحجاجية، ومن ثم المعنى المقامي الذي تضفر به في سياق تحليل العناصر البلاغية المختلفة في إحالتها المقامية اجتماعيا وسياسيا وثقافيا.

٥- الحجاج وعلم الدلالة

تنخرط النظريات الدلالية المختلفة في سياسة تحليل المعنى الإفرادي أو السياقي ضمن مفهوم البنية اللسانية، عادّة المدلول بوصفه شكلا حاملا للمعنى موضوعها الأساس، بالرغم من التجاذبات الفلسفية والرمزية المختلفة، وقد نشأ في إطار الدلالة البنوية القول الذي يعدّ المعنى المعبر عنه باللفظ تصورا للواقع الموصوف، الذي تخبر

---

(١٠٠) انظر: شكري مبخوت، **نظرية الحجاج في اللغة**، ص٣٥٢ ضمن: الحجاج في التقاليد الغربية، وانظر تبعا لذلك Oswald Ducrot, les échelles argumentatives, ed de Minuit, Paris, 1989, p9-18-30.

(١٠١) يميز **ديكرو** بين الروابط الحجاجية التي تمثل أدوات الاتساق مثلا في العربية كالواو والفاء، لكن وإذا، وبين العوامل الحجاجية المؤسسة للقول نفسه مثل: النفي والحصر والظروف، نظر شكري مبخوت، **نظرية الحجاج في اللغة**، ص٣٧٧.

عنه العلامة، فيصدقه الواقع المادي أو يكذبه، فنظام الدلالة اللسانية نظام قائم على الفكرة التواصلية بالدرجة الأولى، تواصل بالحواس مع العالم الحسي، وتواصل لغوي مع أبناء الجنس البشري ضمن دائرة التبليغ اللغوي، وفي الحالين معا لا يتم التعرض للبعد الفعلي للدلالة، من حيث كونها عملا اجتماعيا منجزا بالتلفظ في سياق التخاطب أو الكلام ينافح عن رؤية أو مبدأ معين.

فالتحاجج أو الحجاج فعالية إنسانية تعبر عن روح الإنسان المخاطب للآخرين، وقيمة لغوية ثانوية تتقدمها القيمة الإبلاغية للفظة أو الجملة(١٠٢). أما فلاسفة أكسفورد فقد ركزوا على البعد الإنجازي للقول، فمعنى الملفوظ ليس بالضرورة ما نقصده في سياق التخاطب، ومن ثم يمكن التمييز بين المعنى الحرفي أو السطحي للعبارة المنطوقة، أو ما يمكن أن يعد محتوى قضويا في القضية أو شحنة إعلامية في المعلومة المعروضة، والتي يفهم معناها من دلالة المفردات في صياغتها الصرفية والنحوية التي تظهر بها.

كما يتم التحقق من صدقيتها بمطابقتها للعالم أو مخالفتها له، بينما يشير المعنى الغرضي، أو الفعل المتضمن في القول إلى قصد المخاطب، وغرض الخطاب، ممّا يمكن التعرف على نجاعته من خلال توفيقه أو عدم توفيقه بالنظر إلى ضوابط التداول اللغوي الاجتماعي، وهذا المعنى هو الذي تعده نظرية الفعل الكلامي فعلا له آثاره النفسية والاجتماعية، تختلف قوته باختلاف شروط تكوينه، وفي هذا الإطار يمكن

---

(١٠٢) يمتح هذا التصور الوصفي للمعنى من جملة النظريات الدلالية البنوية المتأثرة بأعمال سوسير، بالإضافة إلى منهج اللسانيات التوليدية في بعدها الديكارتي العقلاني، ولعل أهم من يمثل هذه النزعة في علم الدلالة الوصفية: **دجيش (P.TGeach) وألفريد تارسكي (A.Tarski)**، انظر المرجع نفسه، ص٦٧.

تنزل العمل الحجاجي بوصفه فعلا متضمنا في قول قد يكون معناه مفيدا للوصف أو الإخبار أو العرض أو الحوار أو الطلب أو الإرشاد؛ بينما يوجه لإنشاء الحجاج، وحمل المستمع على الإقتناع، بل يمكن تمعين أقوال حجاجية تختلف في قيمتها الإنجازية عن محتواها الإخباري إلى حد التعارض(١٠٣).

وفي هـذا الإطـار أيضا يمكن التّمييز بين المعنى الإخباري والمعنى الوصفي والمعنى الطلبي والمعنى الحجاجي الذي يعد بؤرة البحث في نظرية الحجاج(١٠٤) بعد أن صحح **أوستن** نظرة المتقدمين الذين جعلوا الأقوال اللغوية لوصف العالم والإخبار عن تفاصيله، واسما هذه الرؤية بكونها مغالطة وصفية(١٠٥)، انطلاقا من أن المتكلم ينشئ بتلك الأقوال أعمالا إنجازية مختلفة تتجاوز مجـرد الوصف إلى إصدار الحكم والإعلان والطلب من أمر ونهي وحث ودعوة والتماس، والتحذير والالتزام والتفسير والإثبات والنفي والتزكية، وغير ذلك من أفعال التي تبيّنَ لاحقا أنها تنصهر في فعل كلي جامع هو الفعل الحجاجي مصرحا به أو مضمرا بحسب مقتضيات الخطاب، وبنيته اللسانية(١٠٦). كما يتنزل بحث الحجاج من الناحية الدلالية في سياق ما يعرف بالحجاجية الضعيفة(١٠٧) التي تقلل من دور المؤشرات الحجاجية في تحديد الدلالة العامة للملفوظ.

---

(١٠٣) انظر أمثلة تفصيلية لهذا التعارض في بحث: أبو بكر العزاوي، **الحجاج في اللغة**، ص٧٥.

(١٠٤) يشير **دي كرو** هنا إلى ضرورة عدم الخلط بين المعنى الحجاجي بوصفه قيمة قولية، والمعنى الحرفي أو الإخباري الذي تشيده العلاقات المعجمية والنحوية في التركيب، انظر: Les echelles argumentative, p7-10.

(١٠٥) Francois Recanati,naissance de la Pragmatique ,in Quand dire c est faire, p185

(١٠٤) أبو بكر العزاوي، **الحجاج في اللغة**، ص٦٨.

(١٠٧) يمثل هـذا الاتجـاه **جيل فوكونيي** (G.Fauconnier) **وهنين نولكه** (H.Nolke) وربير **مارتان** (R.Martin)، انظر المرجع نفسه، ص ٦٨.

٦- الحجاج في إطار التداوليات

توثقت عرى الترابط المفهومي والغائي بين التداوليات بوصفها مجالا وصفيا وتفسيريا للأعمال اللغوية التي ينجزها مستخدموا اللغة في مقامات التواصل والتفاعل الاجتماعي المختلفة معتمدين على ضوابط حوارية معينة، تحقق للخطاب مقصديته(١٠٨)، ونظرية الحجاج(١٠٩) من جهة ثانية بوصفها إطارا بحثيا في أدوات التعبير عن الأفكار، والحث على التجاوب معها من طرف الآخرين، بالإضافة إلى الرغبة في استهوائهم واستمالتهم بشتى الطرق إلى وجهة النظر المطروحة بواسطة القول نفسه، أو الأفعال ذات الأثر المادي في علاقة التحاور البينية.

وضمن هذا البعد التأثيري تتنزل العناية بالحجاج باعتباره غاية للإبلاغ، ومنتهى للتواصل، فالكلام لا يكون إلا بين اثنين، ولو كان كلام المرء مع نفسه، ولا اثنين إلا عرض ومعترض، ولا عارض إلا بدليل، ولا معترض إلا لطلب الصواب(١١٠)، ويكتشف المتحاورون إزاء هذا التحاور عبر تأويلهم لنظام العلامة المشفرة في التبليغ مقاصد بعضهم التي يبتغون تحقيقها مستنجدين بتقنيات القول البليغ في أغلب الأحيان عن طريق المثل والشاهد والقياس المضمر والافتراضات

---

(١٠٨) طه عبد الرحمن، **"اللسانيات والمنطق والفلسفة"**، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، عدد٥، سنة ١٩٨٨، ص ١٢١.

(١٠٩) يعد العمل الحجاجي عملا لغويا مركبا، تعنى بدراسته نظرية الأعمال اللغوية، بالإضافة إلى عنايتها بالأعمال اللغوية البسيطة التي عرضها أوستين وسيريل، انظر تفصيل ذلك في: فان إيميرين وخروتندورست، **"الحجاج فعل لغوي مركب"**، ترجمة ياسين ساوير المنصوري، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، تنسيق حافيظ علوي، ٥/ ١٩٧.

(١١٠) طه عبد الرحمن، **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، ص ٩٣.

اللغوية المختلفة(١١١)، واستخدام المجاز والاستعارة، لقد قرر **ليتش** (Leitch,v) أن البلاغة تداولية في صميمها، فهي ممارسة للاتصال بين المتكلمين تسمح بحل مشكلات الدلالة والفهم من خلال وسائل تأثيرية معينة لغاية الإقناع(١١٢).

إن المنظور التداولي للخطاب يسعى دوما إلى الإجابة عن أسئلة محورية تجسد علاقة الناص بالنص من جهة، وعلاقتهما معا بالمقام والمتلقي من جهة ثانية، ولعل أهمّ هذه الأسئلة: ١- من يتكلم، ٢- إلى من يتكلم، ٣- ماذا يقول؟ ٤- كيف يقول؟ ٥- ماذا يقصد؟ ٦- هل هناك فرق بين القول والقصد الذي يريد؟ ٧- أين يقول؟ ٨- متى يقول؟(١١٣).

وهذه الأسئلة متصلة اتصالا وثيقا بتداولية العمل اللغوي، وقيمته الحجاجية في التواصل الاجتماعي؛ فالربط بين التداوليات والبلاغة الحجاجية يتنزل في سياق تأكيد إمكانية تحول البلاغة بعامة والبلاغة القديمة بخاصة إلى نظرية نصية تداولية تحمل على عاتقها مسؤولية تحليل وظائف المقام التخاطبي الذي يتحكم بدوره في بنية النصوص، ووظيفتها الاجتماعية التداولية(١١٤).

---

(١١١) J.Moeschler, Argumentation et Comversation ,ed Hatieu,Paris, 1985, p24-23

(١١٢) صلاح فضل، **بلاغة الخطاب و علم النص**، ص٩٧-٩٨. وانظر ميشيل مايير، **"اللغة والمنطق والحجاج"**، ترجمة محمد أسيداه، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ٥/ ٤٥.

(١١٣) براون ويول، **تحليل الخطاب**، ترجمة منير التريكي ومحمد لطفي الزليطني، منشورات جامعة الملك سعود، ص ٣٥.

(١١٤) هنريش بليت، **البلاغة والأسلوبية**، تر محمد العمري، إفريقيا الشرق، ط١، المغرب، ١٩٩٩، ص ٦٦. وانظر عن تفاعل هذه الأطراف؛ البلاغة والتداوليات ونظرية الحجاج، طه عبد الرحمن، **اللسان والميزان**، ١٠٢ وما بعدها.

وليس أدل على ذلك من استحواذ الانزياح الأسلوبي على أفق المتلقي سالبا إياه السيطرة على ذوقه الجمالي، وتقديره المنطقي للأشياء إذ يغدو حجة تنبيهية وتوكيدية تشحن فضاء الاتصال البلاغي بالإغراء والجذب والاستمالة، بالإضافة إلى الشعور بالمتعة الفنية[١١٥]، ولك أن تقدر نوع الشعور وأثره في تلك العبارة الإشهارية التي يمكن أن تظهر على واجهة إحدى محلات بيع الملابس الداخلية للنساء، كتبت بخط عادي، وبلون أحمر مع إضافة إضائية متقطعة: لا تلمسه فهو حار، (Ne le touche pas il est chaud)[١١٦].

إن تحليل هذا الملفوظ الإشهاري بهدف الكشف عن مقصوده الفعلي، من حيث كيفية القول، وكيفة الدلالة يتطلب نظرا في البنية الشكلية النحوية والمعجمية، بالإضافة إلى انزياح الملفوظ عن الواقع الاجتماعي، والأبعاد النفسية والأخلاقية المتصلة بالمتلقي، كما إن تحقق الفهم ينطوي على تضمينات أو إيماءات اجتماعية بالإمكان كشفها من خلال طبيعة الردود الناتجة عن مثل هذه الرسائل المشفرة. إن رصد العلاقات بين هذه الأدوات، وكيفية توظيفها للإقناع بالقول في معرض الدعاية والإشهار -مثلا- يجعل دراسة الحجاج شأنا من شؤون التداوليات. وفي ضوء ذلك يغدو كل خطاب حجاجي قائما على قصدية وفعالية وتأثير، تنجز عملا لغويا في التواصل الاجتماعي[١١٧].

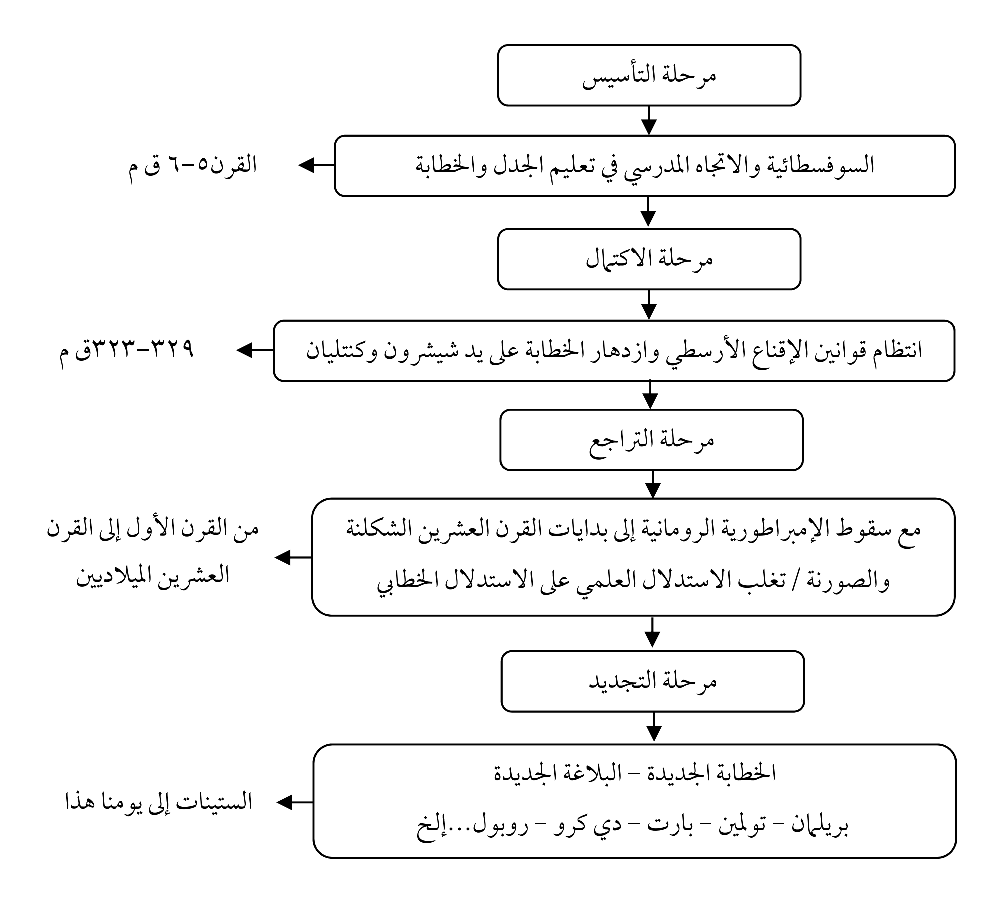
---

(١١٥) المرجع نفسه، ص٦٦.

(١١٦) لعل من الدلالات المفهومة و المقيدة إحالة الملفوظ على الملبوس وعلاقته بالأنثى والجسد، غير أن المقصود غير ذلك بالنسبة إلى صاحب الإشهار، فالعبارة ليست إلا إشهارا بالنقيض على سعر البضاعة المعروضة كقولنا: **"الأسعار نار!!" لا تلمس**. انظر، **نظرية الأدب في القرن العشرين**، ترجمة محمد العمري، ص٦٧.

(١١٧) انظر :حبيب عراب، **"الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري"**، مجلة عالم الفكر، عدد١، مجلد ٣٠، سنة ٢٠٠١، ص ١٠١ وما بعدها.

ولعلنا نستكشف التحـول التاريخي لنظرية الحجاج بشكل جـامع من خلال المخطط التـالي الذي يبين عن حركـة الحجاج منذ ظهورها على يـد أقطاب الفلسفة الإغريقية فـي التقاليد الغربية إلى لحـظة الفصل المنهجية فـي الفكر اللساني التداولي الحديث خلال التقائه بنظريتي البلاغة والأدب[١١٨].



(١١٨) breton (philipe et gauthier gille), histoire des théories de l'argumentation, edition la découverte, paris, 2000, p9-10.

إن تتبع الرصيد المعـرفي للفكرة البلاغية يحيل عـلى تعدد المرجعيات المنشئة لمفهوم البلاغة ذاتها، مما يبرر لتطور المفهوم، وتنوعه، ومن ثم تداخله مع مسارات معرفية أخرى، تشترك معه فـي دراسة القول مثل اللسانيات والنحـو تحليل الخطاب والسيميائية والتداولية والأسلوبية، وليس لدى الدارسين اليوم مفهوم واحد وموحد للمصطلح(١١٩)، بالرغم من اتفاق النزعات الفكرية المختلفة في الإطار العام، أو لنقل الفكرة الجامعة على حد **ميشال ماير** (M.Meyer)(١٢٠).

وفي هذا السياق يؤكد **محمد العمري** قيام الرؤية البلاغية على نظرات معرفية مختلفة، تجمع بين كفايات الوصف والتفسير والمقـارنة، مما يعني ضـرورة الانتفاع بمقدمات علوم الأصوات والصرف والتركيب والمعجم والدلالة، والاستعانة بالمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع واللسانيات بخاصة بعد تخطيها لحدود الجملة نحو فضاء النص باعتباره الإنجاز الفعلي للغة في التواصل(١٢١)،إذ في تكوينه تتفاعل أنظمة العلامات المختلفة لتنتج نسقا من المعاني الجزئية والكلية يقصد بها إثارة المتلقي، وشد انتباهه، وتوجيهه إلى أداء فعل معين بعد حمله على الإذعان والاستسلام.

لقد غدت البلاغة فعلا وخطابا لا مندوحة من الاتكاء عليه لفهم الإشكالات اللسانية والحجاجية التي تطرحها النصوص المختلفة(١٢٢)، هذا ويشكل الخطاب/ النص

---

(١١٩) البلاغة في اللغة الوصول والانتهاء ومبلغ الشيء منتهاه، وبلاغة الكلام مطابقته لما يقتضيه حـال الخطاب مـع فصاحة الألفاظ إفرادا وتركيبا، السكاكي، **مفتاح العلوم**، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٦٩.

(١٢٠) M.Meyer, Questions de rhetorique , Langage ,raisonet seduction ,Paris ,1993,p15-16 ,voir aussi ;Olivier Reboul,la rhetorique ,que sais-je? Paris, 1984, p5.

(١٢١) محمد العمري، **الحجاج مبحث بلاغي، فما البلاغة؟** ص ١٧.

(١٢٢) البلاغة علم وموضوع في الآن نفسه، فهي علم يصف ويفسر كفاءة التعبير الجميل والمؤثر، وهي موضوع يعبر عن كفاية التعبير نفسها عبر النصوص المختلفة، تلك الكفاية المؤسسة

الموضوع الرئيس لعلم البلاغة، فإليه تشد أنظار الوصف والتحليل قاصدة إبراز أنساقه الدالة، والمؤثرة في الآن نفسه، ومن ثم تحليل خطته القولية الهادفة إلى عرض قضية معينة، والدفاع عنها بأشكال وحجج مختلفة، مما يعني تشييد الوصف البلاغي علـى أجناس النصوص المختلفة شعرية وخطبية وعادية يهمين فيها الحوار بوصفه أداة وفعلا وغرضا، مما يظهر بجـلاء فـي المناظرات والمساجلات والدعاوى القضائية، وأشكال الخطاب القانوني، والموائد المستديرة، التي تحرر الفكرة بالنقاش والجدل، بل يمتد الحوار مخترقا فنونا أدبية ليس غرضها الأساس الإقناع مثل النص المسرحي والروائي والشعري الملحمي.

أما مصطلح البلاغة الجديدة (Nouvelle Rhetorique) فتستمد التسمية فيه شرعيتة وجودها من مخالفتها منهجيا ومفهوميا لبلاغة المتقدمين اليونانية على وجه التحديد، وامتداداتها عبر القرون الموالية إلى بلاغة المدرسيين في أوربا. وغني عن البيان التذكير بارتكاز النظر البلاغي القديم على ربط الخطابة من حيث كونها أداء لغويا موجها إلى جمهور من المستمعين بغرض الإقناع بوساطة الحجج المختلفة، والتي يتجه بعضها إلى القائل نفسه في ضوء شروط أخلاقية ذاتية يتصف بها، بينما يتجه البعض الآخر إلى السامع مركزة على حالته النفسية(١٢٣).

على لعبة الاحتمالات اللغوية في تأرجحها بين صدقية الواقع، وتخييل الصورة، انظر محمد العمري، **الحجاج مبحث بلاغي، فما البلاغة؟** ص٢٢.

(١٢٣) أرسطو، **الخطابة**، تعريب عبد الرحمن بدوي، ط٢، بغداد، سنة ١٣٥٥،١٩٨٦ب-١٣٥٦أ، وانظر في هذا السياق أيضا: عبد الله صولة، **البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديد**، ضمن الحجاج، كتاب جماعي، جمع حافظ علوي، ١/ ٢٨ وما بعدها.

أما البلاغة الجديدة فقد تأسست من خلال نظرياتها المتنوعة على تعددية النظر إلى الوسيلة البلاغية والحجاجية، وأهميتها في التلفظ فعلى صعيد العناية بحجة القول ذاته، أو الخطاب من حيث كونه حجة في ذاته، فهو علامة دالة على، تتصدر جهود **تولمين** (١٩٥٨) و**بريلمان** (١٩٥٨)، و**دي كرو** (١٩٧٢) وجماعة"M" (١٩٧٠)، أما جهود **بورك** (Burke) (١٩٥٠)، وهابرماس (١٩٦٨)، **وج. سيريل** (١٩٦٩)، فتتنزل في سياق الاعتناء بحجة الإيتوس، بينما تركز جهود البلاغة الأمريكية في أعمال ويفر (١٩٥٠) و**آيزر** (١٩٧٧) على حجة الباتوس (Pathos)[١٢٤].

ومما تجدر الإشارة إليه أن نظرية الحجاج أو البلاغة الجديدة من حيث كونها نظرية عامة فـي تحليل الخطاب تركـز على دراسة معينات الفعل الحجاجي، وأدواته الضابطة لعمله في الحدث الكلامي، باعتباره عملا لغويا منجزا في سياق تحاوري معين، ومن ثم يمكن للدارس في إطار تحليل الخطاب تحليلا لسانيا تداوليا أن يستدعي مفهومات نظرية البلاغة الجديدة في بعدها الحجاجي لتفسير القيمة الحجاجية اللسانية للملفوظ باعتباره قضية، وفعلا مضمنا في القول، يقوم على أدوات تحدد غايته الإبلاغية والإقناعية في الآن ذاته.

وفي هذا السياق نبه كل من **بريلمان** و**تيتكا** إلى ضرورة إقامة ارتباط بين تحليل الخطاب ومسألة تحديد الروابط النصية باعتبارها وسائل حجاجية معتمدة في بناء

---

(١٢٤) عبد الله صولة، **البلاغة العربية**، ص ٣٠. كما ينظر أيضا حمادي صمود، **"هل تكون البلاغة كلها حجاجا"؟** مجلة دراسات لسانية، عدد ٥، تونس، ١٩٩٧، فهذا السؤال المبدئي يعد نقطة ارتكاز للعلاقة الحميمة التي شيـد عليها صـرح البلاغة الجديدة، بوصفها نظرية حجاجية، أما عن دلالة المصطلحات المذكورة فينظر: Michel Meyer,Histoire de la Rhetorique des Grecs a nos jours .1999, p255.

النص الحجاجي[١٢٥]، مما يعني تأسيس وصف داخلي للبنية الحجاجية في إطار بنوي عام ينفض يديه من آثار الحجج الخارجية المقامية والظروف غير اللسانية.

كما يتبرأ من الوصف الجمالي الذي يهيمن على الرؤية البلاغية والنقد الأدبي، وفي هذا السياق يؤكد عبد الله صولة ارتكاز نظرية الحجاج عند **بريلمان** على دراسة تقنيات الخطاب التي تؤدي بتوظيفها إلى إذعان المستمع، وتسليمه زيادة على ذلك بموضوع الأطروحة وحججها[١٢٦]، على سبيل التوجيه للأنفع[١٢٧]، ومن خلال طريقين حجاجيين مختلفين هما؛ طريقتا الوصل والفصل[١٢٨]. وفي هذا السياق يذكر عبد الله صولة بارتكاز

---

(١٢٥) Ibid, p255 ,et aussi Prelmane, Titka, 8-10-669

(١٢٦) عبد الله صولة، ص٣٢و٣٣، وانظر توسعا: A.Berrondonner, Elements de Pragmatique linguistique,ed ,Minuit,1981,p11-12.

(١٢٧) المقصود بالأنفع والأجدى (Loi de l utilite)، لماذا قال المتكلم ما قال؟ والإجابة تحدد بناء على مقتضى السياق، وقد وصف بروندونيي هذا النوع من السؤال التأويلي بالتداولية المدمجة، أو نظرية الدلالة وفق الشكل Y، انظر تفصيل ذلك في المعجم وأيضا، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص ٣٣. ومما يتصل بهذا السؤال سؤال آخر لا يقل عنه أهمية هو: **لماذا اختار المتكلم هذه الوحدات اللسانية، ولم يختر غيرها في مسلك القول المعبر به؟**، مما يوجه إلى وجه النّفع الذي يتحقق في ضوء تلك الاختيارات التّعبيرية والأسلوبية في ضبط الفوارق الحجاجية للوسائل والوحدات.

(١٢٨) عالج **بريلمان** في كتابه آنف الذكر أشكال الحجاج، وأساليبه، مميزا بين الطريقة الاتصالية والطريقة الانفصالية، فأما الاتصالية فتقوم على ضم فكرة إلى أخرى بغض النظر عن اتفاقهما أو اختلافهما على سبيل علاقة الأسباب بنتائجها منطقيا، مثل الوصل السببي، أو حجة السلطة مما يمكن عدّه حجاجا مبنيا على الواقع أو مؤسسا له، مثل الاستعارة، أما الطريقة الانفصالية فتقام على تجزئة الكل إلى فكرتين مختلفتين بالرغم من كونهما مشتقتين من أصل واحد على سبيل مخالفة ما هو كائن لما يجب أن يكون حقيقة أو افتراضا.

مفهومي الوصل والفصل عند بريلمان على التجريد الفلسفي بالرغم من صفتهما اللغوية التي تظهر في نظرية السلالم الحجاجية والمربعات الحجاجية عند **أنسكومر** و**دي كرو**.

وعلى صعيد آخر يمكن تمثل طرائق الوصل والفصل في دراسة الوجوه البلاغية من بيان وبديع ومعان بالشكل الذي ينقل هذه الوجوه من مجرد كونها ملامح لغوية اختيارية تجمل العبارة فتضفي عليها شعرية ممتعة إلى أن تكون أدوات حجاجية تفاضلية ذات شأن في بناء الخطاب الحجاجي اليومي من حيث كونه خطابا لسانيا تواصليا ينجز في سياقات التخاطب المختلفة بين المتكلم والمتلقي(١٢٩). هذا ولم يعد سرا مكتوما ارتباط درس الحجاج بالبلاغة الجديدة - كما ذكر سلفا- التي تمثل تصوراتها الأساسية في القول تجديدا وتصحيحا لمسار البلاغة القديمة القائمة على وجهة النظر الأرسطية، والتي احتج فيها لمسارات تشكل القول الخطابي في صورته القضائية الإغريقية بالحجة المنطقية بالدرجة الأولى(١٣٠).

لقد انتبذت التصورات البلاغية الجديدة التي أرسى جهازها المفاهيمي مع منتصف القرن العشرين كل **من بريلمان** و**تيتكا** في كتابهما الضخم **"مصنف في الحجاج"**

---

(١٢٩) يشير صولة إلى إمكان الإفادة من طريقتي الوصل والفصل في دراسة الاستعارة والمجاز المرسل والتذييل والاعتراض والطباق والمقابلة ضمن النوع الأول، والقصر والاحتراس والتتميم والاعتراض والطباق والمقابلة أيضا في النوع الثاني بحسب الشكل الذي تتحققان به في التلفظ، انظر عبد الله صوله، مرجع سابق، ص ٥٤.

(١٣٠) انظر تفاصيل ظهور الخطاب القضائي الإغريقي في الفضاء الديمقراطي، وتوجيهه للبلاغة والخطابة القديمتين في: رولان بارت، **البلاغة القديمة**، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، منشورات الفنك، ١٩٩٤، ص٣٨، وانظر أيضا: أحمد الفوجي، **فن الخطابة**، دار نهضة مصر، ط٥، ص٣٩، وأيضا: رولان بارت، **البلاغة القديمة**، ص٣٤، وانظر عرضا جامعا لـ: حفيظ علوي في: مقدمة **كتاب الحجاج**، ص٥-٦.

تلك التصورات الشّمولية التي تحصر الإقناع في صورته العقلية المجردة والصارمة صرامة الاستدلال المنطقي، بعيدا عن استعمالات اللغة الحية وأحول مستخدميها من متكلمين ومستمعين من حيث أهواءهم ونزعاتهم الفكرية ومستوياتهم المعرفية والإدراكية(١٣١)، إذ رشحت البلاغة القديمة القول الخطابي بخاصة عند السوفسطائية إلى أن يكون أداة حوارية للدفاع عن الرأي، والنيل في الوقت ذاته من الرأي المضاد بتوسل كل الحجج والبراهين العقلية والمادية بما فيها المغالطات الحجاجية المموهة على الحقيقة العينية بصورة رئيسة، ثم تحولت إلى نشاط يتعلم وفق قواعد صناعية معينة بهدف تخريج المحامين والقضاة وخطباء السياسة والرأي(١٣٢).

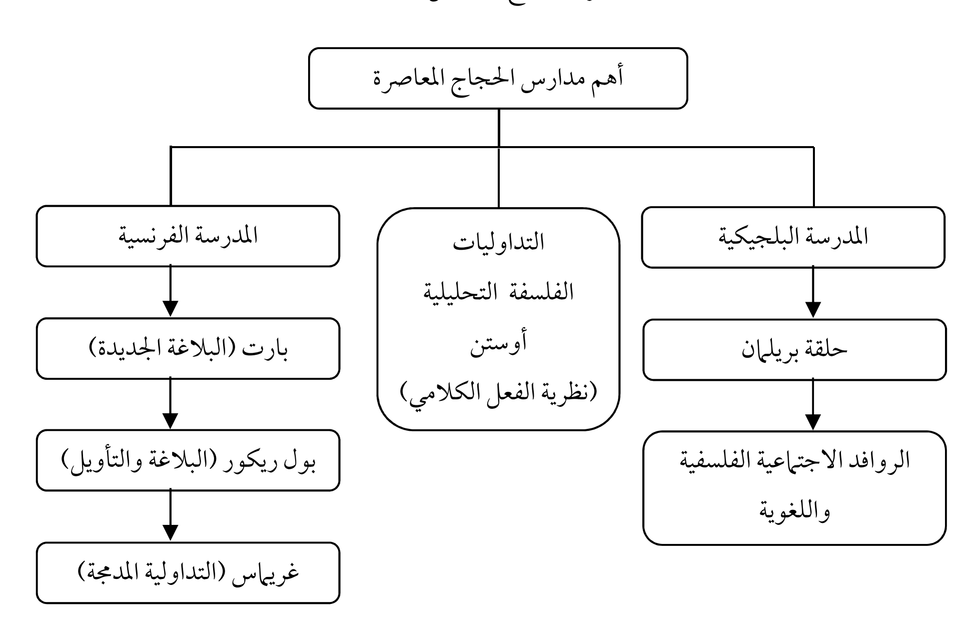
لقد كان مبتغى **بريلمان** التأسيس لرؤية بلاغية جديدة مسايرة لروح العصر المدني الديمقراطي في الغرب، القائم على الحرية الفردية، والتسامح المذهبي على الأقل في أدبيات تشكله، بعيد عن تمويهات السفسطة القديمة المتلبسة بإزار تحرري حديث، ربما ينال من عواطف الجماهير العريضة فيوقعها في حبائل غوايته الإيديولوجية(١٣٣). ولعلنا نقترب من أهم الاتجاهات الحديثة المقاربة للحجاج من خلال تمثل الخطاطة الآتية:

---

(١٣١) Traite de L argumentation. p12، وانظر محمد الأمين محمد سالم، **مفهوم الحجاج عند بريلمان**، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص١٨٢-١٨٥.

(١٣٢) عن تاريخ الخطابة والخطباء الإغريق والرومان ينظر: **تاريخ الأدب الغربي**، كما ينظر في سياق نقود الفلاسفة القدماء سقراط وأفلاطون وأرسطو للمسار السوفسطائي المغالطي: عبدالرزاق بنور، **جدل حول الخطابة والحجاج**، ص٤٠.

(١٣٣) انظر: عبدالله صولة، **الحجاج، أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج**، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج، بإشراف حمادي صمود، كلية الآداب، تونس، ص ٢٨٩، وانظر تعليق حافظ علوي في المقدمة سالفة الذكر، ص ١٠.



٧- الرؤية الحجاجية، وسنة التطور

لقد تجـدد النظر البلاغي فـي الغـرب عبر ممارسات لسانية ونقدية وفلسفية متعددة فـي كل من بلجيكا وفرنسا وألمانيا، ولعل أهم الجهود التي سعت إلى إعادة قراءة البلاغة الكلاسيكية -كما مر بنا- وربطها باللسانيات والتركيز على مفهوم الحجاج باعتباره المفهوم المفصلي للحدث البلاغي جهود **بريلمان** و**تيتيكا** بخاصة في مؤلفهما **"البلاغة الجديدة، مصنف في الحجاج"**، والذي عدّ شرارة أولى لانطلاق الدراسات البلاغية الدائرة على الحجاج في الشرق والغرب(١٣٤).

فقـد قـدما مشروعا متكاملا طابقا فيه البلاغة بالحجاج فغديا وجهين لعملة واحدة، كما يشير العنوان السالف(١٣٥)، وقد اكتسحت رؤيتهما ميادين علمية مختلفة مثل

(١٣٤) انظر: صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص١٢٢.

(١٣٥) انظر: محمد العمري، **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، ص٢١٦.

الاتصال المكتـوب والشفوي (فـن الإلقـاء)، والتحليل النقدي للأدب مثل الخطاب السياسي والإشهاري وغـيرها مـن المجالات، وما هـذا التوسع فـي الحقيقة إلا لأن الحجاج عمل لغوي منطقي غير ملزم، يتوجه به إلى مستمع في سياق لغوي طبيعي واجتماعي، نفذ في أشكال النصوص والخطابات المختلفة، المرتهن وجودها وديناميكيتها بمقامات التبليغ المختلفة(١٣٦).

هذا وقد قام تصور **"شايم بريلمان"**(١٣٧) للحجاج بوصفه لغوية تطمح إلى إقناع المحاجَج بفكرة أو أطروحة ما، أو أن يزيد في درجة التسليم والإذعان لها(١٣٨)، وبالرغم من أهمية البعد الحجاجي فـي الخطابات فإن بريلمان أقـر بعدم عناية الدارسين به موضوعا علميا في دراساتهم على الأقل في الفترة التي صدر فيها مؤلفه سالف الذكر، ولعل سبب استنكافهم عن الاقتراب من حدوده وأطره اتصاله بالمجالات المعرفية والفلسفية، والاعتقاد بأنه موضوع غير جدير بالعناية من الناحيتين اللسانية والأدبية وربما كان حكرا على المهتمين بتحليل الخطاب السياسي أو الإعلامي(١٣٩)، أما الأسس

---

(١٣٦) M.Meyer, logique, langage et argumentation, op.cit, p136. وانظر: أوليفي روبول، **هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟**، ضمن كتاب البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص٢٢٠.

(١٣٧) يتنزل تصور الحجاج عند بريلمان في سياق البلاغة الجديدة، (la nouvelle rhétorique) المؤطرة نظريا بالفلسفة والعلوم الاجتماعية وعلوم الإعلام والاتصال و الإبداع الأدبي.

(١٣٨) Perelman, O, Tyteca, traité de l'argumentation, p5.

(١٣٩) انظر: صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص٧٤ وما بعدها، وانظر ما ذكره بريلمان في Ch. Brelman, l'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, ed librairie philosophique, vrin, paris, 1977, p9-10.

والمحددات النظرية التي يقوم عليها تصور الحجاج عند **بريلمان** بخاصة ومعاونيه وتلامذته من الاتّجاه البلجيكي، فيمكن إجمالها في المفاصل الآتية[١٤٠]:

١- يقوم الفعل الحجاجي على تحقيق وظائف تداولية أساسية هي الإقناع الفكري والإعداد لقبول الأطروحة المحددة، والدفع بالمحاجَج إلى الفعل (التأثر).

٢- الكفاءة الحجاجية رهينة درجة الأثر الذي يتحقق لدى المحاجَج.

٣- انتماء البلاغة إلى دائرة الحجاج وتلبسها به في جميع السياقات اللغوية والأدبية والاجتماعية[١٤١].

٤- بنية الحجاج منطقية احتمالية في الحجة والنتيجة مؤطرة بالنظامين اللغوي والاجتماعي.

٥- يشكل الفعل الحجاجي عبر نوعين حجاجيين أحدهما (L'Argumentation Persuasive) يقوم على مخاطبة العاطفة والخيال، وثانيهما إقناعي عقلي حر في الاختيار (Argumentation Persuasive).

٦- ارتباط الحجاج عند **بريلمان** بالاستدلال والخطابة ارتباطا عضويا وموضوعيا.

٧- التركيز على الخطاب المكتوب وآليات الحجاج فيه مرتبطة بالتأويل، وإدراك علاقة الكاتب بالقارئ والمقام الذي يحيط بهما.

٨- التركيز على المكونات النفسية والمعرفية والاجتماعية التي تتشكل منها الخطة الحجاجية[١٤٢].

---

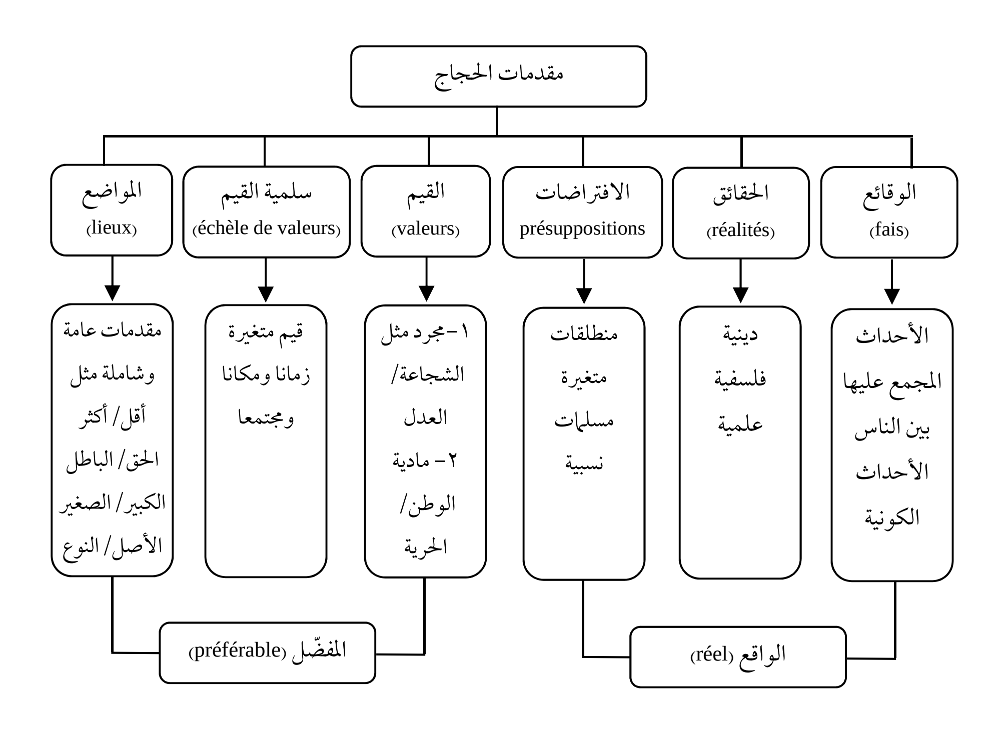
(١٤٠) rhétorique et argumentation, p26-27-31, et traité de l'argumentation, p59

(١٤١) أوليفي رويول، **هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي**، ترجمة، محمد العمري، علامات، ديسمبر، ١٩٩٦، ص٧٧.

(١٤٢) traité de l'argumentation, op.cit, p161.

٩- التأكيد على وظيفة المستمع الغائب (القارئ) في إنتاج الدلالة، وفهم أبعاد الفعل الحجاجي في الخطابات.

١٠- تنحصر المقدمات الحجاجية عند بريلمان في: الوقائع والحقائق والافتراضات والقيم والمواضع[١٤٣]. ويلخص المخطط التالي هذه المقدمات انطلاقا من أمثلتها التحققية[١٤٤]:

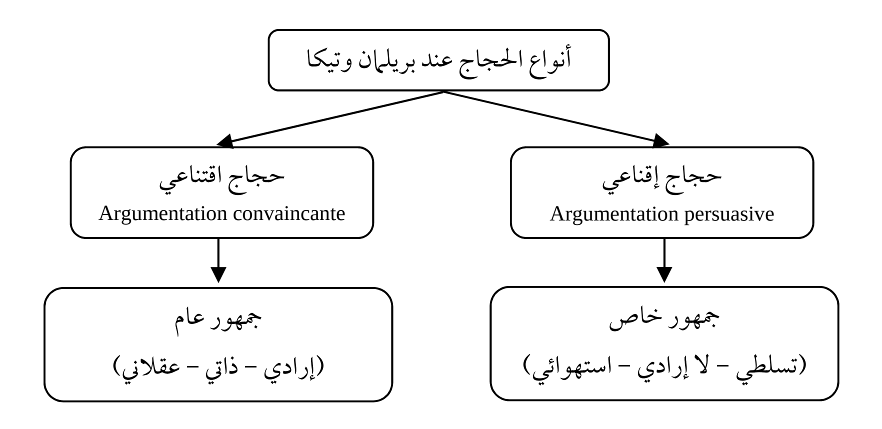


(١٤٣) Ibid, p89.

(١٤٤) traité de l'argumentation, p89.

وانظر أيضا محمد الأمين الطلبة، **الحجاج في البلاغة المعاصرة**، ص١١٢ وما بعدها.

كما يبين المخطط التالي أنواع الحجاج عندهما:



٨- العمل الحجاجي (Acte Argumentatif) ضمن نظرية الأعمال اللغوية

تتصدر نظرية الأعمال اللغوية بوصفها نظرية وصفية تحليلية للقول الذي ينجز عملا (Acte) ما في سياق التواصل أولوية البحث التداولي المعاصر، وقد بات من المعروف تأسيسها على المقولة الأوستينية التساؤلية: "كيف ننجز الأشياء بالكلمات؟" أو "how to do things with words"، والحقيقة أن العمل اللغوي (acte de langage) محدد بجملة الظروف المقامية التي تتحكم في إنجازيته وفاعليته وتأثيره في تغيير السلوك الفردي والجمعي[١٤٥].

كما إن كثيرا من الأقوال التي يتلفظ بها في سياقات إخبارية تقريرية في حقيقة الأمر تنجز أعمالا أدائية مباشرة، وغير مباشرة يمكن التعبير عنها مبدئيا وبصورة مبسطة بالأغراض الكلامية، وينبه أوستن في سياق ذلك إلى أن العبارات الوصفية

(١٤٥) المرجع نفسه، ص ١٠١.

ليست دائما وصفية لما ينطوي عليه هذا الاعتقاد من مغالطة وصفية لا يمكن القبول بها، فأن تصف فذلك يعني أنك تخبر أو تطلب أو تلزم أو تعبّر أو تفسر أو تسرد أو تحاجج، وكلها أعمال مادية لها أثرها في الواقع المتحقق، فعبارة مثل: "الباب يفوت جملا" ليست مجـرد ملفوظ وصفي إخباري يقف عنـد حقيقة مفادها علو الباب وارتفاعه إلى درجة يمكن مرور جمل من خلاله إلى فضاء آخر خارج الباب مثلما تحيل عليه الدلالة المعجمية للألفاظ وفق توافق سماتها المعجمية الصغرى (التيمات).

بل هي دعوة للخروج لمن أراد الخروج في سياق طرد غير صريح، وبمعنى أدق أضمرت العبارة الإخبارية في ضوء السياق المعين فعل الطـرد (اخرج)، وهو عمل إنجازي طلبي يتوجه به المتكلم نحو العالم المحيط بالمخاطب، واتجاه مطابقة الفعل فيه من اللغة إلى العالم[١٤٦]، وتلافيا لتكرار كثير، قد نقع فيه، آثرنا اختصار تصورات **أوستين** الجذرية في العمل اللغوي في سياق تشكله اللساني وإنجازيته المقامية في التفريع التالي:

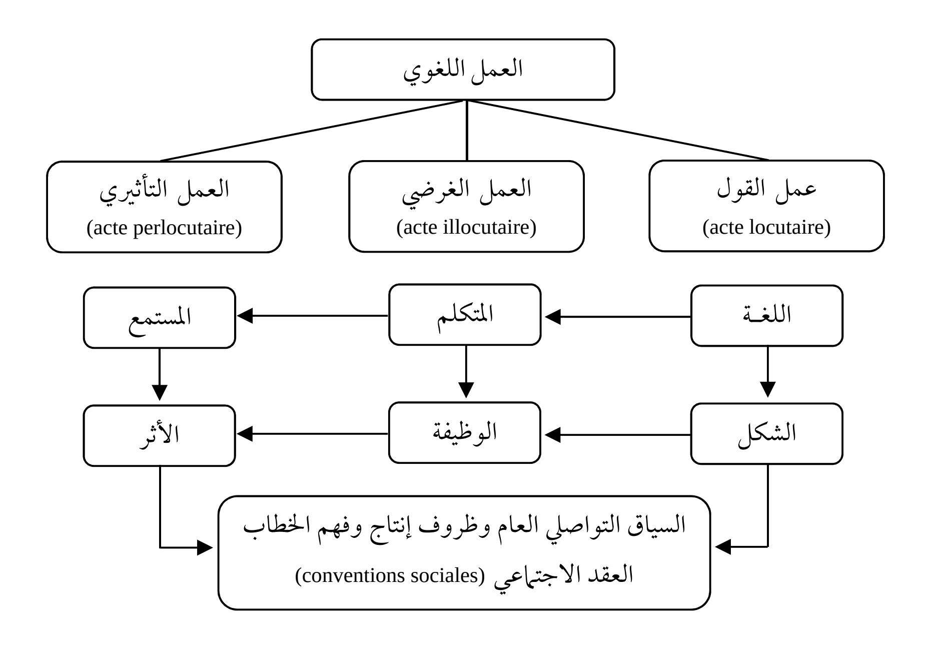
كما عمل **دي كرو** على تطوير نظرية حجاجية مولدة من التصور الأوستيني للفعل الكلامي (Acte deLangage) تنهض عـلى عـد الفعل الحجاجي عملا لغويا يقصد به إحـداث تحـول قانوني فـي صيرورة عمل القول الطبيعي، يتحكم في أعمال المتكلم والمخاطب[١٤٧]. وهذا الفعل المنجز باللغة يتم تشكّله لسانيا من خلال بنية لغوية معينة، تضطلع فيها أدوات لغوية بتحقيق ما يمكن عده قوة حجاجية منجزة لفعل الحجاج بدء من المكونات الصوتية للحدث الكلامي، ومرورا ببنية الوحدات الصرفية وأشكال

---

(١٤٦) فرانسواز أرمنكو، **المقاربة التداولية**، ص، وانظر أيضا مناقشة المفهوم في: شكري مبخوت، **دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات**، الكتاب الجديد المتحدة، ط١، لبنان، سنة ٢٠١٠، ص٩٧ وما بعدها.

(١٤٧) Ducrot ,dire et ne pas dire, Herman, Paris. 1972, p286-287

التركيب النحوي، وانتهاء بالمكونات الأسلوبية والاختيارات البلاغية المفردة والمركبة، والتي يتم تشكيلها بعلاقات لغوية على المحورين **الباردیغماتي (الجدولي/ الاستبدالي)** و**السينتكغماتي** (التركيبي/ النسقي) لتنتج في الخطاب منظومة متماسكة ومرتبة من الحجج المفضية إلى نتائج دلالية تحقق التأثير النفسي والذهني(١٤٨).



يتم التعرف على سلوكها التداولي في التخاطب أو التواصل الكتابي في ضوء التحليل النصي التداولي للحدث الكلامي في ضوء تحليل المكونات السياقية واللسانية

---

(١٤٨) المرجع السابق، ص٥٨، وانظر أيضا وجهة نظر **دي كرو** نفسه في: Les echelles argumentatives, Minuit, Paris, 1980, p10-12 وفي هذا السياق من المفيد التنبيه إلى اختلاف الخطابات الحجاجية من حيث الإفصاح عن مكونات الوحدة الحجاجية أو إضمار جزء منها، كما ينبه إلى أهم سمات الحجة اللغوية، فهي سياقية ونسبية وقابلة للإبطال، انظر أبو بكر العزاوي، مرجع ساق، ص٥٩

والمنطقية التي ينهض عليها التآلف بين الصريح والضمني(١٤٩)، أما العمل الحجاجي فعمل مضمر في الحد الفاصل بين عمل القول المصرح به وعمل التأثير، أي في نطاق العمل الغرضي، الذي يعبر عن وظيفة القول الحقيقية، وكلما كانت المحددات اللغوية والموجهات الأسلوبية والبلاغية أظهر، كلما ارتفعت درجة القوة الإنجازية(١٥٠) من حيث هي طاقة موجودة في القول بعد تشكله البنيوي(١٥١)، وأضحى العمل الغرضي عملا حجاجيا صريحا.

إن هذا التلازم يظهر بقوة في الأداء الحواري المشاجري في المرافعات الجنائية بخاصة أين تتحول الأقوال إلى أعمال اتهام صريحة أو أعمال تشكيك وسرد وبرهان واستمالة وشكر وطلب والتزام ووعد ووعيد وإعلانات وأحكام نافذة وغير ذلك في سياق جدي متصل بمعرفة شاملة للعالم والمقام واللغة التي تتخذ وسيلة للهجوم والدفاع في الآن نفسه، وفي هذا السياق الحجاجي المؤطر ببلاغة القول والمؤثرات النفسية والاجتماعية والإيديولوجية كانت العبارة التخيلية "تخيلوا معي ماذا لو كانت هذه الفتاة بنت سبعة عشر عاما بيضاء" فعلا طلبيا لا ينفض يديه من مكونات لا ذهنية ونفسية عملا طلبيا حجاجيا موفقا قاد إلى استمالة هيئة المحلفين، واللعب على عواطفهم وقودهم إلى إنجاز عمل حكمي موفق ببراءة قاتل، والإعلان بأنه غير مذنب بالرغم من ارتكابه جريمة قتل في حق شابين.

---

(١٤٩) ميشال مايير، **المنطق واللغة والحجاج**، ترجمة محمد أسيداه، بحث لنيل الإجازة في اللغة العربية وآدابها، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، ١٤١١/ ١٩٩١م، ص ١٢٤.

(١٥٠) راجع مفهوم القوة الإنجازية في: شكري مبخوت، في فقرة وسم قوة القول، **دائرة الأعمال اللغوية**، ص ٥٧.

(١٥١) المرجع نفسه، ص ٥٣.

لقد نفذ ممثل المتهم (المتكلم) بعمق بصيرته إلى آفاق توقعات الهيئة المحلفة في ضوء منظومة القيم التي تؤطر رؤيتهم للعالم والعلاقات الإنسانية، مستفيدا من غواية السرد قائلا لهم بعد أن طلب منهم إغلاق عيونهم والإنصات جيدا لقلوبهم، لِما سيرويه من حكاية مأساوية ضحيتها فتاة زنجية ذات سبعة عشر ربيعا خرجت من بيت الأسرة ولم تعد أبدا، فقد اعترضها وحشان فاختطفاها ثم انتهكا براءتها وعفافها ثم قررا تحويلها إلى هدف تناولته أيديهما بالقذف بعد أن مرغاها في التراب وتبولا عليها، ولم ينجدها تضرعها وبكاؤها شيئا، فقد قرروا شنقها بكل برودة دم فتدلت رقبتها الهزيلة من أغصان شجرة وحدية، ثم رمي بها من أعلى الجسر الذي تعرفون لتتكسر جزءا جزءا، هذه القتيلة بنت القاتل، فماذا لو كانت هذه الفتاة بنت السبعة عشر ربيعا فتاة بيضاء؟!(١٥٢). هذا وتعد الكفاءة الحجاجية لدى المحاجج على قدرته الذاتية في إقناع الآخرين من خلال حذقه اللغة وامتلاكه ناصيتها (الملكة اللسانية)، وقدرته على التخطيط الحجاجي، وبناء إستراتيجية النص من خلال وعيه المبكر بالأفكار التي يؤمن بها المحاجَج ليعمل على تدعيمها وتأكيدها بشتى الحجج الممكنة مسلحا بعامل المفاجأة الذي يخرق أفق توقعاتهم الفكرية واللغوية(١٥٣).

إن الكفاية الإنتاجية للمحاجج لا تتوقف في الحقيقة عند حشد الأدلة والحجج اللازمة، وترتيبها بصورة مسبقة لا تعنى بالمتلقي بل محصلة النجاح قائمة على توافق

---

(١٥٢) هذا النص السردي مجتزأ من مرافعة جنائية عرضت في فيلم أمريكي يروي قصة الصراع بين البيض والسود في الجنوب الأمريكي، وموقف العدالة من ذلك. عرض هذا الفيلم في mbc2 بتاريخ ٣٠ مايو ٢٠١٠.

(١٥٣) انظر: محمد الأمين الطلبة، **الحجاج في البلاغة المعاصرة**، ص١١٤. وانظر عبد الله صولة، **الحجاج، أطره ومنطلقاته**، ضمن أهم نظريات الحجاج، ص٣١٧.

تأويل الحجج لدى المتلقين مع ما يطمح إليه من أفهام يرتضيها لحصول الإقناع، ومن ثم الاقتناع[١٥٤]، ناهيك عن التسلح بالوسائل البيانية والأسلوبية مثل التكرار والتوكيد والإطناب والترادف وتعدد الصفات وحشد الأمثلة المختلفة، وتحقيق الانسجام بين المقال والمقام (رعاية مقتضى الحال)[١٥٥]. إن التحكم في توظيف هذه الوسائل هو السبيل لتحقيق قوة العمل الحجاجي، وفعاليته الإقناعية على حد تأكيد غولدر (Golder)[١٥٦]، وكلما عمدنا إلى الاستجابة لمقتضيات تتوخى النظر في طبيعة العمليات التي نبتغي منها إما تقديم النتائج على شكل إثباتات، أو أن يكون الهدف هو أنواع عن طريق الاتفاق أو التوافق[١٥٧]. إن هذه الوسائل الأدائية المتصلة بالعمل الإنجازي الحجاجي تنتمي إلى الموجهات التعبيرية (Modalité expressive)، والتي تتفرع بدورها إلى[١٥٨]:

١ – موجه إثباتي (modalité assertive) ⟵ عام

---

(١٥٤) انظر: عبد الله صوله، **الحجاج أطره ومنطلقاته**، ص٣١٥. وانظر عادل عبد اللطيف، **خطاب المناظرة**، ص ٧٥ وانظر traité de l'argumentation, op.cit, 4ed, chap 3, p194-198.

(١٥٥) تعد الكفاءة الحجاجية لدى المخاطب كفاية تداولية مشتقة من الكفاءة اللسانية التي تعني في العرف النحوي التوليدية معرفة المتكلم المستمع المثالي الضمنية بقواعد لغة المنشأ، المكتسبة فطريا وعفويا، وفي ضوء ذلك يمكن الزعم بأن الإنسان يولد مزودا بقدة إنتاج الجمل الامتناهية في اللغة الأم وفهمها، وكذلك ضوابط تداولها اجتماعيا، انطلاقا من المنوال اللساني التواصلي الذي يبنيه في مرحلة مبكرة، معتمدا في ذلك على ما يستقيه من بيئته من أعـراف اجتماعية تواصلية. انظر ارتباط نجاح التخاطب فـي قدرة المخاطب على التأثير والاستمالة في: حسن مودن، **"دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي"**، ص ٢٤٠.

(١٥٦) Golder,Caroline,le devloppement des discours argumentatifs de la chaux et Niestle, Paris, 1996, p31-51-78-108.

(١٥٧) انظر: حسان الباهي، **العلم والبناء الحجاجي**، ص ٢١٢.

(١٥٨) traité de l'argumentation, p213.

٢- موجه إلزامي (modalité conjonctive) ⟵ صيغة الأمر والآمر

٣- موجه استفهامي (modalité interrogative) ⟵ السؤال/ الجواب (الحوار)

٩- بنية الحجاج ومكوناته الأساسية

يبنى الحجاج على مقدمات وفرضيات وتصورات، لعل أهمها ما يعرف بالوقائع (LesFaits) التي تعكس المشترك من المفاهيم والتصورات بين الجماعة، تلك التصورات التي تفرض سطوتها باعتبارها مسلمات غير قابلة للدحض على التفكير الفردي التابع لرؤية الجماعة، أما الحقائق (Verites) فلها مصداقية القبول الجماعي أيضا من حيث مرجعيتها الدينية أو العلمية أو الفلسفية، وكثيرا ما يتم الربط بين الوقائع والحقائق في سياق دمج اليقين بالاعتقاد لترسيخ الرؤية المطروحة أمام المحاجَج(١٥٩).

كما يتعزز المدخل إلى الحجاج بالافتراضات (Presomption) التي تعد أيضا حقائق أقل قوة من حيث إقناعيتها، فهي مشروطة بأدوات حجاجية رديفة تعزز مكانتها الحجاجية(١٦٠)، ولعل من مقومات الحجاج التي لا يبتغي عنها فصالا القيم (Valeure) لما لها من تأثير نافذ في تصورات الجماعات الفئوية، فقد تكون القيم أخلاقية أو مادية أو سلوكية أو تاريخية(١٦١)، تستنهض بها همم الناس لخدمة قضية معينة، أو الذب عن مشروع اجتماعي أو حضاري معين، أو حمل المستمعين على الإيمان ببرنامج حزبي أو رؤية سياسية معينة، ولا يقوم الحجاج عند بريلمان على هذا النوع فحسب، بل لا بد من

---

(١٥٩) ibid, p87-90-93

(١٦٠) Chaim Prelman et Olbrechts Tyteca, Traite de l argumentation, p93

(١٦١) ibid, p 99-100

ترتيب هذه القيم في سلم هرمي يجعل منها هرميات فكرية مسلم بها (Hierarchies)، تحقق حجاجية القول، ولعلها تكتسي أهمية أكثر فائدة بالنسبة إلى القيم ذاتها[١٦٢] .

كما عرض بريلمان وتيتكا إلى المواضع (Les Lieux) بوصفها مقدمات عامة، تتسم بالشمولية، والتكيف مع جميع السياقات التخاطبية، هذا وقد ميزا بين مواضع الكم والكيف ومواضع أخرى، فأما مواضع الكم، فهما تثبت أفضلية الشيء بالنظر إلى معيار الكم، وأما مواضع الكيف فتمتاز بمرونتها مثل قولنا: الحق يعلو ولا يعلى عليه مهما كان عدد خصومه.

وأما النوع الثالث، فيمكن التمييز فيها بين موضع قائم على ترتيب العناصر وأفضليتها بناء على سبقها، "خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"، ومنه أفضلية الموجود الواقعي على الممكن والاحتمالي، ومنه موضع الجوهر الذي يعني إعطاء قيمة للشخص من حيث كونه ممثلا للجوهر[١٦٣].

كما اهتم الدرس الحجاجي القديم والحديث كلاهما بعرض التقنيات (Technique d'argumentation) التي تقوم عليها سياسة المحاجة في الخطاب أيا كان نوعه، وما تضطلع به من عمل تأثيري على المتلقي، وقو ة إنجازية مصاحبة له[١٦٤]، وفي هذا السياق ميز **بريلمان** بين نوعين من الآليات[١٦٥] التي يعتمدها العمل الحجاجي لبسط دعوى ما والدعوة إليها بالأدلة والحجج اللازمة هما: ١-تقنية الوصل (procédés de liaisons)، التـي تسمح بتقريب المتباينات، وتقـويم أجـزائها سلبـا أو إيجـابا، ٢- تقنية الفصل

---

(١٦٢) ibid, p109

(١٦٣) ibid, 119 وانظر عرض عبد الله صوله، **الحجاج، أطره ومنطلقاته**، ص ١٢.

(١٦٤) Prelemen, traité de l'argumentation

(١٦٥) traité de l'argumentation, p259,272,263,292,294,354,375,398,501,509,518

(procédés de dissociation)، التي تستخدم لإحداث قطيعة تضعف الروابط بين أجزاء الخطاب[١٦٦]، وقبل الحديث عن الحجج القائمة على تقنية الاتصال يجدر بنا التذكير بمفهوم الحجة، وأنواعها في السياق التداولي. فالحجة حقيقة تفاعلية تتجلى في تزاوج القصد والتكلم والاستماع والسياق واندماجها جميعا في بنية مقامية واحدة تؤهلها لأن تكون عملا حقيقيا ملموسا ذا خلفية عقلية[١٦٧] وفق ما أنتجته نظرية الأعمال اللغوية من رؤية مصاحبة للحدث الكلامي الذي ينجز في السياق التداولي فعلا مركبا من مستويات ثلاثة هي عمل القول (acte locutoire) والعمل التكلمي (acte illocutoire) والعمل الغرضي (acte perlocutoire) من وجهة نظر ج. سيريل (John R. Searle)[١٦٨].

على أن فعالية هذا العمل مرتبطة بمدى تطبيق قواعد التعاون الحواري التي أرسى دعامتها **بول غرايس** (H. Paul. Grice) في أربعة قواعد أساسية هي: ١- قاعدة الكم، ٢- قاعدة الكيف، ٣- قاعدة العلاقة، ٤- قاعدة الجهة[١٦٩]. أما الأنواع الأساسة للحجة فهي ثلاثة على ما بسطتها الأنظار الحديثة[١٧٠]:

١- الحجة الاستدلالية المتنقلة المجردة.

٢- الحجة الاستدلالية المنجزة من طرف المتكلم (الحجة التوجيهية).

---

(١٦٦) ibid-p255-256

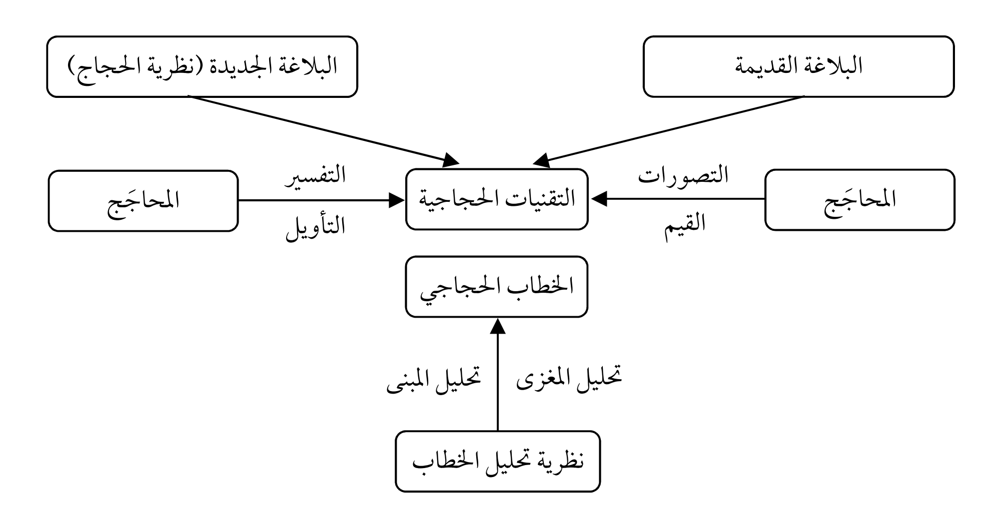
(١٦٧) انظر :طه عبد الرحمن، **اللسان و الميزان**، ص٢٦٩.

(١٦٨) معلوم أن سيريل ضبط نجاعة العمل اللغوي بشروط تتعلق بمضمون القضية والشروط الجوهرية وشروط الصدق. انظر المرجع نفسه، ص ٢٦٠، وانظر: Introduction a la Linguistique Contemporaine ,p 138.

(١٦٩) المرجع نفسه، ص٢٦٠-٢٧١. وانظر في هذا المقام تفصيلا: آن روبول وجاك موشلار، **التداولية اليوم، علم جديد في التواصل**، ص ٥٣.

(١٧٠) انظر: طه عبد الرحمن، **اللسان و الميزان**، ص٢٥٤-٢٧٢.

٣- الحجة الاستدلالية الموجهة من طرف المخاطب (الحجة التقويمية). أما عن مركزية التقنيات الحجاجية بوصفها بـؤرة العـمل الحجاجي، وأداة تمكينه الأساسية للظفر بالمعنى المراد، فيمكن التمثيل لها بالمخطط التالي:



فأما الحجج الاتصالية؛ فهي الحجة شبه المنطقية (argument quasi-logique)(١٧١)، وفيها تعتمد منظومة من الطرائق الحجاجية مثل: التناقض والتماثل الجزئي أو التام والتعدية والعلاقات الرياضية مثل: الكل والجزء وعلاقة الأصغر بالأكبر وعلاقة التواتر(١٧٢)، والاحتكام إلى مبدأ المقايسة، مثل: إذا كان ذلك كذلك بأنه، فإن قال قائل، وأما الحجة المؤسسة على العلاقة التبادلية (argument de réciprocité)(١٧٣) ، فيقوم الإقرار بهذا النوع من الحجج على الإيمان بقانون العدل الذي تنتظم وفقه الأشياء، ويحتكم

---

(١٧١) l'empire rhétorique, p79.

(١٧٢) ibid. p87-90.et voir aussi ; Bruton, Largumentation dans la Communication,p97-98

(١٧٣) ibid, p92-97.

إليه الناس في سلوكهم وتصورهم، كقولنا: "الجزاء من جنس العمل"، فهذا مطلق العدل ودليل التحاجج الأعلى(١٧٤).

كما تعدّ حجة التعدية (Argument de Transitivité)(١٧٥)، من الحجج المنطقية التي تفضي بتجاور أطروحة أو دليل لأخرى؛ بناء على تفوقها القيمي، أو تساوي حاصل مع آخر بناء على الاستلزام المنطقي أو التجاور السياقي، إلا أن هذا النوع من الحجج يفقد سلطته التأثيرية والإقناعية إذا لم يدعم بالواقع المادي وتفريعاته العينية(١٧٦).

هذا وتتفرع الحجة شبه المنطقية الرياضية(١٧٧) إلى حجة تقوم على إدماج الجزء في الكل (inclusion) أو ما يمكن تسميتها بـ: الحجة الإدماجية التي ترشح أفضلية الكلي على الجزئي من حيث القيمة والاختيار. ومن الحجج شبه المنطقية ذات الأساس الرياضي ما يعرف بالحجة التفريعية التي تقوم على عرض الكل ثم أجزائه المكونة له، خاصة في سياق عرض الرأي اللغوي أو النحوي ونسبته إلى بعض من قال به من مدرسة أو اتجاه ما، والحقيقة أن الاعتماد على حجة التفريع يوقع المتلقي في الإبهام لرجال الرأي المعروض وتفريعاته المختلفة التي تبين في الحقيقة إلاّ قولا واحدا وعقيدة واحدة(١٧٨)، ومن هذا النوع حجة التشبيه التي يحتاج إليها المحاجج لتقويم حالة باعتماد حالة أخرى معروفة على سبيل المقايسة الضمنية أو الصريحة بينهما(١٧٩)،

---

(١٧٤)انظر: علي الشبعان، **الحجاج والحقيقة**، ص١٤٢.

(١٧٥) انظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، ص٢٣٩-٣٣٠.

(١٧٦) l'empire rhétorique, p98.

(١٧٧) انظر: عبد الله صولة، الحجاج، أطره ومنطلقاته، ص٣٣١. وانظر: Bertrand Bufon, La parole persuasive,p153-155.

(١٧٨) l'empire rhétorique, p97-108.

(١٧٩) Chaim Prelman et Olbrechts Tyteca, Traite de l argumentation, p326-330

ومن الحجج المؤسسة لبنية الواقع التمثيل والاستعارة بوصفهما أداتين تسهمان في بنية العالم، وإنتاج أشياء جديدة فيه، بل واستنباط معرفة جديدة أيضا(١٨٠)، أو إكمال ما خفي منه من علاقات ضمنية بين مكوناته.

فأما التمثيل فلا تخفى أهميته في الاستدلال والبرهنة على ما يقوم من مشابهة بين علاقات تربط صورا مختلفة، من مثل تمثيل حالة متخذي أولياء من دون الله، وهو طرف الموضوع (Theme) غير المعروف بحالة العنكبوت التي اتخذت بينا واهنا، وهو الطرف الحامل (Fphore) المعلوم بالنسبة إلى المتلقي، في قوله تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ العنكبوت، الآية٤١(١٨١)، فالمقايسة قائمة على إضافة أمر إلى آخر بنوع من المساواة(١٨٢).

كما اشترط **بريلمان** انتماء كل من الموضوع والحامل في التمثيلات إلى عوالم مختلفة، مما يكون له أثر في إغناء الصورة التمثيلية(١٨٣)، وفتح المجال أما المتلقي لكي يعمل تفكيره، باحثا عن أوجه الربط المضمرة بين الموضوع والحامل، وهنا بالضبط

---

(١٨٠) جورج لايكوف ومارك جونسون، **الاستعارات التي نحيا بها**، ص١٨٤.

(١٨١) سامية الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم**، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد، سنة ٢٠٠٨، ص٢٤٢، وانظر أيضا كمال الزماني، **حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه**، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد، سنة ٢٠١٢، ص١٢٥. وانظر أيضا: محمد الوالي، **الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية**، ص ٣٩٩. وقد ضرب عبد الله صولة هذا المثال القرآني في دراسته: **الحجاج، أطره ومنطلقاته**، ص٢٤٠.

(١٨٢) انظر: محمد عابد الجابري، **بنية العقل العربي، نقد العقل العربي (٢)**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤، بيروت، سنة ١٩٩٢، ص١٣٨.

(١٨٣) Prelman,Tyteca, traite de l argumentation,p501-509

تكمن حجاجية التمثيل في عدم تمكن المتلقي الذي يستكشفه من النكوص عما وصل إليه هو من استنتاج بمحظ إرادته، فيخر مذعنا لسلطان الصورة المركبة(١٨٤).

إن حجاجية التمثيل تكمن أساسا في بناء بنية واقعية من خلال إيجاد أو إثبات أشياء انطلاقا من أخرى عن طرق تشباه العلاقات(١٨٥)، والقدرة على تمثلها ذهنيا بواسطة التخييل، يقول ابن رشيق: "والمثل والمثل: الشبيه والنظير، وقيل: إنما سمي مثلا لأنه ماثل بخاطر الإنسان أبدا، يتأسى به"(١٨٦)، وأما الاستعارة بوصفها تمثيلا مكثفا حذفت بعض أطرافه(١٨٧)، فلها تأثير كبير على الفعل الحجاجي من خلال فعل المطابقة الذي تحدثه بين الموضوع والحامل إلى درجة الانصهار(١٨٨)، تاركة هي أيضا للمتلقي مهمة

---

(١٨٤) 184 - ibid, p509

(١٨٥) انظر: علي محمد علي سلمان، **كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله نموذجا**، ص ٢٦٣و٢٦٤.

(١٨٦) ابن رشيق، **العمدة**، شرح عفيف نايف حاطوم، دار صادر، ط١، بيروت، سنة ٢٠٠٣، ص٢٣٢. وانظر تعريفات بلاغية أخرى للتمثيل في: الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص١١٣ وأحمد مصطفى المراغي، **علوم البلاغة**، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، سنة ١٩٨٢، ص٢٦٨.

(١٨٧) يعرف الجرجاني الاستعارة بقوله: ***"اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الموضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية"*** **أسرار البلاغة**، ص٣٠.

(١٨٨) انظر: محمد الواسطي، **أساليب الحجاج في البلاغة العربية**، ص١٤٩. و١٥٣. وانظر البنية الحجاجية القياسية للاستعارة في: شوقي المصطفى، **المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة**، دار الثقافة، ط١، الدار البيضاء، سنة ٢٠٠٥، ص ٢٣.

تأويل عناصر المشابهة بين المستعير والمستعار، فبمجـرد التفكير فـي تلقين المخـاطب صورة ما، فإننا نكون بصدد الحجاج[١٨٩]، وهذا يعني أن شكل الصورة إذ يحتوي على المحل الشاغر، فإن ذلك وحده يعني أن الأمر يتعلق بالحجاج، فهذا المحل ليس مجرد وسيط سياقي يبيح الاستنتاج، بل إنه حجة نريد استدراج المتلقي ليذعن إليها دون أن نطلب منه ذلك صراحة، فهي معنى جديد ونتيجة تأويله للتفاعل الحاصل بين المتلقي واللغة[١٩٠]، ولهـذا السبب رُبِـط بين القوة الحجاجية للملفوظات اللفظية من خـلال استخدامها في صورة استعارية، أكثر من استخدامها في التعبير الحقيقي للمعنى[١٩١]، ولعل ذلك راجع أيضا إلى أن النسق التصويري العادي، الذي يسير تفكيرنا له طيعة استعارية بالأساس على حد قول **لايكوف وجونسون**[١٩٢].

وعلى صعيد آخر ربط بين الاستعارة في حجاجيتها بمفهوم الادعاء لقيامها على ترجيح المطابقة وترجيح المعنى وترجيح النظم، فيدخل من خلال تركيبها المشبه في المشبه به ليساويه في الصفة المشتركة بينهما[١٩٣].

---

(١٨٩) المرجع نفسه، ص١٣٢، وانظر محمد الوالي، **الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية**، ص ٤٦٩. وانظر: عبد الله صولة، **الحجاج أطره ومنطلقاته**، ص٣٤٢.

(١٩٠) انظر: حسان الباهي، **الحوار ومنهجية التفكير النقدي**، إفريقيا الشرق، ط١، الدار البيضاء، سنة ٢٠٠٤، ص ١٠٤.

(١٩١) انظر: ميشيل لوكيرن، **الاستعارة والحجاج**،ص٨٧.

(١٩٢) انظر: جورج لا يكوف ومارك جونسون، **الاستعارات التي نحيا بها**، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال، ط١، الدار البيضاء، سنة ١٩٩٦، ص٢١.

(١٩٣) طه عبد الرحمن، **"الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج"**، مجلة المناظرة، عدد٤، سنة٢، ماي، سنة ١٩٩١، ص٧٠.

إن قـوة الصورة نابعة من ترتيبها العلوي في سلم الحجـج المنتقاة من لدن المتكلمين بخاصة إذا استمدت أطرافها التمثيلية من الصور الحسية المعروفة في عالم المتلقي(١٩٤)، والذي انتزعها من تجـاربه المـادية وممارساته المعيشة وسلوكه اليومي(١٩٥)، ولهذا تمتنع عن سهولة الدحض أو الرد من طرف المخاطبين، الذين يفشلون في تصور حجج مضادة بعد استعارة أو تمثيل إلا إذا كانت استعارات عكسية أو تشبيهات مضادة بخلاف التعابـير الحقيقية التي يسهل عليهم إبطالها ونفيها كلما سنحت لهم الفـرصة، ولذلك لا نجـد من الروابـط من مثل لكن وبل ما يمكن الاعتراض به بعد الصور المجازية الحجاجية(١٩٦)، أما الحـجة المؤسسة على بنية الواقـع (les arguments fondes sur la structure de réel) فمحصلتها التماهي بين الواقـع المـادي بتفاصيله والدعوى المطروحة على المتلقي(١٩٧)، وبقدر قدرة المحاجج على الربط بين القول والواقع يحصل قبول الدعوى، وتحققها في ذهن المتلقي الذي يعمل على الربط نفسه بين عالم القول الحجاجي وعالم الحقيقة المادية الذي يضحى مقياسا للتقويم تقاس به جدوى الحجة وفعلها المنجز(١٩٨).

---

(١٩٤) Prelman ,Tyteca, Traite de l argumentation , p89.

(١٩٥) انظر: عبدالله صوله، **الحجاج في القرآن الكريم**، ٢/ ٥٦٨. وانظر علي محمد علي سلمان، **كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله نموذجا**، ص ٢٤٥.

(١٩٦) انظر: أبو بكر العزاوي، **اللغة والحجاج**، ص ١٠٩.

(١٩٧) ibid,p95-134

(١٩٨) Ibid. p109-134. Et declercq, l'art d'argumenter, op cit, p129-133."***ils procédent des liaisons entre les éléments du réel, plus exactement des liaisons dont l'auditoie admet l'existence entre tels et tels éléments du réel***", p129.

وقد تكون الحجج المؤسسة على الواقع وقائع أو حقائق ماضية، شكلت قانونا، يمكن سحبه على الموضوع الجديد[١٩٩] أو افتراضات ممكنة التحقق[٢٠٠]، ويقوم الاحتجاج بالواقع على استقراء مكوناته، وربما انتقل من حكم جزئي يخص طرفا منه إلى إصدار حكم كلي مقال له[٢٠١]، ومما يتصل بالحجة المؤسسة على الواقع ما عده **بريلمان** حجة نفعية تقيم العمل نتيجة السلبية أو الإيجابية، مما يعطي للحجة ذاتها نية توجيهية للسلوك الإنساني بعامة وسلوك المحاججين بخاصة[٢٠٢].

ومن الحجج أيضا حجة التبذير (l'arg.du gaspillage)[٢٠٣]، وحجة الاتجاه (l'arg.de direction)[٢٠٤]، إذ تتجه نحو عبارات الحسم والجزم بصحة الدعوى مثل: "وهذا هو الصواب الذي لا يوجد غيره"، ولعل استقراء نصوص **ابن حزم** الجدلية في كتابه الإحكام -مثلا- تدلل على قيمة اعتداده بهذا النوع من الحجج[٢٠٥].

وأما الاتصال التواجدي فيضمن قدرا أعلى من التوافق والانسجام بين الشخص والعمل الذي ينجزه، ذلك إن نجاعة الحجاج مرهونة بمواقف الشخص المحاجج أو من يستدعى رمزا كحجة ما في خطاب حجاجي يشكل عمل الشخص

---

(١٩٩) Bufon, la parole persuasive, p20

(٢٠٠) انظر: عبد الله صولة، الحجاج، أطره ومنطلقاته، ص٣٣٢.

(٢٠١) عن أهمية الاستقراء، ورفض تعميم الأحكام انطلاقا منه ينظر: محمد قاسم، **المنطق الحديث ومناهج البحث**، ص ٣٩، وقد عرض موقف كلودبرنار من الاستقراء وأهميته في النظر العلمي في كتابه الشهير: مقدمة لدراسة الطب التجريبي، القسم الأول، الفصل الثاني .

(٢٠٢) المرجع نفسه، ص٣٣٣.

(٢٠٣) المرجع نفسه، ص٣٣٣.

(٢٠٤) المرجع نفسه، ص٣٣٣.

(٢٠٥) ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، مواضع متفرقة.

سياقا ضامنا له[٢٠٦]، ويقود الاتصال التواجدي بهذا المعنى إلى تحديد حجة السلطة (Argument d'autorité) سواء كانت شخصية مثل العلماء والقادة والفلاسفة والأنبياء أو كانت معنوية مواسية مثل الرأي العام، الإجماع، نظام الحكم، الإيديولوجيا المهيمنة، الطبيعة، الدين[٢٠٧].

وتعكس الحجة السلطوية الطابع الرسمي للقول الحجاجي، إذ تضفي السلطة قوة إنجازية بالنظر إلى مركزها الاجتماعي على القول أو الخطاب، بل إن قياس إنجازية القول منوطة بالجهة التي لها الحكم في إصدار الأوامر والإلزام بها، وبمعنى أدق تلك الأطراف التي تملك السلطة الفعلية، وإذا قالت فعلت، وهذا تمام ما يحدث في الخطابات السياسية الرسمية الصادرة في المؤسسة الحاكمة في بلد ما.

وبقدر قوة السلطة يمكن أن نقيس فعالية ونجاعة الأوامر والتوجيهات والقرارات والإعلانات والقوانين الملزمة، ومدى تحققها الفوري في حياة الناس. إن الطاقة الحجاجية للأعمال اللغوية مرتهنة بشروط التواصل الاجتماعي وقواعد البروتوكول المقترن به، والتي توجه الخطاب إلى دائرة السلطة والفعل الإلزامي، ولعل هذا النوع يكثر استحضاره في المجال العلمي الذي يحيل دوما إلى التجدد والتغير والاكتشافات المستمرة.

ولنا أن نتصور أشكال هذه الحجة التي تمارس أحيانا نوعا من العنف الإقناعي في بعض الخطابات ذات الوجه الأمري أو الدعائي لتسلب المحاجَج القدرة على التركيز والتبين؛ فيقع منهزما أمام حشد من الأسماء العلمية أو التاريخية التي يصعب تكذيبها عند عامة الناس، ومن الحجاج بالسلطة ما يعرف بالحجة الدينية التي تظهر بقوة في الخطابات الدينية بشكل أساس، وقد توجد بشكل مواز مع حجج أخرى في

---

(٢٠٦) المرجع نفسه، ص٣٣٣.

(٢٠٧) Perelman, l'empire rhétorique, p123-124.

أنواع خطابية مختلفة بصورة مباشرة، معتمدة طريقتين لتحقيق قوتها المعرفية هما التناص والافتراضات المسبقة(٢٠٨).

ولعل من أمثلة الحجة الدينية مما يمكن التمثيل به إيضاحا؛ بما عرض له "أبو حيان" في إحدى نصوصه الإقناعية التي رام بها المفاضلة بين النثر والشعر منتصرا للأول على الثاني، يقول: " ***إن النثر أصل الكلام والشعر فرعه، والأصل أشرف من الفرع، والفرع أنقص من الأصل لكن لكل واحد منهما زائنات وشائنات، فأما زائنات النثر فهي ظاهرة لأن جميع الناس في أول كلامهم يقصدون النثر، وإنما يتعرضون للنظم في الثاني بداعية عارضة، وبسبب باعث وأمر معين، ومن شرف النثر أيضا أن الكتب القديمة والحديثة والنازلة من السماء على ألسنة الرسل بالتأييد الإلهي مع اختلاف اللغات كلها منثورة مبسوطة، متباينة الأوزان متباعدة الأبنية مختلفة التصانيف لاتنقاد للوزن ولا تدخل في الأعاريض ومن شرفه أيضا أن الوحدة فيه أظهر وليس كالمنظوم داخلا في حصار العروض وأسر الوزن وقيد التأليف، مع توقي الكسر واحتمال أصناف الزحاف***"(٢٠٩).

لقد ارتكزت حججه المرتبة ترتيبا سلميا بناء على قوتها الإنجازية على حجة محورية تمثلها ارتباط النثر غالبا بالكتب السماوية المقدسة، وكأنه يستمد مكانته ومشروعيته من قوة علوية مقدسة، هي قوة التأييد الإلهي على حد قوله، ناهيك عن اعتماده الحجة التاريخية، فاللغات نشأت في مبدئها منثورة مبسوطة، وهذا أدى إلى عدّ

(٢٠٨) انظر: عبد الله الحراصي، **"مظاهر التفاعل بين اللغة والسياق الاجتماعي"**، مجلة نزوى، سلطنة عمان، عدد٢٤، أكتوبر، سنة ٢٠٠٠، ص٧١.

(٢٠٩) التوحيدي، **الإمتاع و المؤانسة**، تحقيق، أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، دت، ط٢/ ١٣٢-١٣٣.

النثر أصلا أصيلا لكل قـول إبداعي لاحق، أما الخصائص الشكلية ذات الاتصال الوثيق باللغة من حيث هي أبنية وأوزان ودلالات فمن شأنها أن تميز بين النوعين، وتجعل أحدهما انزياحا نظميا عن الثاني، وبمعنى أكـثر ظهورا الشعر انزياح لغـوي وشكلي عن النثر، يمتاز بالتكثيف الدلالي والإيقاع الموسيقى المؤثر، سواء كان موزونا على عروض ما أو لم يكن كذلك(٢١٠).

كما تبسط اللغة باعتبارها حجةً سلطةَ نفوذها على أنواع الخطابات المختلفة، وتعلو كلمتها في الخطاب التعليمي الذي يتوسل الشرح والتفسير والتمثيل اللغوي ففي تحليل الخطاب الأدبي -مثلا- يبنى المسار التأويلي في مستوى وصف الأبنية اللغوية على المعطى اللغوي بمكوناته الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية انطلاقا من المسموع من كلام أبناء اللغة وتداولهم لها في السياقات المختلفة، مما يحقق للغة وظيفتها المعجمية الشارحة التي عرفها لها رومان جاكبسون(٢١١).

وتتحقق هذه الوظيفة في التفسير اللغوي للقرآن من خلال الركون إلى دلالات المفردات الوضعية، واستعمالاتها السياقية المختلفة في النثر والشعر والتأكد من الفروق الدلالية القائمة بينها تبعا لذلك(٢١٢)، كما تنبسط الحجة اللغوية في سياق الجدل أو التعليم

(٢١٠) انظر: أدونيس، **مقدمة للشعر العربي**، دار العودة، ط٣، بيروت، ١٩٧٩، ص١١٢.

(٢١١) عن الوظيفة المعجمية الشارحة (أو الميتالغة) ينظر فاطمة الطبال بركة، **النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون**، كما ينظر: رومان جاكبسون، **قضايا الشعرية**، ترجمة محمد الولي ومبارك حنوان، دار توبقال، الدار البيضاء، سنة ١٩٨٨، ص ٢٦-٣٣.

(٢١٢) التفاسير اللغوية في التراث العربي كثيرة ومتعددة منها ما ينحو منحى الدلالة ومنها ما يركز على المجاز رافدا للمعنى لا غنى عنه، ومنها ما يعتمد ظاهر اللفظ وعلاقاته التركيبية والمعجمية، ومن أمثلة ذلك، مجاز القرآن لابن قتيبة، معاني القرآن للفراء، والكشاف للزمخشري، زاد

على مساحة واسعة من التعريفات اللغـوية الاشتقاقية، تروم إقناع الآخر بصحة الاختيار اللغوي، ففي أغلب المقدمات النصية التعليمية يرجـع إلى الأصل الاشتقاقي للفظة المعينة توطئة لتحديد معناها الاصطلاحي الفني فـي جهاز المفاهيم والتصورات المشتركة.

وهذا ما يعرف بالحجة الايتيمولوجية (Argument Etymologique)(٢١٣)، ويتصل بهذه الحجة في أغلب استعمالاتها حجة قائمة على مبدأ الفصل المفهومي، أي اعتماد المحاجج تعريف المفاهيم (Notion) الأساسية التي تقوم عليه محاورته للآخر في سبيل تقريب الدعوى إليه، وتأسيس لغة علمية مشتركة، تساعد الطرفين على الحوار.

إن **الاحتجاج باللغة** في الحقيقة بعدا فلسفيا وعقديا يتعلق بطبيعة النشأة اللغوية في حياة الإنسان، فاللغة عند فئة من الناس قديما وحديثا كائن مخلوق موقوف من الخالق، تأخذ من طبيعة هذه الخلقة الإلهية الانتظام والثبات والصفاء والقدسية؛ مما يؤهلها لأن تكون حجة الخالق على المخلوقين، وحجة الأنبياء على الأتباع، وحجة الكون الصامت على الإنسان الناطق، *فالعالم الصغير سليل للعالم الكبير*، وهي بالنسبة إلى آخرين وضع واصطلاح بشري يحيل إلى التغيير والتجدد، وقداستها المكتسبة نتاج أثرها الحضاري في الوجود الإنساني، ولهذا السبب ستكون أيضا عند هذه الفئة حجة الحجج التي يتقوم بها الاستدلال، ويتعرف بها على الكون.

وأما الفئة التي أنشدت العمل اللغوي إلى الطبيعة فقد بالغت بحشر المحاجِج في سياقات الإقناع المتعددة لونا من الحجج المتوسلة إلى السلطة كيانا فاعلا في الواقع، ومؤثرا في صيرورة الأحداث، سواء كانت السلطة فردية أو اجتماعية مادية ممثلة في

المسير لابن أبي السعود، روح المعاني للألوسي، التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، وغير ذلك يمكن مراجعة ذلك في: الذهبي، التفسير والمفسرون، مواضع متفرقة.

(٢١٣) انظر: علي الشبعان، **الحجاج والحقيقة**، ص٢٧٩-٢٨٠.

شخص ذي أخلاق على الحقيقة أو شخصا معنويا ذي أثر رمزي مثل النص الديني أو الإجماع على رأي ما، فمفهوم الحجاج بالسلطة متحصل من مستجدات المواقف والأفكار الاجتماعية المؤطرة لقيمة السلطة نفسها وعلاقتها بالمتلقين من حيث معتقداتهم ورؤيتهم للكون والعالم(٢١٤).

والحقيقة أن هذا اللون من الاحتجاج ينزع نزعة تبريرية قد تكون مغالطية إلى حد ما بانتهاك للخصوصية الفردية ومبدأ الاختيار الإنساني بوصفه كائنا حرا في الأصل؛ إذ تقيد سلوكه وتجعله تابعا لسلك ذات مركزية مسيجة بهالة من التمجيد والتقديس تتحكم في سلطة الأمر والنهي، ولعل الاستناد إلى هذه الإستراتيجية قائم بشكل بيِّن في الخطاب التربوي الذي ينزع إلى توجيه الناس نحو سلوك ما تحت تأثير القدوة التي تحشر سلوكات الأفراد الآخرين في زاوية ضيقة لتحل محلها باعتبارها سلوكات موضوعية إيجابية لا بديل عنها لتحقيق الصلاح والكمال.

أفضى الدرس الحجاجي الحديث في تعيينه لحجاج السلطة إلى تمييز أشكال متعددة لها (السلطة) في ضوء التغيير الثقافي الاجتماعي، فقد يعتمد المحاجج سلطة العقل باعتباره مرجعا أوليا عند طوائف كثيرة تحتكم إلى نفوذه وتنزله منزلة أسنى في سلم الحجج الإنسانية(٢١٥)، وتمد سلطة العقل على مساحة واسعة من الاحتجاج اللغوي البلاغي تنزوي معها تدريجيا سلطة أخرى كالسماع وما تحيل إليه من ارتكان إلى

(٢١٤) Buffon, p191-194.

(٢١٥) شهد الفكر الإسلامي جدلا عميقا حول مقولتي النقل والعقل، وترتب عن هذا الجدل ظهور فرق تتمركز خطابها السياسي والثقافي حول النظر والاستدلال العقلي مثل المعتزلة والأشاعرة وأخرى تشيد النقل وتجعله مصدرا للمعرفة والحقيقة، وهؤلاء يعرفون بأنصار الأثر من جمهور الفقهاء والمحدثين، انظر هذا المعنى في: نصر حامد أبو زيد، **الاتجاه العقلي في التفسير**، ص٢٤١ وما بعدها.

الدلالة الحرفية للألفاظ دون نظر في سياقاتها الثقافية وإمكاناتها التأويلية والرمزية، كما تضعف سلطة الإجماع في نظر العقلانيين بحكم افتقاره إلى الاستقصاء التام، واستحالة الاجتماع في الزمان والمكان.

ولعل هذا الاتجاه هو نفسه ما نقرأه في بعض مقولات المفكر الظاهري **ابن حزم الأندلسي** بسياق مخالف فلا إجماع إلا ما عضّد بدليل نصي قرآني، مما يعني ضمانا لاستمرارية سلطة التجويز العقلي(٢١٦)، وتتعضد حجة العقل باعتبارها سلطة مهيمنة على من يؤمن بالعقل مخرجا للحقيقة بسلطة اللغة من حيث هي أداة تحديد معنوي، ووسيلة أساسة لتأطير الفكر والنظر إلى الكون وتفاصيله، ولعل الخطاب اللغوي الواصف الذي ينجزه المتكلم في سياق عرضه لموضوع ما يمثل احتجاج على صحة الفكرة حشدا لأقوال اللغويين المساندة للفكرة ضرب من ضروب سلطة اللغة على المحاجَجين الذين تتأسرهم سطوة اللغة النافذة، فإن أنكر المنكر حجة العقل أو حجة النقل فإنه لا يستطيع إنكار حجة اللغة لأنها باختصار تمثل وجوده الإنساني لما تقوم به من دور أساس في عملية التفكير ذاته، والتعبير عنه بالعلاقات اللسانية الضرورية والتي غدت في الفكر الفلسفي واللساني الحديث العتبة الأساسية للنفاذ إلى المعنى والحقيقة(٢١٧)، من خلال إسناد قوة التأثير إلى العلامة اللغوية التي هي علامة طبيعية أولية تعبر عن الموجود

---

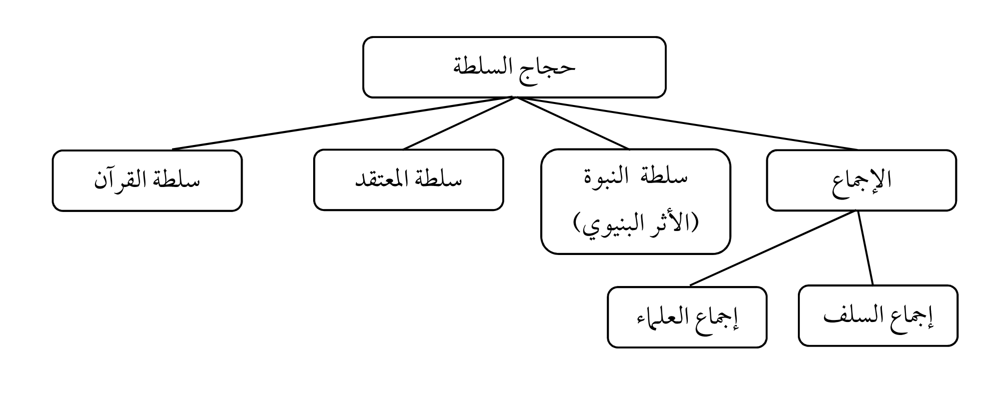
(٢١٦) نعمان بوقرة، **تفسير النصوص وحدود التأويل عند ابن حزم الأندلسي، قراءة في أعراف الفهم الظاهري للخطاب القرآني**، أمانة عمان الكبرى، مطبعة الروزانا، ط١، سنة ٢٠٠٧، ص٢١.

(٢١٧) عن تصور العلاقة بين اللغة والفكر باعتبارها أداة له لا يكون إلا بها من ناحية، وباعتبارها حجة الحجج من ناحية ثانية، ينظر: نصر حامد أبو زيد، **النص والسلطة والحقيقة**، ص٢١٣ وما بعدها.

الطبيعي المادي، فلا يكون مفهوم المحاكاة -هنا- إلا ضربا من ضروب تأكيد تطابق العالمين الصغير والكبير(٢١٨).

ولا تنفك حجة اللغة عن الحـجة المؤسسة على علاقة التشابه (ressemblance) ذلك إن هذه الأخيرة تمتح من اللغة مادتها، وتصوغها في شكل أمثلة وشواهد تؤدي دورا إيضاحيا في أغلب الأحيان، مع ما تقضي به من تأكيد الأطروحة، وغرسها في لب المتلقي(٢١٩)؛ فقد يلجأ إلى الاستشهاد بالأحاديث النبوية والأمثال السائرة والمراجع اللغوية والأدبية المتضمنة للفكرة أو الرأي، ناهيك عن الشواهد التفسيرية والنبوية والقرآنية التي تحشر عادة في الخطابات الدينية في مناسبات معينة، والتي تقوم رأسا على انسجام القيم المشتركة بين رأي المتكلم وأفق المتلقي.

ويمثل المخطط التالي أهم ما يمكن تمييزه من حجج سلطوية دائرة في الخطابات:



(٢١٨) عن هذه التوجهات الباسطة لمسألة النشأة اللغوية ينظر ابن جني، **الخصائص**، كما ينظر توسعا: نعمان بوقرة، **التفكير اللساني عند ابن حزم الأندلسي**، مخطوط أطروحة، دكتوراه دولة في اللسانيات بجامعة عنابة سنة ٢٠٠٣/ ٢٠٠٤، ص٥٠ بخاصة فصل نشأة اللغة.

(٢١٩) من الشواهد الاعتماد على التفاسير والأحاديث والآيات القرآنية والأمثال والحكم التي تنبض بدلالات التأكيد والحصر.

كما تنتظم مجموعة من الحجج في سياق ينظم بنية الواقع، ويشكلها وفق رؤية وتجربة معينة يعاينها شخص أو مجموعة من الأشخاص، ذلك إن الحجاج الناجح في الحقيقة أداة لبناء الواقع الجـديد الذي يكون العالم المقصود للمحاججين، ولعل أهم ما يندرج في هـذا الإطـار الحجاجي حجة الأنموذج وعكس الأنموذج(٢٢٠)، ويوضح الجدول التالي استحضار الخطاب الحجاجي لحجتي النموذج/ عكس النموذج، ضمن جدلية خلافية تبين تعارضات الأشخاص ووظائفها وأهدافها المذهبية(٢٢١):

الأنموذج	عكس الأنموذج
المحاجِج الرسول ⟷	الأنبياء المحاجَج
المؤمنون ⟷	الكفار
المتدينون ⟷	غير المتدينين
العلماء ⟷	الجهلاء
النقل ⟷	العقل

بالإضافة إلى المثل والحكمة والشاهد بأنواعه الشعرية القرآنية والحديثية، فأما المثل (l'exemple) فيمثل الوحدة الحجاجية الصغرى في الخطاب الحجاجي من حيث كونه مثالا مسوقا في سياق عرض حجة ما، وهو إما أن يكون واقعيا أو صناعيا،

(٢٢٠) عبد الله صولة، مرجع سابق، ٣٣٧-٣٣٨.

(٢٢١) كما يمكن الحديث عن نماذج مجردة باعتبارها أنساقا عليا للاحتجاج مثل: الموت/ الحياة، الحق/ الباطل، الأثر/ النظر، الكامل/ الجزئية، القرآن/ الكتب السماوية، الحقيقة/ المجاز، الخطاب/ الرمز، الرذيلة/ الفضيلة، النظام / الفوضى، مما يعني أن الخطاب الحجاجي يروم استبعاد نموذج معاكس لصالح التمكين للنموذج المعين الذي يؤثر دائما إلى النية الموجبة التي تضفر بالقبول لدى المتلقين.

ووظيفته تحقيق الصفة اللزومية للوقائع كما مر بنا، وربما اختلفت الوحدة الحجاجية ذاتها في قيمتها الحجاجية بحسب السياق التي توظف فيه فهي رهينة قصد المتكلم وحالته النفسية ووضعيته الاجتماعية، فيمكن أن يكون مقدمة لنص حجاجي يدافع عن رؤية مذهبية معينة، كانفتاح النص الروائي الشهير للطاهر وطار الجزائري بمثل شعبي دارج في الثقافة الجزائرية يوافق في دلالته العامة "ما كان لله دام واتصل وما كان لغيره زال وانفصل"، وهو قول بطل الرواية **"ما يبقى في الواد غير حجاره"**.

وقد يندرج المثل بوصفه بنية حجاجية جاهزة، في بنية الحجج المتوالية ليضع توافقا بين الرؤية والسياق الخارجي، وثقافة المخاطبين بتأسي قاعدة انطلاق فكري للطرفين، كما يعكس حضور المثل فصيحا كان أو عاميا تمركز الثقافة الشفوية في الذاكرة العربية بوصفها مصنعا لإنتاج المعرفة والخبرات المتراكمة وبلاغة الكلمة ذاتها، متمركزة حول هذا البعد الشفوي، الذي تهيمن عليه الأمثال، وتمتد سلطتها الإقناعية على فضائه الدلالي.

إنّ الغاية من اعتماده هو التأسيس للقاعدة، والبرهنة على صحتها، ضمنيا من خلال ما تضمره بنية المثل من دفاع عقلاني عن رؤية ما بالتخييل والتمثيل[٢٢٢]، والمثل قد يكون مثالا واحدا أو مجموعة أمثلة، وللمثل قيمة حجاجية معتبرة في التراث العربي فقد أشاد بأهميته ابن وهب الكاتب في البرهان: "..وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها والمقدمات مضمومة إلى نتائجها ...والمثل مقرون بالحجة"[٢٢٣].

---

(٢٢٢) انظر: محمد علي القارصي، **من مظاهر الاحتجاج**، حوليات الجامعة التونسية، عدد٤١، سنة ١٩٩٧، ص ١٥٤ بتصرف.

(٢٢٣) ابن وهب، **البرهان في وجوه البيان**، ص ١٦-١٤٧.

يقول الزمخشري في التمثيل: "..**حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه الشاهد**"(٢٢٤) . ويضاف للمثل في حجيته الحكمة أيضا من حيث كونها صيغة نظمية يقتضيها سياق الكلام في الأغراض والموضوعات المتنوعة، مقصودا بها التأثير والاستدلال والإقناع، وهي أنواع، فمنها الحكم الدينية والاجتماعية والسياسية، وغيرها، وأما الاستشهاد فناهيك عن كونه شكلا معبرا عن تعدد الأصوات في الخطاب الواحد، فهو يضطلع بتوضيح الدعوى، وتكثيف حضورها الفكري في الذهن(٢٢٥)، لما للشواهد من قدرة مميزة على تجاوز التنازع والاعتراضات، والحمل على التسليم(٢٢٦)، وربما كان الاستشهاد أداة لتحويل القاعدة من طبيعة مجردة إلى أخرى محسوسة، وذلك لقيامه على الاستقراء أصالة، حيث تمثل فيه العلاقة بين الجزئي والجزئي والمثيل ومثيله(٢٢٧).

ولعل القرآن الكريم فيما يقدم لنا من أمثلة حجاجية أهم مصدر لهذا الشكل الحجاجي(٢٢٨)، كما يجنح المحاجج في سياق الخطة الدينية إلى الاستشهاد بالأحاديث النبوية بوصفها حجاجا بالسلطة المقدسة عند المسلمين، ممثلة في مبلغ الرسالة الرسول صلى الله

---

(٢٢٤) الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٢١٨.

(٢٢٥) Alain Boissinot, les textes argumentatifs ,Midi-Pyrennes ,1994,p24-25.

(٢٢٦) انظر: محمد العمري، **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، دار الثقافة ،ط١، الدار البيضاء، المغرب، سنة ١٩٨٦، ص٩٠.

(٢٢٧) انظر: عبد الجليل العشراوي، **الحجاج في الخطابة النبوية**، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد، سنة٢٠١٢، ص٢٤.

(٢٢٨) صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص ١٠٠، وانظر أيضا: حمادي صمود، **التفكير البلاغي عند العرب، مشروع قراءة**، حوليات الجامعة التونسية، سنة ١٩٨١، ص ٣٤.

عليه وسلم، ويبدو أن الاحتجاج بالحديث يعكس مقام الثقافة الشفوية في بناء النص الحجاجي العربي، ويوطد أركانه البيانية، قصد تحصيل المعرفة والدلالة والاعتقاد(٢٢٩).

كما إن العناية بالاستشهاد القائم على التمثيل مقيد بجملة من القيود لعل أهمها؛ عدم إطنابه، وفي سياق الحديث عن الاستشهاد نود الالماع إلى أنه من حيث تمثيله قيمة في حد ذاته مستنبط مما يفعله الناس أو يقولونه يمكن أن يطابق الواقع، وربما كان افتراضيا، كما أن هـذه القيمة التي يعبر عنها الشاهد يمكن أن يصرح بها وهـذا هو الغالب، وربما وردت ضمنيا تستخلص من جملة المقدمات والمبررات المنظمة للخطاب، كما يقوم تحديد مهم للقيمة المستلدل بها على سمة الشمولية فالحجة الأقوى هي الأكثر شمولية في قيمتها الاجتماعية(٢٣٠). فإذا كان الشاهد قرآنيا- مثلا- فإن لهذا النوع سلطة غير شخصية، من جهة تمثيلها للعقيدة والكتاب المقدس لعموم المسلمين، لذا يشكل محط إجماع عام.

إن اندماج الحجة بالشاهد والمثل والحكمة يقوي الطاقة الحجاجية للحجاج باعتباره عملا لسانيا فـي أساسه الأول عـلى أن لا يكثر منه المحاجج حتى لا يملل السامع الذي تطوق نفسه أحيانا إلى تجاوز الأمثلة إلى الوصول إلى الغاية المنشودة، إذ الغاية في الحجاج ليست الحجج ذاتها أو الإكثار منها بقدر ما يرتبط الفعل بالأسلوب أو الطريقة التي يبتغي بها المحاجج إيصال أطروحته للناس(٢٣١).

وفي إطار الحجاج نميز حجة ذات وجه استهجاني، يتم بها إبطال دعوى الخصم باستهجان موقفها وتحقير قصورها الصادر عن قلة خبرة ودراية بمقتضيات الأمور

---

(٢٢٩) انظر: محمد القاضي، **الخبر**، ص ١٤٧-١٨١-٣٠٣ .

(٢٣٠) محمد العبد، **الخطاب الحجاجي، دراسة في وسائل الإقناع**، ص٥٤ .

(٢٣١) Golder caroline, le développement des discours argumentatifs, p33-78-100.

وسريان الأحداث، إن وجاهة الحجة مرتهنة بما ينسب إليها من صفات إعلاء ووثوقية من طرف المحاجِج، كما أن استهجان الحجة المضادة يرمي بها في سلة الإنكار والرفض من قبل المحاجَجين(٢٣٢).

أما حجاج الإذعان (argumentation adbaculun)(٢٣٣)، فيكون بالترهيب والتهديد والوعيد القولي والفعلي بأفعال لغوية تحقق الإذعان، وتمارس نوعا من الغضب على المتلقي الذي لا يلبث أن يستسلم خاضعا لإرادة المعنف، ويمكن التمثيل لهذا النوع من المحاججة المغالطة للعقل ربط بعض التيارات السياسية في الاستحقاق الانتخابي الاقتراع والاختيار بالدين، في شعار ترفعه في حملتها الدعائية "صوتكم تسألون عليه يوم القيامة" مما يقضي باستجابة الدعوى من شخص مؤمن بالحساب، ويطمح في الجنة فيستوي في نظره الموقف الدنيوي والموقف الأخروي، دون أن يدرك ما في هذا الملفوظ من خرق لآداب المحاورة، من جهة، ولما فيه من مغالطة وصفية من جهة أخرى، فإذا كان الصوت شهادة، فيجب أن تكون الشهادة مخلصة وصادقة، ترتبط بالحق في شخصية معنوية تعدل، وتستأمن، وليست في مذهب بعينه، وأشخاص معينين ،وتقترب حجة التجهيل (l'argumentation par l'ignorance)(٢٣٤)، من هذا النوع مقدَّمة في سبيل إضعاف قوة الرأي المضاد على رسم حاجته بالجهل والزعم والظن وتهافت الفكر، قصد صرف السامع عنه، وتحويل وجهته السماعية والعقلية والعاطفية إلى المحاجِج فقط. ومن هذا النوع يستمد جدل ابن حزم -مثلا- قوته التأثيرية، يقول أبو محمد: "***...ونعكس عليهم سؤالهم هـذا السخيف الذي صححوه، فهو لازم لهم***

---

(٢٣٢) محمد النويري، **الأساليب المغالطية**، ص٤١٣-٤٢٢.

(٢٣٣) المرجع نفسه، ص٤٢٦-٤٢٩.

(٢٣٤) انظر: عبد الله صولة، الحجاج، أطره ومنطلقاته، ص٣٢٤.

لا لنا إذ لم نصححه، ونقول لهم: بأي شيء يدل الأمر على أنه على الوقف أبنفسه أم بدليله ؟ فإن قلتم بنفسه، ففي ذلك اختلفنا، وإن كان بدليله، فإذا لم يدل هو فدليله أحرى أن لا يدل، فمن أحمق استدلالا ممن دليله عائد عليه !"(٢٣٥).

إن وسم الآخرين بالتجهيل يضم بين طياته نفيا للآخر، ورفضا لمبدأ الحوار والجدل ذاته، لاغيا تعدد الأصوات ودمجها في صوت واحد له سلطة التوجيه والتعليم والسيطرة، كما أن اعتماد هذه الحجة يسم طرفا من المحاجَجين بالوثوقية والاستقامة والانتخاب في مقابل طرف آخر يمتاز بعكس الصفات السالفة. ومن الحجج المغالطة أيضا ما قام على مخالفة الحقيقة الواقعية في الاتصال، وما تقتضيه من وجود في الزمان والمكان، ممن مثل ما ينسب إلى أبي يزيد البسطامي المتصوف من قول: "أخذتم علمكم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا من الحي الذي لا يموت، يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون: حدثني فلان، وأين هو؟ قالوا: مات، وعن فلان، وأين هو؟ قالوا: مات، فاسم الفقيه أولى بهذه الطائفة من صاحب علم الرسوم"(٢٣٦).

وأما الطرائق الانفصالية (la dissociation des notion)(٢٣٧)، فتقوم على إنتاج نسقين حجاجيين متعارضين ومتقابلين في الظاهر، ولكنهما يشكلان بهذا التقابل الحجة الأوثق التي تبرهن عن صحة الرأي وتدحض في الوقت ذاته الرأي الآخر، كما يقوم الفصل في الحجاج على الانتصار الظاهر لفكرة ما تعرض حجج عليها مع إضمار الانتصار للرؤية الوجودية والخلفية الثقافية التي يصدر عنها المحاجِج(٢٣٨).

---

(٢٣٥) ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، ٣/ ٩.

(٢٣٦) جولدتسيهر، **مذاهب التفسير الإسلامي**، ص٢٤٨-٢٤٩.

(٢٣٧) L'empire Rhétorique, p159-171.

(٢٣٨) انظر: علي الشبعان، **الحجاج والحقيقة**، في سياق عرضه لأسس التفسير الأثري عند الطبري، وكيف اصطنع الخطاب التفسيري عالمين أحدهما ظاهر يدافع عن التفسير الأثري الوحدوي

إن طريقة الفصل تعمق في العادة الخلافات المذهبية والإيديولوجية، وتقسم الرؤى إلى رؤيتين رسمية سياسية وأخرى شعبوية منفلتة أو متأثرة، ولنا في خطاب الإعلام ما يؤكـد هـذا الانفصال الحجاجي بين أنصار الخـطاب الإعلامي الثـائر، وأنصار الخـطاب الإعلامي الرسمي أو ما يسمى إعـلام المؤسسة، والإعلام الثاني أو إعلام الفتنة السياسية[٢٣٩].

وأما الحجة الوظيفية فتتأسس على مبدأ التجربة والترابط الحاصل بين السبب والنتيجة المعاينة في الواقع، وقد ذهب بيفون إلى توزيع هذه الحجة بحسب طبيعة بنية الحقيقة إلى مثيلتها أو شبيهتها انطلاقا من اندراجها في الجنس نفسه والطبيعة ذاتها أو أن يحدث العكس، مما يعني بالضرورة التمييز بين الحجة التتابعية من حيث إنجازها لحجة سببية عقلية تروم البرهان غاية لها.

ويكنز هذا النوع من الحجج في الخطابين العلمي والفلسفي، كما يمكن أن تؤسس عليه خطابات أخرى منزعها إلى تفسير الحقائق الاجتماعية والقيم الأخلاقية سالبـة أو موجبـة[٢٤٠]، ولعلنا نجـد له حضورا مكثفا في خطابات التحـقيق الجنائي والمرافعات القضائية التي تحـشر ضمن أدلـة الاتهام مبرراته، ودوافـع الجريمة، أما الحجة التتابعية النفعية (argument pragmatique) فمسلطة على نجاعة النتيجة ونفعيتها

وثانيهما باطن يشرع لتصور الدولة "الحاكم ظل الله في الأرض" المالكة للحقيقة والمسيطرة على الإيمان فيغدو هذا التفسير ومخرجاته حتمية فكرية وثقافية يحمل عليها الناس أمنا لدينهم ودنياهم، ص١٨٥ وما بعدها.

(٢٣٩) راجع هذه المعاني عند عبد الجواد سيف، **السلطة في الإعلام**، ص١٣-١٤.

(٢٤٠) Buffon, la parole persuasive, p178-199. "***l'argument de causalité vise à rttacher l'un à l'autre deux événements plus précisément un événement étant donné, il cherche à un établir la cause on l'éffet qu'un résultes"***.

بالنسبة للمحاجَج، وبقدر تحقيقها للمقبولية المادية تكون حجة قوية يعتد بحجاجيتها الخطابية(٢٤١).

ومما يندرج أيضا ضمن الحجة التتابعية ما يعرفه **بيفون** (buffon) بـ: حجة الاتّجاه (l'argument de direction) ومؤداها نقض الحجة المطروحة بما تؤول إليه في نتائجها المضطربة، مما يولد لدى المحاجَج رغبة في رفضها واطّراحها لهذا السبب، ومثال ذلك أن يسرد المحاجِج في سياق إنكاره على المتشددين الإفراط في فهم الاختلاط وتفسيره أثريا فصول حادثة مأساوية أودت بحياة تلميذة امتنعت إدارة المدرسة عن السماح لرجال الحماية المدنية لإسعاف المصابة لأن اللوائح تمنع الاختلاط بين الرجال والنساء، فأنت -كما ترى- الكاتب في سبيل احتجاجه على التفسير الأثري الخاطئ للاختلاط في نظره سلك مسلك نقض الموقف بما آلية إليه من ضرر تعدى جانب المنفعة التي يفترض أن يحققها.

أما ما يضمره هذا النقد التهكمي في سياقه البلاغي والاجتماعي فهو رفض التفسير السطحي للنصوص الذي لا يولي أهمية لمنطق اللغة التي شكلت النصوص ذاتها في سياقها الثقافي الاجتماعي ناهيك عن كونه تفسيرا يروض العقل، ويحجم دوره الإيجابي في الدائرة الإيمانية التي لا تكترث إلا بظاهر اللفظ، والعادة التي يصطنعها البعض بعيدا عن روح الدين الإيجابية.

إن الحجة الاتجاهية تتحول في حقيقة الأمر إلى إستراتيجية دفاعية عن سلطة العقل النافذ إلى حقائق الأشياء في ضوء تقلبات العصر في كتابات الكاتب وردوده على من يراهم مأسورين بسلطة النص والعادة لا يتجاوزونهما إلا بقدر أنملة تعيدهم

---

(٢٤١) Ibid, p179. ويمكن التدلال عليها بما يعرضه المحاجج من مزايا الفعل أو الشيء إظهارا لصحته ونجاعته وضرورة الإقبال عليه.

إلى نقطة الاعتراض الأولى التي تسيج النص بسياج أثري يغلق دلالاته وينزع عنه سمة التاريخية في مستوى القراءة والتأويل[٢٤٢]، إنه في المبدأ نزاع حول الحقيقة، حقيقة يزعم كل طرف امتلاكه لناصيتها من خلال الحجة نفسها. كما يسعى الخطاب المعين إلى خلخلة التصورات التقليدية التي تحدد سلوك الأفراد والجماعة من خلال تجاوز تفسيرهم الدارج إلى تفسير جديد ينهض بأعباء المرحلة القادمة من خلال استشراف مستقبل المجتمع وتحريضه على روح التقدمية التي لم يعد منها بد للرجوع عنها إلى الوراء بكل ما تحمله وتمثله هذه اللفظة من دلالات رمزية اجتماعية وثقافية سالبة[٢٤٣].

هذا ويحفل هذا الخطاب بنوع آخر من الحجج يعرف في الدرس الحجاجي المعاصر بـ: الحجة التواجدية التي تتأسس على تفاعل العناصر وفق قانون عام يجمعها وينظمها، ومن صور ذلك ما يصطنعه المحاجِج من سلوك وما يظهر به من صورة تتطابق مع الملفوظ حالا[٢٤٤] يوحي بها إلى المحاجَج كأنه على درجة كبيرة من الصدق والتوازن في القول والعمل.

وكلما كانت صورة الشخص كاملة كان الحجاج أكمل، والعكس، وما هذا إلا لأن الناس ينشدون إلى حجية العمل أكثر من تأثرهم بالقول ذاته بخاصة في تلك

---

(٢٤٢) انظر: نصر حامد أبو زيد، **الاتجاه العقلي في التفسير**، ص١٧٣ وما بعدها، وانظر: علي الشبعان، **الحجاج و الحقيقة**، ص٢٨٨ –الهامش رقم ٣.

(٢٤٣) يعرف بيفون حجة المجاوزة بقوله: ***"plus on va loin, mieux, c'est l'argument du dépassement pousse à aller de l'avant, il est fondé sur la croyance dans le progrés qui veut que le temps qui passe soit marqué par des amelioration croissantes la parole persuasive"**, p187.*

(٢٤٤) ***"on peut dire argument d'une relation de coescistence entre les choses que soit entre une personne et ses actes, entre un groupe et ses membres ou entre un concept et les éléments qui le constituent" parole persuasive**, p188.*

الخطابات التي تنخرط في الأفعال الأمرية والطلبية والإغرائية[٢٤٥]، معمولة على سلطة الشخص المحتج به، وصورته الرمزية في المخيال الجماعي في سياق الدعوة إلى عمل أو سلوك أو فكرة يشارك المحاجَجين فيها بوجه من الوجوه. كما يقوم العرض الحجاجي على جملة من الأنساق تحقق نجاعته، متوزعة على مستويي الشكل والمضمون لعل أهمها[٢٤٦]؛ اعتماد أسلوب الإطناب الذي يوائم خطة تحريك عواطف السامعين، وإثارة انفعالهم قصد حثهم على اتباع فكرة ما. والتكرار الذي يهدف إلى إبراز حضور الفكرة المقصودة، وتأكيدها، بإحدى كيفيتين فإما أن يكرر الشكل، وإما أن يكرر المضمون، ويعد في المقربة الحجاجية الحديثة استراتيجية بلاغية إقناعية أو ما اصطلحت عله **باربرا جونستون كوتش** بإستراتيجية العرض (presentation)[٢٤٧].

أما الغاية منه بالإضافة إلى أنه وسيلة للسبك المعجمي فجالب لإثارة الخصم والسخرية منه تمهيدا لدحض حجته، ولعل الاطلاع على أسلوب **ابن حزم** في جداله لأهل الملة من فقهاء ومتكلمين خير مثال على هذا المنزع الحجاجي اللغوي الذي تتغلب فيه الرغبة في السخرية والحط من قيمة المجادلين باتهامهم تصريحا أو تلميحا بالسفه والتمويه والتشغيب[٢٤٨]، كما ظهر **لمحمد العبد** ذلك الميـل الواضح لدى **طه حسين** في توظيف بنية التكرار لتحقيق غايته الإقناعية[٢٤٩].

---

(٢٤٥) مصداق ذلك قول لشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم.

(٢٤٦) Prelman et Tytecar ,traite de l ‘ argumentation , p194.

(٢٤٧) انظر: محمد العبد، **الخطاب الحجاجي**، ص٦٤.

(٢٤٨) ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، ١/ ٤٠، ومواضع أخرى عديدة.

(٢٤٩) المرجع السابق، ٦٤ و٦٥ وانظر مقال طه حسين، **"أحسن إلي وأنا مولاك"**، حديث الأربعاء، ٣/ ١٢٩.

أما التطريز الصوتي فيكون بعرض الملفوظ من خلال إظهار مقاطع منه، أو الصمت بين بعض أجزائه في الحالة الشفهية لما في ذلك من وقع على الأسماع، وإثارة لها، وحمل للنفوس على السماع، والإنخراط في الحدث الكلامي[٢٥٠]، كما إن كثرة النصوص المحكية في شأن الموضوع تزيد من قوة الدعوى المطروحة، مما يكون في استحضارها، وتكثيف حالة حضور الفكرة لدى المستمع أو القارئ، وفي الحجاج العربي نرى أمثلة ثرية بهذه النصوص التي تحكي شواهد أو أخبار تاريخية أو نصوص لها قيمة إقناعية عينية، بالإضافة إلى اعتماد اللفظ الحسي الذي يؤكد استحضار المعنى وتجسيده، وكذا العناية باختيار الألفاظ في دلالاتها السياقية، فما يناسب منها مقاما لا يناسب سياقا آخر.

كما لا تخفى تلك القيمة التأثيرية المتصلة باستعمال المقابلة والجناس والطباق وغيرها من فنون الزخرف، فهي ليست مصطنعة في الخطاب للتحسين والتجميل الخارجي، وإنما هي أدوات فاعلة للإبلاغ والتبليغ، بوصفها أنساقا لغوية تدخل في بناء الحجة ذاتها من حيث المماثلة أو المفارقة [٢٥١].

كما تتنزل حجية الصورة البيانية من حيث بنيتها الشكلية التخييلية[٢٥٢]، كالاستعارات والمجازات في سياق قانون الأنفع في الخطاب، فعدول المتكلم عن

---

(٢٥٠) أما عن أثر التنوع الصوتي النطقي في المجال الأدبي على سبيل التأصيل، فينظر مثلا: حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ص ١٢٢-١٢٣، وابن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة**، مطبعة صبيح، القاهرة، سنة ١٩٥٣، ص ٤-٥.

(٢٥١) انظر: طه عبد الرحمن، "**مراتب الحجاج، وقياس التمثيل**"، مجلة كلية الآداب، سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، عدد٩، سنة ١٩٨٧، ص ١٨.

(٢٥٢) انظر: يوسف الإدريسي، **الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين**، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، المغرب، سنة ٢٠٠٥، ص٢٣، وانظر محمد الولي، **الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، سنة ١٩٩٠، ص ١٥.

معلومة معروفة بالنسبة إلى توقع المتلقي ومعارفه العامة، باتخاذ إحدى صور المجاز وسيلة تعبيرية، إنما يقع ضمن سياق ما هو أنفع وأجدى للإبلاغ، وأدعى للتأثير الجمالي بوصفه دربا من دروب التأثير النفسي، ووسيلة لا غنى عنها في الاحتجاج على صحة الدعوى المضمرة في بنية الخطاب الجمالي، وبحسب رأي بريلمان لا يمكن فصل الصورة البلاغية عن الوظيفة الحجاجية مطلقا، بل إن قصر درسها جماليا فقط لهو ضرب من تضييع الوقت(٢٥٣)، ذلك إن العقل في الحقيقة التلفظية لا يستغني عن الصورة تماما، بل إنه حين يحلق في اللامادي إنما يعلو على أجنحة من الصور(٢٥٤).

فالاستعارة -مثلا- عامل اقتصاد لغوي مهم، تتيح صياغة دلالية مركزة للمعنى، مما يسهم في تحقيق التلاؤم الدلالي مع المعاني المتعاقبة التي يفرضها السياق(٢٥٥) من جهة، والإسهام في تغيير موقف المتلقي فكريا، عن طرق التأثير الوجداني فيه من جهة أخرى(٢٥٦)، ولذلك نزعم نهوض فلسفة العدول البلاغي على المعطى التداولي الحجاجي للقول المضمر في النص، وإن كان أدبيا.

---

(٢٥٣) Chaim Prelman et Olbrechts Tyteca, Traite de l argumentation, p226-227.

(٢٥٤) مصطفى ناصف، **الصورة الأدبية**، دار الأندلس، ط٢، سنة ١٩٨١، ص٢٧٤. وانظر لايكوف وجونسون، **الاستعارات التي نحيا بها**، ص ١٨٦.

(٢٥٥) صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص٢٧٧.

(٢٥٦) انظر: أبو بكر العزاوي، **نحو مقاربة حجاجية للاستعارة**، مجلة المناظرة، عدد٢، مجلد٤، سنة٢٠٠١، ص ٨١، وانظر أيضا: ميشيل لوجيرن، **الاستعارة والحجاج**، مجلة المناظرة، عدد٢، عدد٤، سنة ١٩٩١، ص٨٧-٨٨، وانظر: علي محمد علي سلمان، **كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله نموذجا**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، سنة ٢٠١٠، ص٢٤١

وتذهب روس في هذا السياق إلى أن الصورة البلاغية من حيث كونها عملية أسلوبية ذات وظيفة إقناعية متى ما دعمت بالحجج العقلية والمنطقية ضمانا لكفاءتها الإقناعية، فهي على ميزان القوة والضعف متأرجحة، تحدد قوتها الإنجازية بالمعززات الحجاجية(٢٥٧)، ولعل الانتقال من صورة التركيب الخبري التقريري الوصفي إلى صور التركيب الإنشائي، تعكس هذا التلبس الحاصل بين ما يقال وما يراد إنجازه فعلا (٢٥٨)، بخاصة وأن الصورة الأدبية قائمة على المعاني المضافة إلى المعنى الأصلي المستفاد من العبارة الظاهرة، فهذه الأخيرة هي التي ستعمق درجة الإقناع بالنتيجة التي يتوجه إليها الملفوظ(٢٥٩).

كما إن التعبير بالمجازات في الحقيقة ليس إلا تحقيقا لمطابقة المقال للحال؛ فلكل موضع اتصالي شكله الموائم له، والخادم لغرضه التبليغي، يقول ابن خلدون: "...*والمقامات مختلفة، ولكل مقام أسلوب يخصه من إطناب أو إيجاز أو حذف أو إثبات أو إشارة وكناية واستعارة*..."(٢٦٠). إن العناية بهذه الوسائل تكون على حسب الحال، وكثرة الحشد وجلالة المقام على حد تعبير ابن قتيبة (٢٦١). ولعل عرض هذه التقنيات ختاما بتجريدها من خلال هذه المخطط يكفي لإيضاح الصورة، ولم شتاتها:

---

(٢٥٧) هنريش بليث، **البلاغة والأسلوبية**، ص٦٦. وانظر وظائف الاستعارة اللسانية والجمالية في: صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص٢٧٨.

(٢٥٨) عبد الله صولة، **الحجاج، أطره ومنطلقاته**، ص٤٦.

(٢٥٩) المرجع نفسه، ص٤٨. وانظر: عمر أوكان، **اللغة والخطاب**، ص١٣٤.

(٢٦٠) ابن خلدون، **المقدمة**، ص ٤٧٠.

(٢٦١) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق أحمد الصقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، سنة ١٩٥٤، ص ١٠-١١.

تقنيات الحجاج
تقنية الوصل
تقنية الفصل
حجج شبه منطقية
الحجج المؤسسة على بنية الواقع
Arguments basés sur la structure du réel
التناقض
contradiction
عدم الاتفاق
السخرية
التماثل
identité
تام
totale
المعرِّف = المعرَّف
المرأة = المرأة
جزئي
partielle
قانون التعرية
transitivité
الجزء/ الكل
علاقات التضمن
implication
اتصال تتابعي
ربط السبب بالنتيجة
(الوثائق المترابطة)
حجة التبذير
(gaspiage)
حجة الاتجاه
direction

الحجج المؤسسة على بنية الواقع
اتصال تواجدي
الحجاج بالسلطة
Argument d'autorité
الحجاج بالرمز

الحجج المؤسسة لبنية الواقع
Arguments qui fondent la structure du réle
الحالات الخاصة
التمثيل (analogie)
المثل (exemple)
وظيفة برهانية
الاستشهاد
نصوص دينية
وظيفة توضيحية
أقوال خالدة

تقنية الفصل
أدوات الربط
(العطف النحوي)
الجملة الاعتراضية
مؤكدة
نافية
أفعال الشك

كما يتأسس مشغلنا في هذا المقام أيضا على تحديد الموجهات التعبيرية (modalité d'expression) اللغوية التي تضطلع بوظيفة الحجاج اللساني في النص المعين، ومنها النفي (négation) الذي يعني ردا على إثبات فعلي أو محتمل حصوله [٢٦٢]. بالإضافة إلى أدوات الربط التي تفيد من حيث وظيفتها النصية الربط بين أجزاء الخطاب بعامة، وتعليق النتائج بمقدماتها بخاصة في المحاججة[٢٦٣]، ومن بين هذه الأدوات حروف العطف المستعملة في العطف الوصلي مثل: الواو، الفاء، ثم، حتى، والعطف الفصلي أو، بل التي تفيد ترتيب الحجج المتعاكسة[٢٦٤]، لكن، أم[٢٦٥].

ويقوم الخطاب الحجاجي بوصفه خطابا لسانيا على وسائل تحقق نصيته بالدرجة الأولى، من حيث وظيفة الربط التي تضطلع بها لتحقق تماسكه واتساق أجزائه، وتعمل في المستوى التداولي على الربط بين الحجج، وتحديد قيمتها التأثيرية بناء على توزيعها البنوي في نظام الخطاب، وعملها الإسنادي إذ تتكفل الروابط بإسناد أدوار تداولية حجاجية معينة للوحدات الدلالية داخل الأقول المنشأة، سواء كانت روابط إدراجية للحجج مثل: حتى - بل - لكن - مع ذلك، أو كانت روابط إدراجية للنتائج مثل: إذن - لهذا - بالتالي[٢٦٦].

---

(٢٦٢) Prelman et Tytecar ,traite de l ‘ argumentation , p208

(٢٦٣) انظر: أحمد المتوكل، **اللسانيات الوظيفية**، ص٢٥٤.

(٢٦٤) انظر: أبو بكر العزاوي، **"سلطة الكلام وقوة الكلمات"**، مجلة المناهل، وزارة الثقافة والاتصال، المغرب، سنة ٢٥، عدد٦٢-٦٣، مايو، سنة ٢٠٠١، ص ١٤٤-١٤٥.

(٢٦٥) لمزيد من التوسع في الوظيفة التداولية للروابط الحجاجية، ينظر: Tutescu Mariana, Largumentation, introduction a l etude du discours chap 6, p293-324.

(٢٦٦) يعتمد الحجاج آليات بعضها لغوي تمثله أدوات التعليل والشرط، بالإضافة إلى الوصف وتحصيل الحاصل، والحجاج بالتبادل، كما تدرج الروابط الحجاجية آنفة الذكر في الآليات

أما العامل الحجاجي فمهمته تقييدية لما يمكن أن يدل عليه القول المنجز من احتمالات دلالية(٢٦٧). ومن جهة ثانية تمثل هذه الأدوات البنيات اللغوية التي يلجأ لها المتكلم لتحقيق خطته الإستراتيجية، موفرا بذلك القبول لكلامه عند المخاطب(٢٦٨)، هذا وقد أكدت الدراسات الدائرة حول الحجاج عدم كفاية الوسائل الحجاجية المذكورة آنفا من رابط وعوامل حجاجية في مستوى العرض والبرهنة لنجاح العملية الحجاجية إذ لابد من قيام الحدث الحجاجي على جملة من القوانين العامة والمبادئ الحجاجية الضامنة لعلاقة سليمة بين الحجة ونتيجتها، تمتاز بعموميتها، وخضوعها لفكرة الشائع والمشهور في العرف الاجتماعي من قبيل المعتقدات والبدهيات.

شبه المنطقية (التعدية – أفعل التفضيل – صيغ المبالغة)، أما الآليات البلاغية فيمثلها المجاز المرسل والاستعارة والتشبيه والمحسنات البديعية من طباق وجناس وتورية، ولعل العناية بإبراز الدور الحجاجي لهذه الأنساق هو مطمح كل تحليل تداولي يرمي إلى استكشاف الكفاءة الحجاجية للنصوص المختلفة ،انظر الفاسي الفهري، **المعجم العربي، نماذج تحليلية جديدة**، دار توبقال، ط١، الدار البيضاء، سنة ١٩٨٢، ص ٤٨.

(٢٦٧) يمثل للروابط الحجاجية في اللغة العربية ببعض حروف المعاني مثل: بل – لكن– حتى– لاسيما – إذن – لأن – بما أن – إذ...، كما يمثل للعوامل بـ: ربما – تقريا – كاد – قليلا – كثيرا – أسلوب القصر...إلخ. يذكر أبو كر العزاوي أن مفهوم العامل الحجاجي قد دخل في نظرية دي كرو سنة ١٩٨٢ من خلال مقال له بعنوان: L argumentation et l acte d argumenter، انظر أبـو بكـر العزاوي، مرجع سابـق، ص٦٤. وانظر في القيمة الدلالية للروابط المعنوية في ضوء متغيرات الدلالة السياقية: J.Moschler.A.Reboule,Dictionnaire Encyclopedique de Pragmatique, p185.

(٢٦٨) انظر: **نظرية الأدب في القرن العشرين**، ص ٦٥.

كما تتسم بنسبيتها من حيث قابليتها للدحض وفقا لمجريات السياق اللغوي والاجتماعي(٢٦٩).

كما تتناول الدراسات نوعا حجاجيا يبتغي التأثير عن طريق التخطئة، وهو الحجاج المغالطي، ويبنى هذا النوع على المغالطة في تقديم الحجة، ويعبر عنه باللغة الفرنسية بمصطلح (Paralogisme) المتكون من جزئين هما (Para) ونعني به خاطئ و(Logisme) بمعنى الحجة، وربما أضاف بعضهم صفة النية الحسنة لهذا النوع؛ ليتميز في التفكير الفلسفي عن مصطلح (Sophisme)(٢٧٠).

ولعلنا نقترب من مفهومه في ضوء تصور الجاحظ له، فهو في نظره إظهار ما غمض من الحق، وتصوير الحق في صورة الباطل(٢٧١)، وهو بهذا يقدم على المقايسة الواهمة على حد تعبير ابن رشد(٢٧٢).

كما تسبب في حدوثه عيوب بنويه أثناء تأسيس المحاججة كالمصادرة على المطلوب، أو الأخطاء الناجمة عن تعدد الأسئلة؛ وربما أمكننا التمثيل للمغالطة

---

(٢٦٩) Traite de l argumentation , p191-248

(٢٧٠) السفسطة انزلاق من دائرة المعقول والأخلاق اللذين يعتمدهما الحجاج إلى دائرة الهوى والاستهواء، اللذين يتوسلان المغالطة والمخادعة والعنف اللغوي بشتى أنواعه، انظر: محمد العمري، **دائرة الحوار ومزالق العنف**، إفريقيا الشرق، ط١، الدار البيضاء، سنة ٢٠٠٢، ص ١٢، وعلي محمد علي سلمان، **كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله نموذجا**، ص٣٥٦.

(٢٧١) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ١/ ٢٢٠.

(٢٧٢) ابن رشد، **تلخيص المنطق**، دار الفكر اللبناني، بيروت، مجلد ٠٧، كتاب سوفسطيقي، ص٦٦٩ وما بعدها.

الحجاجية بقولنا: إن أمريكا دولة نووية وقوة اقتصادية فهي إذن على حق في حربها على العراق، إذ يشمل هذا النوع من المغالطة الحجاج بالسلطة[٢٧٣].

ومن أنواع الحجاج الخاطئ أيضا المغالطة المنطقية؛ ونزعم التمثيل لها بمناظرة الشاعر العباسي "أبي العتاهية " لثمامة بن الأشرس[٢٧٤]، والمغالطة العلمية التي تشخص في تناقض أقوال المتكلم وأفعاله، وربما مثلنا لها في النص القرآني بقوله تعالى ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ البقرة، الآية: ٤٤.

وأما الحجاج المبني على التناقض الإثباتي فتبينه الآية من سورة مريم: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ مريم، الآية: ٢٦. فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنها لم تنذر في الحال بل صبرت حتى أتاها القوم، فذكرت لهم كونها نذرت، فيكون هذا منها تناقضا فقد تكلمت من حيث نذرت عدم الكلام بينما ذهب آخرون إلى إمساكها وإكتفائها بالإيماء بالرأس[٢٧٥].

ومن أدوات الحجاج اعتماد التهديد والترهيب أسلوبا للإقناع الخطابي في النصوص الدينية والسياسية، ويمكن أن نجد لهذا النوع من الإقناع الذي ينحو منحى استسلاميا أمثلة متعددة في الخطابة العربية كخطبة زياد بن أبيه لأهل البصرة، وخطبة الحجاج لأهل العراق[٢٧٦]، وخطبة زيد بن المقنع العذري الذي سعى في ضمان ولاية العهد إلى يزيد بن معاوية، فخطب في حضرة معاوية (ض) قائلا: "هذا أمر أمير

---

(٢٧٣) عن حجاج السلطة وما يحيل عليه من معاني الثقة المطلقة والخبرة والتفويض والسلب، ينظر: Bruton, Largumentation dans la Communication, p61-67

(٢٧٤) الأصفهاني، **الأغاني**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ٤/ ٥و٦.

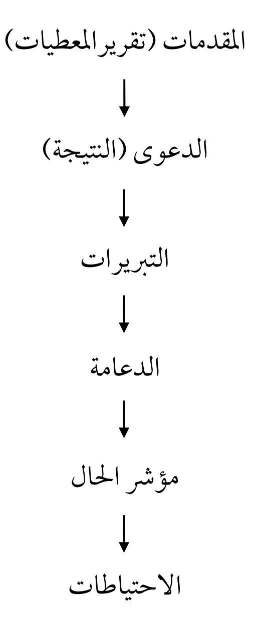
(٢٧٥) الرازي، **التفسير الكبير**، ٢١/ ٢٠٧.

(٢٧٦) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ط١، القاهرة، ١٩٦٠، ٢/ ٦٣.

المؤمنين وأشار إلى معاوية، فإن هلك.. وأشار إلى ولده يزيد فان أبيتم فهذا .. وأشار إلى سيفه".

١٠- إستراتيجية الخطاب الحجاجي

تتكون البنية المقطعية الحجاجية من ستة مكونات، يصورها المخطط التالي:



والظاهر أن الدعـوى من حيث هي نتيجة مذكـورة فـي المحاجة تستهدف استمالة الآخرين قد يصرح بها، وقد تذكر ضمنيا، أما المقدمات فهي القضايا المنطقية الممهدة للنتيجة والمرتبطة بها منطقيا بوساطة التبرير الذي يكون مبدأ عاما يبرهن على صلاحية العلاقة بين الطرفين.

فيما تتلخص وظيفة الدعامة في جملة الحجج المقدمة من لدن الطرفين لنصرة موقفيهما، أما مؤشر الحال فهو تعبيرات تمكن للدعوى لتتحقق واقعيا مثل: من الممكن، على الأرجح، من المحتمل، يتوقع ...إلخ، بالإضافة إلى التحفظات التي تبين الأساس الذي ينهض عليه الحكم بعـدم مقبولسية الدعوى[٢٧٧]. أما شكل القاعدة الحجاجية فيمكن تصوره بالطريقة الآتية[٢٧٨]:

ق(قضية١)............لكن..........ك(قضية٢)

نتيجة=ليس من ....-نتيجة هو من

إذن هو

وعلى هذا يقوم الحجاج على خط قولي، تمثله سياسة إقناعية، وأهداف معرفية ونفسية واجتماعية يسعى الترابـط الحجاجي إلى إنفاذها فـي الواقـع للمحاجَجين، والإستراتيجية الحجاجية بهذا التصور طريقة وأداة وغاية يستجمع بها المحاجِج عناصر التأثير المحددة لتوجيه الموقف والفعل والرؤية لدى المحاجَجين في وضعيات تواصلية معينة تسنح بشرح الفكرة وتدعيمها في أنظار المتلقين، فالإستراتيجية خطة حاضرة مضمرة عن الأنظار في الآن نفسه، تستكشف بعمل التأويل[٢٧٩]، بل إن الخطاب ليس شيئا آخر غير الاستراتيجية التي تكون عالم تفسيراته المشروعة على حد زعم **هنريش بليث**[٢٨٠]، يسترشد إليها بالعلامة اللسانية والسياق الحالي المنتج للفعل التلفظي[٢٨١].

---

(٢٧٧) انظر: محمد العبد، **بنية الخطاب الحجاجي**، ص٤٥.

(٢٧٨) J.Moeschler, A.Reboul, Dictionnaire Encyclopedique de Pragmatique, p2-86-283-285

(٢٧٩) Bonge,Analuse conversationnelle et theorie de l action, Didier, Paris,1992, p22-27

(٢٨٠) انظر: هنريش بليث، **البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص**، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، بيروت-، سنة ١٩٩٩، ص ١٣٦.

كما تقوم الإستراتيجية الحجاجية من خلال تفاعل سياستين قوليتين تعتمد إحداهما على توسيع دوائر الإدراك العقلي العادي إلى الغيب اللامتناهي والممكنات اللامحدودة ومن معنى المعنى إلى المعنى الرمزي التخييلي الذي لا يكشف بالعقل ومسلماته المنطقية وإنما يتحسس بالقلب والوجدان، وثانيهما وهي سبب لحصول الأولى تتمثل في تحرير العلامة من مرجعها، وفك الارتباط الإلزامي بين الدال ومدلوله ليسبح في فضاء الدلالات الإشارية اللامتوقعة[٢٨٢]، لتتحقق بذلك فكرة اعتباطية الدليل اللساني التي قررها **فردينان دي سوسير** في منظوراته اللسانية[٢٨٣].

وتتأكد أهمية النظر في الدلالات الهامشية والحافة التي يثيرها الرمز في الخيال الإنساني والتي تختفي وراء طبقات جليدية يصعب خرقها على المتلقي العادي، فهي جوهر مكنون وسر محجوب يوصل إليه بالقلوب لا بالعقول والنصوص، وفي هذا السياق تتجدد سلطة البيان اللغوي بوصفه إطارا للحجاج البلاغي واللساني، لتحل معه سلطة أعلى لا تقنع وإنما تسحر متلقيها فتسلبه الإرادة إنها سلطة المعرفة (العرفان) الوجداني بما تحيل عليه من وحدوية وحلول وتقمص وذوبان في ذات النص والمخاطِب معا، ومعنى ذلك إن رحلة المعنى بوصفه حقيقة مستورة مطلوبة ستكون

---

(٢٨١) عن اتصال الإستراتيجية بالحرب ومفهوم اللعبة والحرب اللغوية ينظر تفصيلا عز العرب لحكيم لبناني، **حدود التواصل، الإجماع والتنازع بين هابرماس وليونار منانغريد فرانك**، إفريقيا الشرق، ط١، ٢٠٠٣، ص ٢٩.

(٢٨٢) انظر: علي الشبعان، **الحجاج و الحقيقة وآفاق التأويل، بحث في الأشكال والإستراتيجيات**، ص٤٣١ و ما بعدها.

(٢٨٣) F.D.Saussure, cours de lingiustique générale Publie par Charles Bally et Albert Sechehaye Payot ,Paris .1960, p100,Et voir aussi Ducrot (O), Todorov (T), Dictionnaire Encyclopédique des Sciences du Langage, op.cit, p131-146.

باتجاه معاكس مخالف لمنطق الرؤية الطبيعية، هذا وقد عرض "**علي الشبعان**" في دراسته "الحجاج والحقيقة" إلى أنواع الإستراتيجية المرتسمة في الخطاب الحجاجي، مبينا كونه بنية لغوية مركبة تنفعل بالمقامات، وتتأثر بالأسيقة المختلفة، مما يعني تفرع الإستراتيجية إلى إستراتيجيات مختلفة هي(٢٨٤):

١- إستراتيجية حجاجية ظاهرة قوامها البيان القاطع.

٢- إستراتيجية نفي التنازع (الانسجام).

٣- إستراتيجية القويم والتهذيب.

٤- إستراتيجية صون المعتقد.

٥- إستراتيجية الطاعة والمصالحة بين الذات والآخر. وأما الإستراتيجية المضمرة التي تتجاوز اللغة الواصفة من حيث تشكلها الضمني في الخطاب، فقد حددت بالأصناف التالية من خلال دلالتي الاقتضاء والتضمن.

أ) إستراتيجية التجسيم من خلال توسل الخطاب النبيه إلى الأصل المجسم في أشخاص معنيين لهم مصداقية المعرفة الصافية (الصحابة/ السلف) مثلا.

ب) إستراتيجية إقامة السلطان وتوطيد المذهب.

ج) إستراتيجية بلوغ المرتبة (القداسة).

د) إستراتيجية الأصل والتابع(٢٨٥).

---

(٢٨٤) انظر: علي الشبعان، **الحجاج و الحقيقة**، ص ٢٦و١٨٩ وما بعدها إلى ١٩٤. وانظر أيضا:
Francis, Jacques, Argumentation et Strategies discursives, in Largumentation ,Colloque de Cerisy(textes edites par Alain Limpereur)ed LIEGE, 1991, P153.

(٢٨٥) يذهب علي الشبعان في دراسته سالفة الذكر إلى أن الإستراتيجية التوحيدية تقوم على توحيد العقيدة وتوحيد منهج الرؤية والتفسير وواحدية الرؤية والنظر من خلال تلازم السياسي مع الديني في التفسير الأثري، ص٢٠٤ وما بعدها.

هـ) إستراتيجية المعنى الأصل والأوحد، وحتى يحقق الحجاج أهدافه الإقناعية والتأثيرية بشرط أن يكون المحاجج ملما بالجوانب النفسية والاجتماعية والثقافية واللغوية المتصلة بالمحاججين، إذ تقوم بينها علاقة مؤسسة على الاحترام المتبادل بخاصة في السياق الخطابي المكتوب الذي يغيب فيه المحاور الحقيقي ليتحول إلى محاور افتراضي يتخيله مؤسس الحجاج(٢٨٦).

ولعل من أهم التقنيات التي يقوم عليها المحاجج لفهم الإطار الحجاجي التوقعي للمحاجج الدخول معه في حوار جاد يهدف إلى تبيان الحقيقة مركزا على مسلماته ومعتقداته وافتراضاته بموضوعية وعلمية لا يشوبها تحايل أو تجاهل وتحقير للتصورات والنتائج(٢٨٧).

إن العمل الاستباقي الذي يضطلع به المحاجج لكشف توقعات المحاجج وردود أفعاله وأقواله هو الهدف الأسمى الذي لابد من الوصول إليه بالمحاورة والتساؤل في تصور بريلمان ليحقق الحجاج فعالية، ويضمن المحاجج احتواء عالمه لعالم المحاججين(٢٨٨)، وفي سياق توصيف الشروط التي تؤسس لظهور محاجج ناجح يمكن التذكير ببحث "آن روبول" للمحاجج على ضرورة استغنائه عن التحريض (Manipulation) والالتفات (Apostrophe) والتجسيد (Prosopopée) والساخر (Chleuasme)(٢٨٩)، فيظهر انشغال المحاجج الكاتب- مثلا- بقرائه (المتلقي/ الجمهور) من خلال علامات لغوية عديدة منها قوله: اعلم-ألا ترى غايتها إدماج المتلقي قي

(٢٨٦) traité de l'argumentation, p18-19-38.

(٢٨٧) Ibid, p49-50-58.

(٢٨٨) traité de l'argumentation, p29-30.

(٢٨٩) آن روبول، **هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي**، ص٧٠.

مقاصد المحاجِج - الحوارية والتفاعل من خلال توظيف عبارة "فإن قلتَ قلتُ"، وهذه البنية التساؤلية (سؤال / جواب) تضع الخطاب المنجز على مسار التفاعل الحواري والحجاجي الذي يوجه الفكرة وينتج الدلالة المقصودة(٢٩٠).

كما إن طبيعة الأسئلة المطروحة تكشف عن هوية الجمهور المحاجَج من ناحية أفقه الفكري، وعمق تصوراته للمسألة، فتنوع الجمهور مقولة تحكم الأنماط الحجاجية وتوجهها نحو الإقناع أو الاقتناع(٢٩١). وتقوم نجاعة الخطاب الحجاجي على حسن المواءمة بين المقدمة الحجاجية وطريقة عرضها، ولا يتأتى ذلك للمحاجِج حتى يتمكن من اختيار المعطيات المناسبة من حيث شهرتها ومشاركة المتلقين فيها مما يحملهم على الإذعان دوما، إلا أن اختيار المعنى لا بد له من حامل شكلي ينقله إلى المحاجَج ليصيره حدثا كلاميا وفعلا لغويا منجزا بشكل مباشر (صريح) أو غير مباشر (ضمني) يدرك من معينات السياق ومحددات المقام الحالي، وفي المستوى التأويلي يمكن القول بأن تأويل العلاقة التداولية بين البنية والعمل الذي تنتجه في مقام التحاور يكون صورتين متضادتين للمحاجِج في مقابل المحاجَج فإذا كان الأول عالما مقتدرا مرجحا قاطعا فإن الثاني بعكسه تماما. هذا وينتج الخطاب الحجاجي سلمية من الحجج (*Les echelles argumentatives*) المرتبة ترتيبا موجها لدلالة التأثير باللغة(٢٩٢).

يمكن تتبع بنيتها ووظيفتها الحجاجية من خلال تنزيل الحجج في فئات أو حقول متباينة من حيث موضوعها وطبيعتها الشكلية، كما يتم تمييز وحدات كل فئة أو

---

(٢٩٠) انظر: علي الشبعان، **الحجاج واحقيقة**، ص٢٣٩.

(٢٩١) preleman-Teteka, p40-46."***le point de départ de l'argumentation supposent accord de l'auditoire***", P87.

(٢٩٢) انظر: أبو بكر العزاوي، **اللغة والحجاج**، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص٢٦.

حقل اعتدادا بمفهوم القوة الإنجازية للفعل الكلامي، وفي هذا السياق حدد دي كرو مجموعة ضوابط تعد قوانين حاكمة لعمل الحجة دخل السلمية الحجاجية، لعل أهمها قانـون النفي وقانـون القلب وقانـون الخفض، فأما قانـون النفي فيقضي أن نفي قـول ما يعد حجة لصالح النتيجة المضادة .

وأما قانون القلب فيعني أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية سيكون عكسا للسلم الحجاجي الخاص بالأقوال المثبة، مما يعني أنه *إذا كانت حجة أقوى من أختها في الاحتجاج لنتيجة ما، فإن نقيض الحجة الثانية سيكون أقوى من نقيض الأولى في الاحتجاج للنتيجة المضادة*[٢٩٣] .

أما قانون الخفض فقد حدّد طه عبد الرحمن قيامه على ربط صدق القول في مراتب معينة من السلم بصدق وقوع نقيضه في المراتب التي تقع تحتها[٢٩٤]. فالعملية الحجاجية تخضع من هذا المنطلق لموازين القوة بين الأطراف التي تتنازع وضعا معينا، ذلك إن إضافة معلومة أو حجة جديدة إلى مجموعة من الحجج يمكن أن يغير من قوتها لنعيد ترتيبها من جديد في سلم تراتبي يجعلها تتلاءم مع مجرى الحوار، فكل جزم لقضية ما هو مؤقت في انتظار غلق الحوار[٢٩٥]. فإذا كان للقول وجهة حجاجية تحدد قيمته باعتباره يدعم نتيجة ما، وإذا كان القول مندرجا ضمن قسم حجاجي قائم على

---

(٢٩٣) انظر: أبو بكر العزاوي، **الحجاج في اللغة**، ص٦١، وانظر أيضا Les echeles argumentatives, p27.

(٢٩٤) انظر: طه عبدالرحمن، **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٨٧، ص١٠٥. وانظر: **لسان الميزان**، ص ٢٧٧ وانظر أيضا تلخيص ذلك في: أبو بكر العزاوي، **الحجاج في اللغة**، ص ٦٢ و انظر: Les echeles argumentatives, p32.

(٢٩٥) انظر: حسان الباهي، **العلم والبناء الحجاجي**، ص ٢٣٥.

قوة بعض مكوناته، وضعف بعضها الآخر بالنسبة إلى نتيجة ما، فإن مفهوم السلم الحجاجي بتركيزه على الطابع التدرجي، والموجه للأقوال يبين أن المحاججة ليست مطلقة، إذ لا تتحدد بالمحتوى الخبري للقول، ومدى مطابقته لحالة الأشياء في الكون، وإنما هي رهينة اختيار هذه الحجة أو تلك بالنسبة إلى نتيجة محددة، لذلك فالحكم على المحاججة أساسه القوة والضعف، واعتبار الطابع التدرجي فيها[٢٩٦].

إن القيمة الحجاجية للملفوظ لا تتصل بحصيلة المعلومات المقدمة فيه فقط، بل إن تضمن جملة من جمله باعتبارها مكونا أساسا فيه لوحدات نحوية وتعبيرات معينة، بالإضافة إلى المحتوى المعبر عنه بوساطتها، تمكن من إعطاء توجيه حجاجي للملفوظ، وتوجيه المتلقي إليه بسلطة اللغة أصالة .

خاتمة المبحث

يعنى تحليل الخطاب مبدئيا بالكشف عن الآلية الحجاجية المتحكمة في نظام الخطاب، من خلال رؤية كلية تستكشف علاقات الترابط الحجاجي، ومنظومته الحجاجية التراتبية، في سياق تحليل وظائفه التداولية العامة[٢٩٧]، وذلك من خلال رصد حركة التقنية الحجاجية المتبعة من لدن المحاجج لترسيخ رؤيته، والدفاع عن أطروحته، لكي يقتنع بها الآخرون[٢٩٨]، وفي هذا الإطار تشير آ. **موشي** (Amossy.Ruth) في كتابها الذي يؤرخ إلى أهم المقاربات التحليلية التي تتخذ من الخطاب الحجاجي مركز انتباه وجذب ومباشرة إلى تعدد المداخل الوصفية والتعبيرية لحدث التلفظ الحجاجي، مميزة بين:١- المقاربة اللغوية، ٢- المقاربة التحاورية، ٣- المقاربة التحاورية التفاعلية،

---

(٢٩٦) انظر: شكري مبخوت، **نظرية الحجاج**، ص ٣٧٠.

(٢٩٧) "Il y-aura lieu d analyser le discours dans son ensemble surtout quand on traite de l ampleur de l argumentation ainsi que de l ordre des arguments ,l empire rhitorique, p74

(٢٩٨) Philippe Breton, Largumantation dans la communication ,p39.

٤- المقـاربة النوعية (الأجناس)، ٥- المقاربة الأسلوبية، ٦- المقاربة النصانية[٢٩٩]؛ والحقيقة أن تعدد هذه المداخل والمقاربات راجع إلى طبيعة الخطاب المعقدة بدرجة أولـى، فبالرغم من إمكان التمييز الشكلي والوظيفي بين أنـواع الخطاب السردي والحكائي والتفاعلي والحواري، انطلاقا من مبدأ الهيمنة إلا أن الحجاج موجود في كل منها، وإن كان وجوده مختلفا من حيث البعد التداولي[٣٠٠]، كما إن الحجاج منه بشكل خص متعدد التكوين والمستويات والغايات.

إن تعدد هذه المقاربات ينبئ عن ضرورة ربط الحجاج بحقل تعيينه، أي نوع الخطاب والنص المحيط به، وعدا ذلك التأطير بمقاربة محددة يجعلنا كمن يبحث عن حجاج متعال وخالص ومجرد من أسباب وجوده[٣٠١]، هذا ويمكن القول بالنظر إلى ما حددته الباحثة إن الحجاج هو فعالية لسانية تواصلية بين متكلم ومستمع، تقوم على التحاور والأخذ والرد والتفاعل المفهومي والثقافي ضمن سياق التخاطب وظروف إنتاجه الاجتماعية، مما يعني الكشف عن قائله ومتلقيه، وظروف تلقيه له، والمنطق الذي يحكمه[٣٠٢]، مما يعني ضرورة العناية بتكوينه الطبقي واختياراته الأسلوبية بوجه خاص، ومحدداته البلاغية التي تميز نوعه ضمن سلسلة من الأنواع النصية المتداخلة

---

(٢٩٩) Amossy, l'argumentation dans le discours, discours politique, littérature d'idées, fiction nathan, paris,2000, p23-24.et voir Reboul, Moscler, Pragmatique du discours de l interpretatio de l enonce a l interpretation du discours Armand Colin ,Paris ,1998,p10-17

(٣٠٠) انظر: حبيب عراب، **الحجاج والاستدلال الحجاجي**، ص ١٣٤.

(٣٠١) المرجع نفسه، ص١٠٠.

(٣٠٢) **Lanalyse de l argumentation dans le discours tient compte du dispositive d enunciation (qui parle? A qui, dans quelle situation de discours, et de dynamique .interactionnelle , selon quelle logique et en fonction de quelles strategies s effectue l echange entre les partenaires mais elle accorde aussi une *importance privilegiee aux donnees institutionnelles sociales et historique, AVANT PROPOS.VII***

فــي حــدث الكلام، والتي تشــير بنيتها النصية إلــى انسجام واتساق داخــلي يضبط الإستراتيجية الحجاجية[٣٠٣]، لقد استغرقت هذه المقاربات بوصفها بنائية للخطاب الحجاجي جهود المدارس الحديثة في البلاغة المعاصرة عند نفر من الباحثين مثل **بريلمان وتيتكا وأبوستال (apostul) وفون رايت (Von Wright) وقريز (Grise) وتولمين (Toulmin) وديكــرو اسكومبر (Ducrot,Auscombre) وإيميرين (Van Emern) وجــروتنندورست (Grootendorst)**[٣٠٤].

---

(٣٠٣) Ibid. p24."***en donnant au terme de texte les sens d'un ensemble cohérent et énoncés qui forme un tout, le discours argumentatif doit être étudier au niveau de sa construction textuelle*".**

(٣٠٤) ***Tutes ou (mariana), l'argumentation, introduction a l'étude du discours, edituna universtatu din bucuresti) 1998, p15-68.***

الفصل الثالث

التحليل التداولي للخطاب السردي – المقامة البشرية أنموذجا

توطئة

تمارس **المقامة البشرية** بوظيفتها الحجاجية، وعبر برنامجها السردي إثارة تسحر لب المتلقي، قصد تغيير سلوكه، مخضعة المتلقي داخل النص وخارجه للحكاية الخدعة التي تضحي أحبولة تنسج خيوطها الحجاجية على جسد المعنى المتقبل.

إن هذه الدراسة التحليلية لبنية الحجاج في الخطاب السردي المقاماتي تركز بشكل محدد على وظيفتين مختلفتين تقاسمتا شخصية السارد والراوي أولاهما وظيفة الخدعة محققة في الزوجة المنتقمة تارة، والعم تارة أخرى، وثانيهما وظيفة الانتصار محققة في البطل بشر بن عوانة الباحث عن موضوع القيمة فاطمة بنت العم، والمتغلب على خصومه الأسطوريين من عالم الطبيعة.

وفي سبيل الكشف عن مفهوم الاستهواء السردي باعتباره منطقا للمحاجة عن الدعوى الضمنية التي يقوم عليها الخطاب، والتي تمثل وجهة نظر الراوي، والكاتب نعمد إلى قراءة تداولية لا تنفك عن سياقيها الاجتماعي والتاريخي اللذين

يمثلان المرجع الأساس لفهم النص، وإبراز مقاصده التواصلية الأساسة، مع استجلاء الإستراتيجية الحجاجية الإشهارية بأدواتها اللغـوية، وممكناتها الأسلوبية فـي ضـوء آليـات التحليل النصي التـداولي. وفي هـذا السياق نـود التنبيه إلى قيام الدراسة على مجموعة من الركائز الأساسية تمثل في ترابطها الفكري أبعاد الخطاب ومكوناته السردية والإشهارية والحجاجية التي يبين عنها الوصف التالي.

١ - السرد والخدعة والمرأة

يمارس السـرد[1] من خلال الخـطاب والراوي والمتلقي تأجيلا دائما للمعنى من خـلال إبهار المتلقي داخـل النص وخارجه عبر وسائـط متعددة تمثل جمالية الخطاب

---

(١) يستخدم مصطلح السرد في سياقين دلالين مختلفين، يشير أحدهما إلى دلالة موسعة تقضي بالتحول من وضع إلى آخر، ومن فعل زماني إلى غيره في عرف السيميائيين في شتى أنواع النصوص، أما الدلالة المضيقة فتتنزل في إطار أسلبة الخطاب، فقد يرد القول فيه وصفا أو حوارا أو سردا يحكي فيه الراوي أحداث القصة المتتابعة، فهو منطق خاص يحكم علاقات الوقائع القصصية في صورة متتابعة زمانيا، هذا ويميز **فيليب هامون** بين السرد الذي تقوم به شخصية واصلة تنتمي إلى مستوى الخطاب وهي شخصية السارد، وهو هنا **عيسى بن هشام** الذي نعده ساردا داخليا (Intradiegetique) يظهر ذلك في الافتتاح: "حدثنا عيسى بن هشام قال" في مقابل السارد الخارجي الذي يمثله **بديع الزمان الهمذاني** كاتب المقامات (Extradiegetique) وجماعته، وعلامته ناء الجماعة المخاطبة في: **حدّثنا**، أما البطولة فتمارسها شخصية تخييلية تنجز فعلا ما في إطار مسار معين، وتنتمي إلى مستوى القصة، وربما لا نفارق الصواب إذا عددنا **ابنة العم فاطمة** بوصفها موضوع القيمة البطل الغائب الذي يحرك الأحداث ويصطنعها في المقامة، أما البطل الحاضر فهو **بشر بن عوانة العبدي** الذي ظهر منفعلا في أغلب السياقات، وعن رؤية **هامون، فيليب** ينظر:

Philippe Hamon, texte et ideologie, Paris, p.u.f,ecriture, 1984, pp44

السردي، وهذا واضح من خلال إبهار بشر الصعلوك بخبر ابنة العم وما تعلق بجمالها الأخاذ فيما نقلته زوجته الأسيرة التي مارست بشكل واضح فعلا قوليا قصده غواية المتلقي، فينصاع لا يقدر على تخليص نفسه من الأحبولة الخدعة التي تمثل محرقة الفعل السردي في فن المقامات بوجه عام، وعلى اختلاف الشخصيات والموضوعات والأزمنة والأمكنة ذلك أن الخدعة بتعدد أشكالها موتيفا وظيفيا في بنية الحكاية المقاماتية.

ومما لا يخفى على الباحث الحصيف أن السرد من الناحية الفنية ليس تمثيلا آليا للواقع ذلك إنه يمارس دوما خـرقا للبنية الواقعية تحـقيقا لغايات ودلالات معينة يبتغيها السـارد في سعيه الحثيث إلى تعـرية الخطابات الاجتماعية المنجـزة من خلال توظيف الحكي الذي يتحول في حد ذاته إلى غواية تقحم السامع والسارد معا في فضاء النص السردي، وينصهران معا في أحداث ووظائف الخطاب، مشكلين من خلال علاقة تقابلية ثنائية تفسر البنية السردية هي (الراوي/ الغاوي لغيره) و(الراوي/ الراوي لغيره بعد الظمأ) فتكون هذه اللفظة (الراوي) دالة على معنيين متضادين[٢]، وربما أمكننا القول بأن لفظة الرواية ستكون وعـاءا لنقل مادة ذات طبيعة خاصة كلامية تحـقق ارتواء بالنسبة إلى السامع.

ثم إذا أضفنا إلى هذه المادة سمة التخيل والاختلاف فإن تحقيق الارتواء النفسي سيكون على سبيل الغواية خروجا عن الواقع المعبر عنه موضوعيا، وسيكون بإمكاننا

وينظر أيضا:

Hakan zkan, comment narre-t-on-un ẖabar? Le narateur dans les recits de la literature d arabe ,in Synergies , moderne arabe ,coordonne par ibrahim al- Balawi,Henda Dhaouadi et Antonella Ghersetti,Recherches francophones sur le recit arabe classique ,numero 6 ,annee 2009.

(٢) انظر: محمد حسن النعمي، **"غواية السرد، قراءة في المقامة البغدادية للحريري"**، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، عدد ٧٣، شتاء ٢٠٠١، ص١٠١.

الزعم بعدم تكافؤ البنية الواقعية مع البنية السردية المحتكمة إلى رؤية ذاتية تمثل رواية العالم الخاصة بالمبدع أو الراوي فتتحقق وظيفة الارتواء السردي في المقامة داخليا(٣) أين يثبت وجود مسرود له (مخاطب) صريح داخل النص، وهو هنا بشر الصعلوك الذي مارست عليه الزوجة سلطة واسعة النطاق بسردها الإغوائي الذي تجسده مقالته الشعرية: قال بشر: ويحك من عنيت، فقالت: بنت عمك فاطمة، فقال أهي من الحسن بحيث وصفت؟ قالت: وأزْيد وأكثر، فأنشأ يقول:

وَيْحَكِ يَا ذَاتَ الثَّنَايَا البِيضِ   مَا خِلْتُني مِنْكِ بِمُسْتَعيضِ
فَالآنَ إذْ لَوَّحْتِ بالتَّعرِيضِ   خَلَوْتِ جَوًّا فاصْفِري وَبِيضِي
لأَضُمَّ جَفْنَايَ عَلى تَغْمِيضِ   مَا لَمْ أَشِلْ عِرْضِي مِنَ الحَضِيضِ

التجأت هذه المقامة إلى فعل السرد للتعبير عن الواقع المملوء بالتناقضات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الحياة العربية منذ أقدم نماذجها، فما فعله بشر بن عوانة في المقامة البشرية هو نفسه ما يفعله بطل سائر مقامات الهمذاني بخاصة مع اختلافات في الأهداف المتحكمة في نسج السرد، فإذا كان أبو الفتح السكندري يبحث بالخدعة عن الكسب واللهو والمجون والفكاهة، فإن بشر الصعلوك يسلك مسلك القص والسرد ليظلل المستمع قصد حصوله على غايته، فمرة يسرد خبر وقوفه في مواجهة الأسد، ومرة أخرى نبأ قتله للأفعى، وثالثة مشهد مبارزته للشاب الفارس الذي حال دون تحقيق هدفه، وهكذا احتمل بشر بن عوانة كيد العم والقبيلة، مواجها

---

(٣) انظر: ماري لاهي، هولبيك، **أنوثة شهرزاد، رؤيا ألف ليلة وليلة**، ترجمة عابر خزندار، القاهرة، ١٩٩٦، ص٣١. وانظر البعد السلوكي للسرد في ما ذكره عبد الفتاح كليطو، **الغائب دراسة في مقامات الحريري**، ط١، دار توبقال، الدار البيضاء، سنة ١٩٨٧، ص٧٥.

بقوته الأفعى والأسد وكل المهالك ليقنع الآخرين ببطولته واستحقاقه، وفي مقدمتهم جميعا فاطمة، والفعل ذاته قامت به زوجته التي اختطفها من أهلها، وتزوجها فكادت له بالسرد.

لقد استدعت من القرابة الاجتماعية ما تقدمه حجة على ضعف انتباهه لمن هو أجمل منها من نساء القبيلة، واستطاعت بعد وصف دقيـق إيقاعه في حبائل الغواية، وتحريضه على طلب يد ابنة عمه "فاطمة"؛ وربما جاز لنا وسم هذه الحال التي أضحى عليها بشر بأنها وضعية الدهشة والانبهار.

ولعل هذه الوضعية بالذات هي التي كانت الدافع والمحفز على خوض مغامرة " الوادي". كما كرست المقامة البشرية ثنائية (المرأة / السرد) من خلال حضور المؤنث طرفا في الصراع ضد هيمنة الرجل (المخاطب) وثقافته الذكورية في المجتمع العربي القديـم، والتي تتجسد في حب المتسلط حتى في صورة المحب الذي يبـذل النفس للحصول على مبتغى ذي طبيعة مادية، وهكذا تتلخص المرأة في متاع دنوي فلا يهم إن كانت راضية أم لا، فهي مجرد لوحة جميلة تستعذب نعومتها. كما تتسلم المرأة (الزوجة) سلطة الحكي لتمارس به غواية الإبهار انتقاما لعزتها وشرفها.

وربما كانت بنية الوصف على ما فيها من أدوات بلاغية بيانية وبديعية سلاحا فتاكا سخّرته المرأة (الزوجة) ضد بشر للنيل منه وإغرائه بابنة عمه، وكأنها تعلم رفض العائلة لهـذا الزواج الجديـد وما سيترتب عن هذا الرفض من أزمات في العلاقات الاجتماعية، ولهذا ستقف المرأة من خلال السرد في موضع قوة تملي شروطها على وضع الرجل الذي لا مناص له إلا الاستجابة والإذعان، وبالرغم من أهمية الدور الموضوعاتي الذي اضطلعت به في الخطاب السردي إلا أنها بدأت وكأنها صورة أو لوحة ثابتة، أفلا يجوز لنا القول بأن "بديع الزمان" قد أهدر قيمة المرأة من ناحية كونها معادلا موضوعيا

للحيلة والخداع، ثم ألغى وجودها النصي، وجعلها طرفا سلبيا في الحكاية، ما يجعلها صورة لتاريخية الانتهاك في ضوء سلطة الرجل الثقافية.

وعلى صعيد تمعين الشخصية تستوقف القارئ مجموعة من الشخصيات، لعلّ أبرزها بشر الصعلوك والذي يمكن عدّه بداءة البطل الفاعل فهو الذي يسعى ويقول ويعمل أعمالا متعددة قصد تحقيق غاية معينة، غير إن هذه الأفعال تجلت في صورة حكائية وقولية تجعل من المقامة كلها فعلا قوليا بالدرجة الأولى يحكي الأقوال لا الأفعال عبر صيغ تفيد معنى النداء وإنشاد الشعر والسؤال والجواب والتفسير والوصف(٤).

غير إننا بتبصر حال البطل الذي يقع ضحية للمكر والخديعة فيصبح قابلا لفعل الغواية السردية والوقوع في حبائل الخدعة التي نسجتها الزوجة يمكن عده بطلا مزيفا، أما البطل الحقيقي فهي ابنة العم، فهي وإن كانت شخصية غير حاضرة بالقول إلا أنها فاعلة بالأثر الذي تركه جمالها في لب بشر وقلبه، فهي هيا تدفعه دفعا إلى حتفه بدون وعي منه، يتخفى وراءها بل يتقمص شخصيتها الكاتب بديع الزمان الهمذاني ليعبر بها عن رؤيته للعالم(٥) (La vision du monde) فيسخر بوساطتها من القيم العتيقة

---

(٤) انظر: أحمد السماوي **"عندما يستعيد الكاتب السارد البطولة، محشر الغفران شاهدا"**، ملتقى غازي، ص١٣٠

(٥) معلوم أن مفهوم رؤية العالم الذي أسس له **لوسيان غولدمان** في إطار البنيوية التوليدية، وطبقها على أعمال راسين وباسكال يتأسس على علاقة توالد بين البنية الاجتماعية والبنية الأدبية، فهذه الأخيرة تتحكمها مجموعة المواقف الاجتماعية والثقافية والإيديولوجية للأفراد الذين يهذبونها، ويدعون لها عن وعي ذاتي يتحول إلى وعي جماعي عام ومشترك يعمل الأديب على تشكيله فنيا بعيدا عن التقريرية الصلفة، انظر جابر عصفور، **"عن البنيوية التوليدية"**، مجلة فصول، مجلد ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٨١، ص ٩١.

التي يغيب فيها العقل(٦)، وتضعف فيها سلطة الجماعة، وتضمر فيها الحكمة، ويعلو فيها صوت الذات، وقيم الانتقام والخديعة وحب التملك، والإبحار في عالم التخييل، واختراق المنطق الزمني لتحولات الأحداث.

٢- عناصر السرد الإشهاري في المقامة البشرية

تقوم المقامة البشرية كغيرها من المقامات على عناصر فنية تميز الخطاب السردي النثري مثل: الراوي والبطل والحدث والشخصيات والزمان والمكان والحوار غير إنها تعيد صياغة المضمون النثري في قالب شعري ينسجم مع الحالة الشعورية المعبر عنها من لدن الشاعر الراوية البطل "بشر بن عوانة"، كما تمت المزاوجة بين الوصف والسرد من جهة وبين السرد والحوار من جهة ثانية، فإذا كان السرد ملمحا مهيمنا يتسق مع حركية الحدث ونمو الموضوع، فإن الوصف لا يقل وظيفية عنه بخاصة في سياق الاستعراض اللغوي، وتقرير السياقات الثابتة، وتفسير الوقائع وتبرير الأحداث.

أما فعل الحوار فآلية لتخليق الصراع بين الأطراف، وأداة لغوية أساسية لتجلية الأطروحات المتعارضة في صلب العملية الحجاجية، ولو أخذنا جملة الأنساق السردية

---

(٦) تنزاح المقامة البشرية في مسألة السخرية والكدية عن سائر المقامات الخمسين الأخرى، فيغيب فيها أبو الفتح السكندري الذي يسخر من فئات وقيم اجتماعية متنوعة يعج بها مجتمع تلك المرحلة، فيتولد نسق جديد من السخرية المضمرة في الخطاب بخاصة في خطاب الزوجة لبشر فقولها له بأن مطلوبته قريبة من ناظريه، ولكنه غافل عنها لا يراها، .يضمر نوعا من السخرية والتهكم على عالم الصعلكة الذي صرفه عن تعرف الجمال الحقيقي، بل وفي ذلك تعريض بالجهل فالصعلوك إنسان جاهل لا يريد أن يعرف لخروجه عن الأعراف الاجتماعية التي تقدم المعرفة وحسن النظر في الأمور لأبناء المجتمع، وها هو بشر مرة أخرى يقع مهزوما بين يدي ذلك الفارس الشاب الذي أخبره بأنه ابنه فالكل يعلم، وهو لا يعلم فأي سخرية أفضع من هذه؟!

في مقامتنا فإننا سنعاين فيها تداخلا مع أنساق أخرى من طبيعة وصفية تفسيرية وحوارية حجاجية، تجـرد جملة من القيم الاجتماعية والإنسانية المختلفة، فـفي ضـوء الوظيفة الوصفية مثلا يرسم الراوي صورا متعددة لشخصيات تقوم بأدوار سردية مختلفة، مثل: صورة فاطمة، وصورة الزوجـة، وصورة الأسـد وصورة العادات والتقاليد والحالة النفسية وصـور البطولة، أمـا ما يقـوم من علاقة بين السـرد والوصف الذي تمارسه شخصيتا الراوي والزوجة "وبشر" فيحقق التوتر النصي الذي يهدف إلى إثارة المتلقي، وشد انتباهه لمعرفة المزيد، وهو بعد تطمح كل النصوص السردية إلى تحقيقه.

لقد قدم السرد منذ البدء في المقامة مواصفات للمكان الذي دارت فيه جل الوقائع إذ يمكن عده طريقا من طرق العرب في القديم على مقربة من مضارب القبيلة، يوضح ذلك الملفوظ الوصفي التالي: «...وغرض العم كان أن يسلك بشر الطريق بينه وبين خزاعة فيفترسه الأسد لأن العرب قد كانت تحامت عن ذلك الطريق»(٧)، والظاهر أن هناك مواءمة بين المكان (البيئة) والسياق اللغوي مما يعني عناية الراوية ومن ورائه كاتب المقامة بمقتضى الحال فإذا كانت البيئة جاهلية فإن من أخص خصائصها اللسانية بلاغة الكلام وفصاحته البادية على ألسنة المشاركين في بنية السرد.

ولعل النسق الجمالي الظاهر في شعر بشر بن عوانة "يؤكد صحة ما ذهب إليه، أما جماعة الساردين فنعاين منهم في المقامة البشرية رواة هم(٨): الراوي الحاضر والصريح

---

(٧) **المقامة البشرية**، ص٢٥٢.

(٨) انظر: سامي، سويدان، **في دلالية القصص وشعرية السرد**، دار الآداب، ١٩٩١، ص١٩٤.
وانظر أيضا:

zkan, comment narre-t-on-un ẖabar? Le narateur dans les recits de la literature d arabe ,in Synergies, moderne arabe, coordonne par ibrahim al- Balawi, Henda Dhaouadi et Antonella Ghersetti,Recherches francophones sur le recit arabe classique, numero 6, annee 2009, p265-266

ذكرا وهو عيس بن هشام، والراوي الذي تتم بسرده المقامة فهو بشر بن عوانة، ولعلنا نشير إلى علاقة التلازم القائمة بين هؤلاء الرواة من خلال وظيفة كل منهم فالأول ينجز خطابا مقاماتيا جماليا بليغا من خلال الراوي الحاضر والبطل (بشر)، والثاني يؤدي وظيفة الناص على بنية الاستهلال في المقامة التي تفتتح بقوله: "حدثنا عيس بن هشام قال"، بينما يتخذ الثالث دور الخاتم للنص السردي بقوله الحكيم:

تِلْـكِ العَـصَا مِـنَ هَـذِهِ العُـصَيَّةْ هَـلْ تَـلِـدُ الحيَّـةُ إلاَّ الحيَّـةْ

وعلى جانب آخر يمارس السرد خرقا مستمرا للبنية الواقعية للأحداث التي تبتغي المقامة البشرية تحقيقها لغايات اجتماعية وثقافية تضمر رؤية إيديولوجية للعالم المحيط بالمنجز النصي، وبسياق الكاتب، ومنطلقاته الأخلاقية والقيمية، فيتحول السرد في هذا الإطار الاستهوائي إلى غواية تقحم السامع والسارد معا في فضاء المقامة المعينة في سياق ارتباطها بمنظومة مقامات بديع الزمان الهمذاني(٩).

وربما كانت مقامات بديع الزمان، وبخاصة هذه المقامة أحسن أنموذج يعبر عن اندماج المسرود له في السرد النصي إلى درجة تغيير السلوك فقد انتقل بشر بن عوانة من طور الصعلكة الذي يمثل الغربة والتشتت والثورة على الأعراف والنظام إلى حالة الوعي بالذات الاجتماعية، واحترام سنة الانتماء للجماعة والمؤسسة(١٠).

---

(٩) حسن محمد النعمي، **"غواية السرد، قراءة في المقامة البغدادية للحريري"**، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ص١٠١.

(١٠) انظر: ماري لاهي هولبيك، **أنوثة شهرزاد، رؤيا ألف ليلة وليلة**، ترجمة عابر خزندار، القاهرة، ١٩٩٦، ص٣١. وانظر البعد السلوكي للسرد في ما ذكره كليطو، عبد الفتاح، **الغائب دراسة في مقامات الحريري**، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٧، ص٧٥.

كشف السرد المقاماتي عن الواقع المملوء بالتناقضات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بل يمكن القول بأن السرد المقاماتي كان وليد مرحلة تاريخية حاسمة مرت بها الحضارة العربية الإسلامية، عجت بالمتناقضات التي تلخصت في الصعيد الفكري من خلال جدلية الواقع والمتخيل.

إن ما أنجزه بشر بن عوانة في المقامة البشرية هو نفسه ما يفعله بطل سائر المقامات مع اختلافات في الأهداف المتحكمة في نسج السرد، فإذا كان أبو الفتح السكندري يبحث بالخدعة عن الكسب واللهو والمجون والفكاهة، فإن بشر عن طريق السرد يظلل المستمع قصد حصوله على غايته بطريقة الأبطال الملحميين، ومرة أخرى يقف موقف المدافع عن نفسه في مواجهة الأسد.

لقد احتمل بشر بن عوانة غواية السرد مواجها تحديات العم والقبيلة والأفعى والأسد[١١]، وكل المهالك ليقنع الآخرين ببطولته واستحقاقه، وفي مقدمتهم جميعا فاطمة بنت العم، والتي تختزل صورتها الانتماء الحتمي للنسق الجمعي، والفعل ذاته قامت به زوجته الأولى التي اختطفها من أهلها، وتزوجها فكادت له بالسرد للخلاص منه، والمقطع السردي الافتتاحي يجسد حكاية الخلاص، فهذه الزوجة الضحية تستدعي من القرابة الاجتماعية ما تقدمه حجة على ضعف انتباه "بشر" لمن هو أجمل منها من نساء القبيلة فتستطيع بعد وصف دقيق إيقاعه في حبائل الغواية، وتحريضه على طلب بيد ابنة عمه "فاطمة" وهي تعلم استحالة تلبية طلبه للتنافر بين منطق الصعلوك وقانون القبيلة.

---

(١١) انظر: النعمي، "**غواية السرد**"، ص١٢٨ بتصرف.

وربما جاز وسم هـذه الحـال التي أضحى عليها بشر بأنها وضعية الدهـشة والانبهار، ولعل هذه الوضعية بالذات هي التي كانت الدافـع والمحفز على خوض مغامرة "الوادي" الذي وصفته المقامة شعرا على لسان بعض العرب(١٢):

أَفْتِــكُ مِــنْ دَاذٍ وَمِــنْ شُــجَــاعْ إنْ يَـــكُ دَاذُ سَــيِّـــدَ السِّــبَــاعْ

فـإِنَّـــهَـــا سَـيِّـــدَةُ الأَفَـــاعَــي

نقل الخـبر الشعـري السالف المتلقي إلى فـضاء الخـرافة والتصويـر الأسطوري الذي تتشكل جماليته من تقابل الذكوري مع الأنثوي، إذ يمثل الأسد الذكورة بهيمنتها وشراستها، بينما ترمز الأفعى إلى القتل البطيء فلدغها قاتل وغـادر، وكذلك حبائل النساء(١٣).

هذا وتمثل المقامة البشرية حدثا دراميا تجلى من خـلال السـرد المتخيل الذي اخترق تشكلاته الوصفية والحوارية الخـطاب الشعري، متحولا إلى أداة تأثير جمالي، والظاهر أن اللغة الشعرية منسجمة مع سياق السرد إذ به تبتغي التأثير في المسرود له، وكـذا السامع أو المتلقي الخـارجي، وإذا كانت لغة المقامة في صورتها النثرية مفعمة بالبديع وزخارفه، فإنها في قالبها الشعري تكاد نخلو من السمة الصاخبة، وربما يمكننا الاكتفاء في هذا السياق بمطلع القصيدة الذي لخص فيه البطل الراوية تجربته السردية؛ منتقلا من موقع الراوية إلى موقع المشارك، كما سلف الذكر:

---

(١٢) الهمذاني، المقامات، **المقامة البشرية**، ص ٢٥٢.

(١٣) انظر: حفيظة روابنية، **"التجليات الموضوعاتية والرمزية للحية في نماذج من الشعر القديم"**، مجلة التواصل، مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر عدد٤ جوان سنة ١٩٩٩، ص ٨٠.

أَفَاطِمُ لَوْ شَهِدْتِ بِبَطْنِ خَبْتٍ وَقَدْ لاَقَى الِهَزْبُر أَخَاكِ بِشْراَ

إِذًا لَرَأَيْتِ لَيْثًا زَارَ لَيْثًا هِزَبْرًا أَغْلَبًا لاَقَى هِزَبْرَا

ومن أهم المشاهد السردية ما يمثل رحلة البحث عن المهر من خلال مغامرة بطولية ملحمية تعود بنا إلى فضاء الميثيولوجيا العربية التي تقوم على الحيوانات المفترسة التي تسكن الوديان، وتقطع الطريق على القابلة مكرسة مبدأ العزلة الاجتماعية في الحياة القديمة، كما يلخص هذا المشهد قيام السرد على خدعة وقع فيها البطل سببها تدبير عمه الذي قرر الخلاص منه بعد كثرة شكاوى أبناء القبيلة.

هذا وتقوم المقامة البشرية كغيرها من المقامات على عناصر فنية تميز الخطاب السردي النثري كالراوي والبطل والحدث والشخصيات والزمان والمكان والحوار غير أنها تعيد صياغة المضمون النثري في قالب شعري ينجز مع الحالة الشعورية المعبر عنها من لدن الشاعر الراوية والبطل "بشر بن عوانة"، كما أن مبدع المقامة زاوج بين الوصف والسرد، فإذا كان السرد ملهما مهيمنا، ومميزا يتسق مع حركية الحدث ونمو الموضوع، فإن الوصف لا يقل وظيفية عنه بخاصة في سياق الاستعراض اللغوي، وتقرير السياقات الثابتة، وتفسير الوقائع وتبرير الأحداث، فلو أخذنا جملة الأنساق السردية في مقامتنا فإننا سنعاين فيها تداخلا مع أنساق أخرى من طبيعة وصفية وتفسيرية، تجرد جملة من القيم الاجتماعية والإنسانية.

وفي ضوء الوظيفة الوصفية يرسم الراوي صورا متعددة منها؛ صورة فاطمة وصورة الزوجة وصورة الأسد، وصورة العادات والتقاليد وصورة البطولة. وبين السرد والوصف الذي تمارسه شخصيتا الراوي والزوجة وبشر يتحقق التوتر النصي الذي يهدف إلى إثارة المروي له بمختلف أوضاعه.

كما تبرز المقامة مواءمة بين المكـان (البيئة) والسياق اللغـوي (مراعاة مقتضى الحـال) فإذا كانت البيئة جاهلية فإن من أخـص خصائصها اللسانية بلاغة الكلام وفصاحته البـادية على ألسنة المشاركين في بنية السرد، ولعل النسق الجمالي الظاهر في شعر بشر بن عوانة مثال يؤكد صحة ما ذهب إليه، وفي هذا السياق تتأكد أهمية سرد الحكاية المقاماتية في القالب الشعري.

وفي الوقت نفسه تشي المقامة الشعرية إلى امتداد نص خارج سياق المقامة، مما يجعل من خطاب المقامة نصا منفتحا على نصوص أخرى من خلال ظاهرة التناص؛ أما جماعة الساردين فنعاين منهم في المقامة البشرية رواة ثلاثة هم[١٤]: الراوي الكاتب بديع الزمان الهمذاني، وهو راو غائب، قام بديلا عنه الراوي الحاضر والصريح ذكرا وهو عيسى بن هشام، كما تمثّلَ فعل الرواية داخل النص كل من الزوجة في شقها النثري وبشر في شقها الشعري، وتقوم بين هذه الأطراف علاقة تلازم من خلال وظيفة كـل منهم فالأول ينجـز خطابا مقاماتيا جماليا من خـلال الـراوي الحـاضر والبطل (بشر)، أما الراوي الثاني فيؤدي وظيفة الناص في بنية الاستهلال من خلال الفعل حدّثنا.

٣- القيمة الإشهارية للسرد المقامي

على صعيد البعد الإشهاري تحاول هذه المقامة تقديم لوحة تراثية إشهارية بخاصة في خطابها المقدماتي، ولعلنا نجتهد من خلال هذه القراءة في إبراز الطاقة الإقناعية المصاحبة للفعل الإشهاري، والمحققة بتضافر وظائف الخطاب الأساسية في

(١٤) انظر: سامي سويدان، في **دلالية القصص وشعرية السرد**، ص١٩٤.

ضوء نموذج الوظائف اللغوية عند **رومان جاكبسون**[١٥]، ووفق هذا التصور يقوم الخطاب السردي بوصفه خطابا إشهاريا على أركان أساسة لعل أهمها ركن المرسِل المشْهِر، الذي مثلته الزوجة في بداية الخبر.

ويمكن القول بأنها امرأة عالمة بأخبار الرجال، ومكامن القوة والضعف فيهم، لذلك حاولت بكلماتها المعبرة ونظراتها وحركاتها الغاوية الوصول إلى قلب الرجل، واستمالة عواطفه، وإثارة غريزة حب التملك لديه، مروجة لبضاعة ثمينة ليست سلعة عينية بل هي فتاة جميلة تصلح لأن تكون زوجة مرتقبة لفارس شجاع هو بشر بن عوانة العبدي، ولقد حققت الزوجة بغوايتها السردية المتلبسة بالأداء الشعري، والتي تجلت في عبارات تثير الرغبة إسالة لعاب المتلقي الذي كان رده مناسبا لمقام الترغيب، مما يعني نجاح المشهر في استمالة المستهلك.

واللافت للنظر أن عرض المرغوب فبه لم يتشكل بالطلب المباشر بصيغة الأمر الصريح بل تلبس بالتعريض والتلميح ليتناسب في الحقيقة مع جنس المرأة التي تسعى إلى نيل مرادها برفق وتلطف، ولا يخفى على المتلقي ما لهذا الأسلوب من أثر نفسي[١٦].

إن المرسل فـي المقامة فاعل أساس لأنه المسؤول عـن رسم خـطة التأثير، ثم توجيهها الوجهة الإقناعية المناسبة مستدرجا المتلقي إلى الهدف المتمثل في اقتناء المرغوب،

---

(١٥) انظر: فاطمة الطبال بركة، **النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، دراسة ونصوص**، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، سنة ١٩٩٣، ص ٢٢، وانظر محمد الهادي الجطلاوي، **مدخل إلى الأسلوبية، تنظيرا وتطبيقا**، منشورات عيون المقالات، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، سنة١٩٩٢، ص١٨، وانظر أيضا:

Dubois, **Dictionnaire de linguistique**, Larousse, Paris, p 218-219.

(١٦) انظر: الجطلاوي، **مدخل إلى الأسلوبية، تنظيرا وتطبيقا**، ص ٩٤.

ويقوم بوظيفة المرسل أكثر من شخص فبالإضافة إلى الزوجة يمكن الإشارة إلى مرسلين آخرين يتحكمان في صناعة الحدث السردي ببعديه الإشهاري والإقناعي هما: العم الذي اشترط مهرا عينيا بخصوصيات قيمية محددة، والراوي أيضا. أما المرسل إليه أو المستهلك فيتمثل في بشر إذ تحـول إلى هـدف أو زبون بالاصطلاح الحديث في مجال الإشهار والإعلانات التجارية.

فقد سعى بكل طاقته للحصول على موضوع القيمة (السلعة) ابنة العم التي أضحت في فكره وخياله غاية تهون في سبيلها كل التضحيات، لذا توجهت الزوجة بخطابها الإشهاري تزين ابنة العم في خياله، ممتدحة إياها بشتى الصفات الحميدة الخلقية بخاصة لما لهذا من تأثير بالغ في إثارة الرغبة، وبالرغم من علمها المسبق برفض العم لمثل هذا الطلب إلا أنها راحت تؤكد لبشر أحقيته بابنة عمه.

لقد استغلت الزوجة إعجاب بشر بجمالها الجسدي الذي عبر عنه بقوله: ما رأيت كاليـوم فراحت تعبر عنه شعرا مندغما في تصوير سردي مراوغ غايته الإغواء والمخادعة مما يعبر عن رفض المرأة المأسورة لواقعها الجديد، فهي رافضة لعالم الصعلكة الذي أقحمت فيه قهرا، ولعـل هـذا ما يبرر اختلاقها لحيلة الإغـواء الجسدي الذي عبرت عنه في الصورة التالية:

أعـجَـبَ بشـرًا حـورٌ فـي عيـنـي   وسـاعـدٌ أبـيـضُ كـاللجـينِ

ودونـه مسـرحُ طـرفِ العـينِ   خمصـانةٌ تـرفـلُ فـي حِـجْلَيْنِ

أحسـنُ مـنْ يمشيِ عـلى رجلـين   لـوْ ضَـمَّ بشـرٌ بـينها وبـينيِ

أدامَ هـجـري وأطـالَ بـيـني   ولـو يـقـيسُ زَيْـنَهَا بـزَيْـنِي

لأسـفَرَ الصُّـبْحُ لـذي عَـيْنَيْنِ

إن هذه الصورة الدعائية لامرأة جميلة قريبة من العين، غائبةٍ عن الفكر تعبر عن ثقافة جسدية راسخة في المخيال القديم تعطي للجمال بعدا ماديا صرفا يركز على ظاهر الجسد ثم يتعانق مع فكر القداسة مثل العيون ورشاقة القامة والبياض، وقد عبر عن هذه القيمة بالذات في قول بشر الصعلوك:

فالآن إذ لوحت بالتعريض … خلوت جوا فاصْفِري وبِيضي
لا ضُمَّ جَفْنَايَ على تَغْمِيضِ … مَا لمْ أَشِلْ عَرْضِي مِنَ الحَضِيضِ

والواضح أن نوعا من العقد الاجتماعي تم بين الطرفين في ظاهر الكلام مقابل منافع مادية معينة، يقول العم مجيبا طلب بشر: «إني آليت أن لا أزوج ابنتي هذه إلا ممن يسوق إليها ألف ناقة مهرا، ولا أرضاها إلا من نوق خزاعة»(١٧).

لقد تحققت الوظيفة الإفهامية في أكثر من مستوى تواصلي؛ بين الزوجة وبشر، وبين بشر وعمه، والقاسم المشترك بين الخطابين المنجزين أن الطرف الأول سعى سعيا حثيثا إلى إفهام الثاني ما يجب فهمه، ومحاولة استمالته بشتى الوسائل، وإثارة عواطفه، ودغدغة أحاسيسه ليقبل على الغاية بقناعة تامة فقد استعمل بشر - مثلا - وسيلة الترهيب والاعتداء على فتيات القبيلة لحمل الطرف الثاني على إجابة مطلبه. لقد أنجز الخطاب المقامي في سياق تاريخي واجتماعي ونفسي دال على خصوصيات حضارية تتعلق بهوية المجتمع العربي القبلي الذي أحالت عليه المقامة بوصفها نمطا سرديا نما وتطور في العصر العباسي ليشي بدوره بمنظومة القيم الحضارية والأدبية لذلك العصر.

---

(١٧) المقامة البشرية، ص ٢٥٢، يحيل شرط خزاعة إلى ما يعرف **بالخطاب التعجيزي**، فمسارات بشر كلها صعاب ومتاعب فإن أفلت من الأسد والحية فهو غير قادر على اجتياز حمى قبيلة خزاعة، وما أدراك ما خزاعة!!!

انفتحت المقامة على فضاء سردي اتخذ من موضوعة الصعلكة منطلقا له ليبحر في عالم الحيل بأسلوب مخالف لما درجت عليه بنية الحيلة في نصوص مقاماتية أخرى لبديع الزمان الهمذاني. قال الراوي: «كان بشر بن عوانة العبدي صعلوكا فأغار على ركب فيهم امرأة جميلة فتزوجها».

لقد تميز هذا العصر بهيمنة السلطة الذكورية، وصوت القبيلة، وترسخ قيم الشجاعة والتضحية والشرف بالإضافة إلى قيم سلبية كالاعتداء على الضعفاء، وشهوة السيطرة على المرأة، والنظر إليها على أنها سلعة ومتاع، فالمرأة في هذه البيئة لا تحقق وجودها إلا من خلال مرآة الرجل لا هوية مستقلة لها من حيث هي كائن بشري، لقد كانت دائما في المخيلة الجاهلية والواقع الناتج مكمن الخطر وسببه فهي جلابة للعار، سلابة للشرف، وهي بالإضافة إلى ذلك مصدر المتعة، ومطمح الفرسان الأشداء، فهي الزوجة المرأة المخطوفة والأسيرة، وهي أيضا ابنة العم المتعة والرغبة والرجاء.

إن المرأة الهدف في هذا الخطاب المؤطر بمقام حالي معلوم الأبعاد والقيم جسد صامت لا يتكلم إلا بلغة الإغراء والمناورة، والحيلة فيمثل في هذا التصور مقام الخطاب (situation de discourse).

تمثل المقامة البشرية نسيجا مترابطا من الملفوظات والقضايا والأفعال عرض بناء على إستراتيجية خطابية معينة قائمة على الإمتاع والإقناع والإشهار والسرد في الآن نفسه، ولعل هذا التداخل المقطعي هو الذي حدد تميزه الجمالي (fonction poetique)، وكفاءته التبليغية (competence communicative)، ولنا أن نقف عند تلك الأبيات التي اتخذتها الزوجة المتآمرة مطية لها لغواية بشر وفتنته لنتبين طاقتها الإيحائية والتأثيرية على المتلقي، إذ نفذت تلك الاستعارات إلى وجدان المستهلك (بشر) فأسقطته صريع الإعجاب بجمال ابنة العم.

وأمارة ذلك قراره بطلبها من العم فورا وبلا مهلة!! لقد كان حضور المرأة في هذا الخـطاب الإشهاري مذكيا لنار الفتنة، ومفتقا للمكبوت، وهو حضور نجد له سيطرة مطلقة في عالم الإشهار اليوم. وتتعدد وسائط التواصل في الخطاب الإشهاري من سمعية شفوية إلى سمعية بصرية، فقد يتوسل الخطاب بالكتابة ليحقق وظيفة تأثيرية في المتلقي، وإذا نظرنا إلى هذه المقامة وجدناها تتأسس على نظام ترميزي شفوي بالدرجة الأولى يتخذ من القول المباشر أداة تعبيرية شعرا تارة ونثرا تارة أخرى على أنه متلبس في بعده التصويري بنوع من المديح والثناء ألقته المرأة على ابنة العم بأسلوب العالم بالحال والشاهد عليه جعل المتلقي في فضاء تخييلي يجسد الموصوف بشحمه ولحمه(١٨).

هذا و يقوم وضع الخطاب على نظام لغوي مخصوص صوتيا وتركيبيا ومعجميا متفق عليه بين المرسل والمرسل إليه ضمانا لفاعلية التواصل، وتوفيقه من حيث هو عمل لغوي (Act de Language) هدفه إقناع بشر بضرورة الوصول إلى الهدف، ومما يميز الخطاب بين الأطراف المشاركة غلبة الحـوار، وتدفق صيغه بين الزوجة وبشر والعم والفارس الابن، وهنا تبرز وظيفة اللغة الشارحة أو الواصفة ممثلة في بعض التراكيب السردية في بنية الاستهلال والخـاتمة وفي القصيدة التي تتماهى مقاطعها الوصفية مع الحدث السردي العام.

كما تتجلى اللغة الشارحة في هوامش النص المعين بيد المحقق الذي أجلى لنا المشكلات المعجمية المتصلة بصعوبة بعض الألفاظ وغرابة سياقاتها اللغوية.

---

(١٨) يمكن القول بأن أغلب المقدمات المدحية، وحتى الرثائية قائمة على الدعاية والإشهار.

٤ – المقامة البشرية خطابا حجاجيا

تمثل المقامة البشرية أنموذجا نصيا للخطاب الحجاجي[١٩] الذي تمارسه المقامات بعامة ومقامات الهمذاني بخاصة على المتلقي، فتعدل من رأيه وسلوكه ورؤيته للعالم على نحو يقلب بعض القيم المتعارف عليها، فيسميها بغير أسمائها، فهي نص مؤدلج باستحقاق[٢٠]، إذ تنخرط في سياق الدفاع عن التطفل والحيلة ومخادعة الآخرين، مبررة لفلسفة مكيافلية تكون الوسيلة مبررة بالغاية، ويمكن القول إزاء هذا الموقف أن مبدع المقامات عمد إلى تنويع أجناس القول، والمزج بين القالبين النثري والشعري تدعيما للحجج اللغوية، وتقنيات التبليغ المتبناة، ولعله تبنى بشكل رئيس فعلا رئيسا لتحقيق مآربه الحجاجية والجمالية، ذلكم هو حدث الكلام، إذ هيمن على نص المقامة الحوار الشعري والسجال والقول التعبيري، وكلها أفعال كلامية[٢١]، وظهرت أنساق متعددة مثل: المساءلة والمناظرة أحيانا والوصية والرسالة في النص المقامي مندمجة في بنية نصية واحدة[٢٢].

---

(١٩) عن تمايز الخطاب الحجاجي عن غيره من سردي ووصفي يمكن العودة إلى Daniel Costeroste, Rene Nallet, les types des texts, Nathan, Paris.1993, كما ينظر علي الشبعان، **الحجاج بين المنوال والمثال، نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري**، ص ١٥ وما بعدها.

(٢٠) انظر: علي عبد الرؤوف اليمي، **المقامات وباكورة تخصص الشطار الأسبانية**، كتاب الرياض، عدد ٤٨ديسمبر ١٩٩٧، ص١٥.

(٢١) انظر: محمد القاضي، **"جمالية النص السردي، رسالة الغفران للمعري نموذجا"**، ضمن أعمال ملتقى غازي، في أنماط النصوص، الأبنية السردية والتأويل، اللجنة الثقافية، سراس للنشر، تونس، ٢٠٠١، ص١١٩.

(٢٢) انظر: صالح بن رمضان، **"الحجاج في كتاب البخلاء"**، ضمن أعمال ملتقى غازي، في أنماط النصوص، الأبنية السردية والتأويل، اللجنة الثقافية، سراس للنشر، تونس، ٢٠٠١، ص٧٧.

شاركت المقامة البشرية بوصفها خطابا دفاعيا يحاجج عن فلسفة حياتية تمجد قيما ثقافية وحضارية معينة، مع مقامات أخرى في تعبيرها عن الصراع بين موقفين متناقضين، أحدهما تمثله الخديعة التي أضحت معادلا موضوعيا للانتقام للذات الجريحة، وثانيهما قيمة الشجاعة بما ترتبط به من معاني الإسماح والإخلاص والعفو، والتي حاول الخطاب السردي تصويرها بصورة تترك انطباعا بأنها أمثلة للغرور والنزوة الجامحة والطيش والغباء في أحيان كثيرة.

ولعلنا نزعم تحول المقامة البشرية بوصفها جنسا أدبيا سرديا علا كعبه في العصر العباسي إلى وثيقة مكتوبة تشهد على لغة العصر وثقافته ومنطقه وقيمه الحضارية السائدة، وأساليب الدفاع عنها[٢٣] متلبسة بالصورة الماضوية من خلال نموذج البطل الجاهلي والقيم التي يسعى إلى تحقيقها، مع تأكيد حبل الوصال بين اللحظة الراهنة الشاهدة واللحظة الموصوفة الغائبة، فما أشبه الحيلة العباسية بالحيلة الجاهلية غير أن الزمان استدار على غير هيئته!

---

(٢٣) يشكل الدفاع أهم عنصر يتأسس عليه الفعل الحجاجي في النصوص والخطابات، وهو أكثر ظهورا في نصوص الجدل والمرافعات القضائية التي جعلها أرسطو قسما ثالثا في تصنيفه للأقوال الخطابية فهناك الخطابة الاستشارية والخطابة التثبيتية والخطابة القضائية، وفي هذا النوع نجد الاتهامات وردودها الدفاعية، ولعلنا نتلمس هذه الاتهامات في أكثر من سياق نصي ضمن المقامة البشرية، ويضطلع الخطاب المنافح الذي ينجزه بشر بن عوانة بمهمة الرد على الاتهامات بخاصة في النص الشعري الذي يلخص الحكاية النثرية، ينظر توسعا في موضوع أنواع الخطابة الأرسطية وأشكالها وأدواتها، أرسطو، **الخطابة**، تعريب إبراهيم سلامة، مكتبة الأنجلو مصرية، ط١، سنة ١٩٥٠، ص ١١٢-١١٣. وانظر تفصيلا العزاوي، أبو بكر، **اللغة والحجاج**، د ط، مؤسسة الرحاب الحديثة، سنة ٢٠٠٩، ص١٩ - ٢٠.

أما على صعيد تشكيل الحجج التي يقوم عليها فعل التحاجج في المقامة فيمكن القول بأن سياسة تشكيل الحجج متنوعة فتشكيل الحجة العامة يقوم على إسناد الفعل للمعلوم قصد وسم الحجج بالسمة العامة المشتركة التي لا يختلف حولها اثنان إلى أن تضحي الحجة في ذاتها قيمة إنسانية(٢٤)، وأمثلتها في المقامة كثيرة فجل الأفعال التي وردت في سياق السرد أو الوصف بغرض الإقناع جاءت مبنية للمعلوم، وأما الحجة الكمية التي يقصد بها الاعتماد على العدد في إثبات الدعوى، وتأكيد الفكرة، فحاضرة أيضا في محاورة الزوجة لبشر بقولها له في سياق إعلان رغبته في الزواج من ابنة عمه:

كَـــمْ خَـــاطَبٍ فـــي أَمْـــرِهَا أَلَحَّـا وَهــــي إليــكَ ابـــنةُ عـــمٍّ لَحَـــاًّ

ومن أمثلتها أيضا قراره بأن لا يرحم أحدا من أفراد قبيلته أو ينزلوا عند رغبته في الزواج من ابنة عمه(٢٥)، إذ نتلمس دلالة الجمع في عموم الاعتراض عليهم جميعا. وعلى صعيد تشكيل الحجة التعليمية يمكن القول إن المقامة البشرية بوصفها نموذجا لغويا من المقامات بعامة تتسلط فيها، وعبرها اللغة السردية التي تحتل منزلة مهمة فهي الأداة والغاية في الوقت ذاته، فالأحداث المروية قليلة إذا قيست بالأقوال الوصفية والإخبارية التي تشكل الفعل المركزي وهو فعل الكلام – كما ذكر سلفا – وفي هذا السياق يمكن الزعم أن المقامة تعلم الناس كيف يصفون بغاية التأثير، فينتقون الألفاظ البسيطة والمعاني الواضحة والصور المألوفة والتراكيب الوجيزة، مازجين بين الوصف والسرد أحيانا وبين الحوار والطلب أحيانا أخرى، فإن أعوزهم النثر في التبليغ مالوا عنه إلى الشعر، فإن اختاروا الشعر كانوا إلى البحور البسيطة أقرب مثل الرجز، وهو تماما المسلك الذي سلكه بديع الزمان الهمذاني لعرض رؤيته للحياة، ومواقف الناس من القيم السائدة.

---

(٢٤) انظر: صالح بن رمضان ، "**الحجاج في كتاب البخلاء**"، ص ٨١.

(٢٥) **المقامة البشرية**، ص ٢٥١.

ثم إن ظهور بعض المحسنات البديعية على سبيل المثال يضمر بعدا تعليميا يهدف إلى تنمية مهارات ابن اللغة بتمييزه بين معاني بعض الكلمات المتشابهة مثل (الحِصان- الحَصان) وشرح بعض الكلمات الغريبة والصعبة مثل: سلح- قمص - قطّ- اخترط...إلخ. وتصوير بعض الأحوال بالاستعارة والكناية، والتشبيه مثل: لو أردت لأطعمتك أنياب الرمح - ملء فمه فخرا - أمرد كشق القمر - ملكته سورة الحية - إلى غير ذلك من التراكيب المجازية التي تعج بها القصيدة بخاصة، كما تقوم بعض المغالطات الحجاجية في هذه المقامة على الاحتجاج بالقوة فيسعى القائل إلى حمل الثاني على تنفيذ طلب أو أمر قوة وغصبا إذ العبرة لدى المحاجِج أن يرى الفعل متجسدا.

وفي هذا السياق يمكن عدّ مصارعة الشاب لبشر وتغلبه عليه في كل مرة تأكيد وحجاج بالقوة على فشله في تحقيقه لأهدافه التي رام الوصول إليها فبعد تغلبه على الأسد والأفعى ها هو يقف منهزما أمام الفارس الشاب، يقول الراوي: «... وكر كل واحد منهما على صاحبه، فلم يتمكن بشر منه، وأمكن الغلامَ عشرون طعنة في كلية بشر كلما مسّه شبا السّنان حماه عن بدنه إبقاء عليه»[٢٦]، فهذا الوصف لكيفية مبارزة الشاب بيان وحجة لبشر بأن خصمه قادر على النيل منه، وها هو يتركه مبقيا على حياته مرة بعد مرة قصد تيئيسه من جهة، وتكريسا لقيمة الخدعة في المقامة من جهة ثانية.كما يقوم الوصف باعتباره أسلوبا ونوعا نصيا في الآن نفسه بالإعداد للفعل الحجاجي (Act d argumentation) وتهيئة الأرضية التي يقوم عليها.

ولعل من المهم في هذا المقام أن يشار إلى أن الوصف من حيث هو فعل تعبيري يقوم على ذكر أحوال الشيء وهيئته، فيخبر بها مباشرة أو إضمارا قصد تعرية الموصوف، وإظهاره لمن أبرز تقنيات التشكيل النصي بعامة، سواء كان مقصودا لذاته

---

(٢٦) انظر: المقامة البشرية، ص٢٥٧.

فيما يعرف بغرض الوصف الذي تتداوله القصائد الشعرية والمقالات الاستعراضية أو كان شكلا تتحقق عبره أغراض أخرى مثل المحاججة والسرد والطلب وغيرها، فيعمد الواصف إلى عرض تفاصيل الذات وأحوالها وتقلباتها في الزمان والمكان كاشفا بوساطة التمثيل الحسي والمعنوي عن حركتها وسكونها في سياق الأحداث الواقعية.

ولعل ما نركز عليه في هذا السياق التحليلي تحول الوصف إلى آلية ضمن آليات أخرى يبني بها النص المقامي خطته الحجاجية، وبمعنى أبسط، كيف يتحول الوصف إلى أداة طيعة تستهوي السامع، وتؤثر في لبه وجنانه لينصرف عن حال إلى أخرى، ولنا أن نقف عند لوحات وصفية متعددة صيغ بعضا شعرا وورد الآخر نثرا في صلب الحكاية المسرودة منها:

المقطع الوصفي الذي افتتحت به المقامة على لسان المرأة المأسورة التي لم تكن تقصد في الحقيقة التقليل من جمالها أمام الرفع من شأن ابنة العم الموصوفة بأبين مظاهر الجمال الفتان بل كانت تقصد الإيقاع بآسرها (بشر الصعلوك)، مزينة له الهلاك في صورة الرغبة التي سيسعى عبثا إلى الوصول إليها، فدونه ودونها صعاب ومخاطر قد تكون حياته ثمنا لها. وتتجلى أهمية الوصف من الناحية الفنية في المقامة أنه غدا أسلوبا يرسم لوحات إشهارية وأخرى دعائية لموضوع القيمة (ابنة العم) تم زرعها في حقلي السرد والحجاج، ومن أبرز المشاهد الوصفية التي لونت السرد مشهد المبارزة بين بشر والأسد في القالب الشعري التالي:

إذا لرأيت ليثا زار ليثا ... هزبرا أغلبا لاقى هزبرا
تبهنس ثم أحجم عنه مهري ... محاذرة فقلت عقرت مهرا
أنل قدمي ظهر الأرض إني ... رأيت الأرض أثبت منك ظهرا
وقلت له وقد أبدى نصالا ... محددة ووجها مكفهرا
يكفكف غيلة إحدى يديه ... ويبسط للوثوب علي أخرى

يصور المشهد حركة الخصمين، من خلال رصد حركة الفرس في فزعها من إقبال الأسد الهائج الذي يستعد بمخالبه للانقضاض على الفريسة، لكن بالرغم من هذا الموقف الصعب يقرر البطل المضي قدما في سبيل الحصول على معجبته ابنة عمه فاطمة، وكان أولى به حفظا لروحه أن ينسحب، غير إن قيمة المحبوبة غلبت، لقد نفذ البطل ومن ورائه الراوية الشاعر مبدع المقامة إلى إحداث تراكب تمثيلي بين شخصية البطل وبين الأسد من خلال تصوير معركة بينهما تترك انطباعا لدى المتلقي مفاده أن الذات الناطقة بحالها مرهبة، شديدة البأس، حازمة ذات عزم لا تكسره الصعاب(٢٧).

إن وصف المعركة شعريا بين بشر الصعلوك والأسد، ثم بين بشر والأفعى العظيمة لهو من قبيل حروب الوصف لا وصف الحروب الحقيقية، وأثرها النفسي على المتلقي أشبه بأثر طبول الحرب وتعاويذ النصر على حد تعبير أحد الدارسين المعاصرين(٢٨). كما يتبوأ الحوار مكانة مهمة في بناء المقامة في صورتها الحجاجية فبه يتم عرض الأطروحة ونقيضتها قولا نثرا و شعرا، ومن خلاله يحدث الشرح والتفسير، وإبراز المواقف والغايات، لذلك عد بعض الدارسين الحوار الأداة الأساس التي يتخذها النص ليشق عباب الفكرة، فيفتتها، ويشف بها عن الأحداث المتعاقبة(٢٩).

استهل **بديع الزمان الهمذاني** المقامة البشرية بمقدمة سردية يروي فيها خبرا حدّث به عيسى بن هشام عن صعلوك علا صوته بين مجتمع الصعاليك: «كان **بشر بن**

---

(٢٧) انظر: مبروك المناعي، "**الوصف في شعر المتنبي**"، ضمن أعمال ملتقى غازي، في أنماط النصوص، الأبنية السردية والتأويل، اللجنة الثقافية، سراس للنشر، تونس، ٢٠٠١، ص ٤٣ بتصرف.

(٢٨) المرجع نفسه، ص ٤٤.

(٢٩) انظر :كمال عمران، "**إشكالية الحوار في السد**"، ضمن أعمال ملتقى غازي، ص ١٩٣.

عوانة العبدي صعلوكا، فأغار على ركب فيهم امرأة جميلة، فتزوج بها، وقال: ما رأيت كاليوم»، وقد أسهم هذا الخبر في توطيد علاقة الاتصال بين الراوي والسامع، وعلى علاقة تشويقية تطمح إلى إثارة واستهواء السامع ليعرف المزيد عن خبر عجيب وقديم يتصل بظاهرة اجتماعية قديمة تعبر عن بعض القيم السلبية كالإغارة والفتك واستباحة أعراض الآخرين.

وعد ذلك منطقا طبيعيا للواقع الاجتماعي بكل ملابساته، واللافت للنظر أن الراوي على لسان الضحية (الزوجة الأولى) سعى إلى حشد جملة من الأدلة القائمة على الوصف الجسدي لإثارة المتلقي في سياقين متعارضين أحدهما يقلل من شأن ما حصله من ضحيته بقول بشر: ما رأيت كاليوم إظهارا لإعجابه الشديد بجمال المسْبية، وثانيهما توجيه بأن الاختيار الأصوب لم ينل بعد، وعلامة ذلك أن في النساء من هي أجمل بكثير من الزوجة التي يبدو أنها أضمرت لخصمها الانتقام من سوء ما لحق بها وبأهلها من إكراه وإذلال، فطفقت تسرد عليه بالشعر أوصاف ابنة العم فهي لو قاس زينها بزين تلك لأدام الهجر وأطال البين[٣٠].

ولعل هذا الهدف هو الذي برّر لهيمنة الوصف في استهلال المقامة:

أعجبَ بشرًا حورٌ في عَيْني وَساعِدٌ أَبْيَضُ كَاللُّجَيْنِ

ودُونُه مَسْرَحُ طرفِ العينِ خمصَانَةٌ ترفُلُ في حِجْلِين

أحسنُ منْ يَمْشِي على رِجلينِ لوْ ضَمَّ بشرٌ بينَهَا وبينِي

أدامَ هَجْري وَأطالَ بيني وَلَوْ يقيسُ زَيْنَها بِزَيْنِي

لأسفَرَ الصُّبْحُ لذي عَيْنَيْنِ

---

(٣٠) **المقامة البشرية**، ص ٢٥٠.

ولا يخفى على القارئ أن هذا المقطع الوصفي يحمل دعوى قضيتها الجمال الفاتن لابنة العم الذي يسفر للمبصر كما يظهر له نور الصباح، أما دعائم ذلك فأوصاف خلقية منها الحَوَرُ وبياض السّاعد وضمور الكشح، وتيه المشية، ومما يثير المستمع أيضا أن هذه الأوصاف قريبة من الناظر الذي غفل عنها، وليته يفعل فإن ذلك سيغير كثيرا من الحقائق.

ويمكن أن نلاحظ ابتداء تشكل الأبنية الحجاجية في نص المقامة البشرية من المقدمات ثم الدعوى ثم التبرير ثم التدعيم، ولعل ذلك راجع إلى انشغال المحاجج في المقامة بالجانب المنطقي الاستدلالي الذي لا يحقق في نظره غاية التأثير والاستمالة إلا بحشد جميع الأركان[٣١].

كما إنه يمكن الزعم بتشكل الدعوى الرئيسة لنص المقامة البشرية عبر تداخل دعاوى فرعية يعبر عنها في مقاطع النص، ولعلها تمثل هنا قيمة الحيلة والخدعة أداة للوصول إلى الغاية المنشودة، أو لنقل: الغاية تبرر الوسيلة باعتبارها نتيجة يقوم عليها التحاجج بين الأطراف المتحاورة (الزوجة، ابنة العم، بشر بن عوانة)، وقد عُبِّر صراحة عن هذه الدعوى في بداية النص السردي، ثم بدت ضامرة في باقي أجزاء النص، وقد عمدت المقامة على لسان أبطالها إلى حشد الأدلة المنطقية والشواهد[٣٢]

---

(٣١) المرجع نفسه، ص ٥١.

(٣٢) يذكر **محمد العبد** في دراسته للنص الحجاجي العربي عناية القدماء مثل ابن وهب الكاتب بالمثل بوصفه دعامة أساسية في التحاجج، فينقل عليه قوله: «**وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها، والمقدمات مضمومة إلى نتائجها**»، ويقول في سياق آخر: «المثل مقرون بالحجة»، انظر **ابن وهب الكاتب** (أبو الحسين اسحاق بن إبراهيم بن سليمان)، **البرهان في وجوه البيان**، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبوعات جامعة بغداد، سنة ١٩٦٧، ص ١٦ و١٤٦.

الواقعية القائمة على وصف الوقائع وتقرير الأحداث، وإعطاء التفاصيل المتصلة بالشخصيات والزمان والمكان والأمثال الشعرية بخاصة في قسمها الأخير لتدعيم صحة الدعوى الرئيسة، لقد عمد بشر بن عوانة في سياق الفخر ببطولته، وحكاية مآثره في وصيته إلى ابنة عمه التي تمثل – كما مر بنا – موضوع القيمة إلى تدعيم تفاخره باستحضار ما يمكن عده دليلا تاريخيا يكرسه التذكير بمآثره البطولية السالفة، وانتصاراته المتتالية على خصومه، فالقيمة التاريخية لبطولاته مادة تيسر عليه استمالة ابنة عمه فتزداد ثقتها في شجاعته وقدرته على التغلب على شتى الصعاب.

أما تدعيم الدعوى بدليل القيمة فقد برز بجلاء في أكثر من موضع، ولعل أبرزها تصريح بديع الزمان بنية الزوجة المختطفة التي أضمرت الشر لخاطفها والنيل منه لسبيه لها، وإلحاق العار بأهلها، فالقيمة هنا الثأر من المعتدي ولو بعد حين، وهي وسيلة الناص في تدعيم تبرير دعوى الغاية تبرر الوسيلة، والحيلة تغلب القوة، هذه القيمة الأخيرة تحرز نوعا من الاتفاق الشامل بين قطاع عريض من أصحاب التجربة قديما وحديثا، وهي هنا بالاصطلاح الحديث مثال للقيمة الغاية التي تعدل في تصورات وسلوك الأفراد في مواجهتهم للصعاب والعقبات الاجتماعية والنفسية[٣٣].

أما الحجاج بالمصداقية الشخصية والذي يمثل ضربا من الاحتجاج على الخصم أمام المستمع بالسلطة، فقد نتلمس وجوده المضمر بصورة عكسية فعوض أن يحتج الناص نفسه بأفعاله على صحة سلوك أبطاله ومواقفهم، يقف النص ببنيته ومفرداته وأساليبه دعامة قوية تحاجج عن براعة كاتب المقامة وعلو باعه في القولين النثري والشعري، في سياق ردّ مبطن على جمهور الشعراء، لسان حاله إن علمنا بمنازل

---

(٣٣) انظر: محمد العبد، **النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع**، ص ٥٤.

القول الفصيح والبليغ في النثر لا يقل عن علمنا بمنازله في الشعر، وبأي الوسيلتين أردتم كان برهاننا ا!!

٥- بنية الشخصية ووظائفها الحجاجية

تكشف المقامة البشرية عن شخصية ثابتة هي شخصية بشر بن عوانة العبدي الذي يمثل في الحقيقة القابل الذي يتعرض لكل المواقف في سياق الأحداث التي تصطنعها سائر الشخصيات الثانوية التي يؤتى بها للترويج إلى فكرة أو موقف أو رؤية معينة تنبئ عن قيم أخلاقية أو اجتماعية.

وربما إيديولوجية أيضا فالزوجة الأسيرة وابنة العم فاطمة والأسد والعم وأبناء القبيلة والأفعى والشاب القوي شخصيات ثانوية ما تلبث أن تختفي من فعل الحكي ومسرح المقامة بمجرد أدائها لأدوارها، ولعلّهما دوران مركزيان أولهما يعبر عن حقيقة الانفصال بين الذات والواقع برؤية مغايرة للقيم والحياة وثانيهما اتصال بين الذات ورغباتها، ولقائها لما لم يكن منتظرا[٣٤].

مما يعنى بناء الخطاب السردي في هذه المقامة على برنامجين أحدهما يستقطب شخصية **بشر بن عوانة** الشخصية الباحثة عن ذاتها عبر فعل المغامرة، قصد الوصول إلى ابنة العم موضوع القيمة، ولعل عبارات السؤال بالاستفهام والاستفهام التعجبي وأفعال القول أدلة على الرغبة في المعرفة، بل الرغبة في العودة إلى الأصل الضائع الذي تمثله المؤسسة الاجتماعية في غيبة الابن الضال عنها.

أما المساعدون على تحقيق رغبة بشر فهم قلة في ظاهر المقامة، فقد نتصور الخصم مساعدا، فيكون الأسد والأفعى والعم طرفا يساعد بشكل غير مباشر الشخصية

---

(٣٤) المرجع نفسه، ص ١٢١.

المحورية على انجاز ما تصبو إلى تحقيقه من بلوغ الغاية المنشودة (الزواج من ابنة العم)، «قال عمه: إني عرّضتك طمعا في أمر قد ثنى الله عناني عنه، فارجع لأزوجك ابنتي»(٣٥).

أما المعارضون فهم أبناء القبيلة وأعرافها والزوجة الأسيرة التي تلبست الخديعة والمكر للإيقاع بالشخصية المحورية. أما البرنامج الفرعي فيتشكل عبر رغبة بشر الصعلوك في الحصول على مهر ابنة عمه الزوجة المرتقبة إلا أن الأسد والأفعى حالا دون ذلك دون جدوى، وها هو يعترض طريقه "غلام على قيد" في غاية الجمال فوجهه كشق القمر في وضوحه وبريقه، بارزه فتمكن منه، وحمله على تسليم عمه، والنزول عند شروطه، وتدل العبارة الخاتمة التي أسدل بها الستار على حكاية الحيلة في هذه المقامة على انتصار منطق الجماعة بثقافتها وتقاليدها على نزوات الفرد ورغباته فها هو بشر يقرر حالفا أن لا يركب حصانا، ولا يتزوج حصانا، ثم زوج ابنة عمه لعمه، علما أن منطق الصعلكة ظل كاشفا عن سلطته باستمرارية فعل الأب في ابنه فلا يلد الصعلوك إلا صعلوكا.

لقد أعلن بشر اندماجه في منظومة القبيلة ليصبح طرفا فعالا فيها يحرص على عرضها، وعلى تمتين علاقاتها الاجتماعية فيزوج ابنة عمه لابنه، «فقال بشر:

تِلْكَ العَصَا مِنَ هذهِ العُصَيّة هَلْ تَلِدُ الحيَّةُ إلاّ الحيَّةْ

وحلف لا ركب حصانا، ولا تزوج حصانا، ثم زوج ابنة عمه لابنه»(٣٦).

---

(٣٥) المقامة البشرية، ص ٢٥٧.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٢٥٨، والعصا فرس كانت **لجذيمة الأبرش**، والعصية أمها، ويكنى بتلك العلاقة عن تبعية الولد لوالديه في الأخلاق والطباع، كما ورد في **البصائر والذخائر** لأبي حيان أن هذا القول من حكم العرب، ٥/ ٢٦٦، كما يقال أشبه الفرخ أباه والعصا من العصية، انظر الراغب الأصفهاني، **محاضرات الأدباء**، ١/ ١٥٤.

٦- بنية العنوان، وجملة الفاتحة ودلالتهما الإقناعية في المقامة البشرية

العنوان رسالة لغوية، تتصل لحظة ميلادها بحبل سري، يربطها بالنص لحظة الكتابة والقراءة معا، فتكون للنص بمثابة الرأس من الجسد، نظرا لما يتمتع به العنوان من خصائص تعبيرية وجمالية تتحكم في دلائلية النص في التأويل الأدبي مثل بساطة العبارة وكثافة الدلالة، كذلك لما يحتله هذا الأخير من صدارة في الفضاء النصي للعمل الأدبي، فيتمتع بأولوية التلقي، وعلى رأي محمد مفتاح، فإن الظفر بمغزى العنوان هو أول الحيل التكتيكية لفهم النص فهو الذي يزود القارئ بزاد ثمين لتفكيك النص وكشف خباياه، كما يقدم معونة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى، ويعيد إنتاج نفسه، وهو الذي يحدد هوية الخطاب المعين بوصفه خطابا موازيا، فهو إن صحت المشابهة بمثابة الرأس للجسد والأساس الذي يقام عليه العمران[٣٧].

ويرى بارت (Barthes) أن العناوين هي عبارة عن أنظمة دلالية سيميولوجية، تحمل في طياتها يما أخلاقية اجتماعية وإيديولوجية، لذلك كانت العنونة هي أولى المراحل التي يقف لديها الباحث لتأملها واستنطاقها، قصد اكتشاف بنياتها وتراكيبها ومنطوقاتها الدلالية. إن العناوين - إذن – عبارة عن علامات سيميوطيقية تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النص، كما تؤدي وظيفة تناصية، فالعنوان يحيل إلى نص خارجي يتناسل مع النص الأساس فيتلاقحان شكلا وفكرا[٣٨].

---

(٣٧) انظر: محمد مفتاح، **دينامية النص**، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص٧٢.

(٣٨) انظر: جميل حمداوي، "**السيميوطيقا والعنونة**"، مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٥، ٣ يناير ١٩٧١، ص٩٨.

وهـو إلى جـانب ذلك يمثل قصد المرسل، الذي يؤسس أولا لعلاقة العنـوان بخارجه، سـواء كان هـذا الخارج واقـعا اجتماعيا عاما أو سيكولوجيا، وثانيا لعلاقة العنـوان بالعمل الإبداعي، وعـلى الصعيد النسقي يمكن القـول بأن العنـوان يدل بمظهره اللغوي من الصوت إلى الدلالة على وضعية لغوية شديدة الافتقار، من جهة السياق الذي يرد فيه، وهو من جهة ثانية لا يتجاوز حدود الجملة إلا نادرا، وغالبا ما يكون كلمة أو شبه جملة، وبالرغم من هذا الافتقار اللغوي، فإنه ينجح في إقامة اتصال بوعي بين المرسل والمستقبل[٣٩].

إن تقويلنا لعنوان "المقامة البشرية" باعتباره عتبة يدلف من خلالها إلى فضاء السرد المقامي يحيلنا على دلالة البشر وما تومئ إليه من معنى السعادة والأمل في نوال المرتقب، وقد كانت هذه الدلالة بتمظهراتها النصية حاضرة في المقامة من بداية الجملة الفاتحة التي تؤرخ لأحداثها الدرامية إلى نهايتها المدهشة، في قيام حلقات مشاهدها على خرق أفق انتظار المتلقي عبر إدهاشه وإغوائه بما يحكيه الراوي من وقائع، ويحدث به عـلى لسان عيسى بن هشام الذي اكتسب في منظومة مقامات الهمـذاني السلطة الإقناعية باعتبار وظيفته الحكائية حجاجا سلطويا، فـ: حدثنا عيس بن هشام قال عبارة وصفية إخبارية تقريرية تشهد بوجود شخصية حقيقية باسم معروف يتماهى مع اسمي شخصيتين بارزتين في الثقافة الإنسانية والإسلامية، هما شخصيتا عيسى عليه السلام النبي الرسوم المصدق من قبل المسلمين وابن هشام صاحب أشهر سيرة نبوية في تراث المسلمين.

---

(٣٩) انظر: محمد فكري الجزار، **العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط) ص٢١.

كما أن فعلي القول والمحادثة بوصفهما فعلين كلاميين تبينيين مباشرين ينجزان مع في هذا السياق الاجتماعي لعدد من المستمعين يسلمون أسماعهم لشخصية تحدثهم لعلامة دالة على صدق المحدث، فلا أحـد يقاطعه أو يعترض عليه بقول أو فعل، كما يعكس هذا التقرير صورة نمطية لثقافة التلقي الشفهية التي وسمت عـصر الـراوي، وأدب تلك المرحلة.

إن فضاءات القص في المقـامة هي التي تمنح شخصية عيسى بن هشام سلطة مهيمنة على المتلقي فقولها وسردها الإخباريين يعكسان حقيقة تحكمها بتراتبية الأحداث وتوالداتها النسقية(٤٠)، التي تتولد في دائرة زمنية ماضوية عبرت عنها جملة الفاتحة التي تعطي بإسناد حدّثنا إلى الفعل الماض الناقص كان دلالة من الاستقرار والتحقق الفعلي للحدث في المكان بقول الراوي: كان بشر بن عوانة العبدي صعلوكا، بالإضافة إلى تأكيد هذا الخبر لهوية الشخصية من خلال نسبتها إلى أسرة و قبيلة معينة، ناهيك عن وصفها بحالة مثلت حضورا اجتماعيا لا ينكر من خلال حدث الصعلكة، فصعاليك العرب كثيرون، ونظام الصعلكة وأسبابه الاجتماعية معروفة لدى القدماء، وكل هذا الإقرار يثبت الخبر، ويجعله قائما على قيمة تصديقية لا تنكر.

ناهيك عما يرسمه هذا التضاد الثقافي بين عالم الصعلكة وعالم المجتمع القبلي من صور التعادي والتنافر والثورة والإغارة والمغامرة والتهميش والاستحواذ، وكلها أحـداث تنافح عـن حـق الذات في الوجود، منتفعة من كافة ملذات الحياة التي حرم منها هؤلاء نتيجة استبداد نظام القبيلة الطبقي، والتي وظفت من لدن المقامة للمحاججة

---

(٤٠) يوسف محمود عليمات، **"جماليات السرد، قراءة في المقامة البشرية لبديع الزمان الهمذاني"**، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، فصلية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، عدد١٠٧، سنة ٢٧، صيف ٢٠٠٩، ص١٥٦.

على رؤية اجتماعية تنهض على تلبية النزوة الفردية بشتى الوسائل والطرق، وفلسفة وجودية تقوم على البقاء للأقوى، فما قيمة الجماعة بالنسبة للإنسان إن هي عجزت عن إسعاده وحمايته؟! فقد أغار بشر الصعلوك متسلحا بعدوه وشدته على الجماعة بعددها، فلم يقو الركب على الذود عن حرماته، وها هي الجميلة الحسناء تقع سبية بين يديه فيتزوجها قسرا.

وفي هذا الخبر حجة مادية دامغة تؤكد صحة الدعوى السالفة، وتقوض فلسفة الاجتماع، وتسخر من نظم المؤسسة: "فأغار على ركب فيهم امرأة جميلة، فتزوج بها". لقد تقمصت الشخصيات الناطقة في المقامة (بشر بن عوانة – الزوجة)، والشخصيات الغائبة الحاضرة من حيث هي وظائف سردية أساسية (ابنة العم – الأسد)، هذا المنطق الحجاجي معبرة عن سخطها، وآمالها الفردية تصريحا أو تلميحا عبر سرد الحكاية الأساسية في المنجز النثري، ومن خلال المحاورة والمناظرة في القالب الشعري المدمج.

وعلى صعيد آخر تنفذ شخصية المرأة بوصفها صورة للمكر والخديعة، وصوتا للعقل الجمعي إلى مسرح الحدث، لتهز يقين بطل المقامة فيما حققه من انتصارات، متسلحة بالشعر الذي ترك أثره النفسي الإغوائي في المتلقي، فحمله على التصديق، وتعديل السلوك، إن صوت الأنثى (الضحية)[٤١] في هذه المقامة بالرغم من كونه معادلا موضوعيا لحب التملك والسيطرة أضحى الأداة الأساسية المحركة للفعل السردي، والحجة الجمالية المادية التي بني عليها الخطاب من أوله إلى آخره، فما أنتجته الزوجة من أقوال وصفية وإخبارية شعرا ونثرا هو سلمية من الحجج الواقعية المشكلة

---

(٤١) يوسف محمود عليمات، **جماليات السرد في المقامة البشرية لبديع الزمان الهمذاني**، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، فصلية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، عدد١٠٧، سنة ٢٧، صيف ٢٠٠٩، ص١٦٠.

عبر اللغة المجازية تنجز فعلا كلاميا أساسيا هو فعل العقاب الذي التزمت بإيقاعه علـى بشر دفعا للضرر الذي لحـق بها، وتعبيرا عن سلطة المجتمع التي حاول الفرد الخروج عن ضوابطها.

٧- جماليات البناء الشعري في قصيدة المقامة البشرية، وأثرها في الفعل الحجاجي

يبدو أن الذات الشاعرة على لسان بشر بن عوانة قد اختارت أدوات أسلوبية في المستوى الإيقاعي بعضها يتشكل على المحور النسقي التركيبي (Sintagmatique) بفضل تكرير وترديد[٤٢] بعض الألفاظ والعبارات، من جهة، وبرد العجز على الصدر من جهة ثانية مثل قوله:

أَنِـــلْ قَـــدَمَيَّ ظَــهْرَ الأَرْضِ إنــيِّ   رَأَيْـتُ الأرْضَ أَثْبَـتَ مِنْـكَ ظَـهْرَا

وكذلك ما نلمحه من ترجيع في قوله[٤٣]:

تَبَـهْنَسَ ثـم أَحْـجَـمَ عَنْـهُ مُـهْـرِي   مُحَـــاذَرَةً فَـقُلْتُ عُـقِـرْتَ مُـهْـرَا
يُكَــفْكِـفُ غِيــلَةً إِحْـدَى يَــدَيْهِ   وَيَــبْسُطُ للوُثُــوبِ عَـلّي أُخْــرَى

وقوله موازنا بين التركيبين قصد إظهار تكافؤ الموقفين ونبلهما[٤٤]:

وَأَنْـــتَ تَـــرُومُ للأَشْبَـــالَ قُــوتًا   وَأَطْـــلُبُ لابــنـةِ الأَعْــمَامِ مَــهْرَا

---

(٤٢) انظر: الحاتمي، **حلية المحاضرة في صناعة الشعر**، تحقيق هلال ناجي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٨، ص ٥٢.

(٤٣) **المقامات**، المقامة البشرية، ص ٢٥٣.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

أما التصريع[٤٥] فالقصيدة وإن لم تحفل به في بداياتها إلا أنها بنت خاتمتها عليه بشكل لا فت للنظر، فقد قـال بشر للأسد بعد المواجهة الدامية التي انتهت بمصرع الأسد[٤٦]:

تُحَـــاوِلُ أنْ تُـعـــلِّمَنِي فِـــرَارًا لَعَـــمْرُ أَبِيـــكَ لَقَـدْ حَاوَلْتَ نُكْرَا

فَـــلا تَجْــزَعْ فَـقَـدْ لاَقَيْـتَ حُـرًّا يُحَــاذِرُ أنْ يُـعَـــابَ فَمِـتَّ حُـــرًّا

فـإنْ تَــكُ قَـدْ قُتَلْتَ فَلَيْسَ عَـارًا فَـقَــدْ لاَقَيْــتَ ذَا طَـرَفَيْنِ حُــرًّا

وبعض الأدوات تشكّلَ في المحور الجدولي (Paradigmatique) عبر سيطرة صوت بعينة من خلال عدد مهم من اللفظات فقد حضرت الراء بتكراريتها مرققة أو مفخمة في مُهري – مَهري – عقرت – هزبرا – ظهر – الأرض – مكفهرا – الوثوب – أخرى– جمرا – أثرا – مضربه – تروم، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق ما قرره ابن جني من وجود علية في الربط بين الأصوات من جهة ترتيبها وصفاتها ومعاني الألفاظ التي تشكلها، فالباء غليظة تعبر عن خفقة الكف على الأرض والراء مكررة تعبر عن اضطراب المجرور صعودا ونزولا والجيم شديدة تعبر عن معنى المشقة[٤٧].

(٤٥) يسهم التصريع العروضي في تشكل نوع من التناغم الموسيقي الداخلي يتوخاه كثير من الشعراء الفحـول في مطالع قصائدهم، وربما قصد **الهمذاني** بهذا العـدول إظهار قدرته الشعـرية التي لا تختلف عن قدرات أشهر الشعراء بل والإيحاء بإمكان تجديد الشكل ذاته فعوض أن يكون في بداية القصيد ها هو يأتي به في خاتمتها.

(٤٦) الهمذاني، **المقامة البشرية**، ص ٢٥٣–٢٥٤.

(٤٧) انظر: الجطلاوي، **مدخل إلى الأسلوبية، تنظيرا وتطبيقا**، ص ٥٢، وانظر ابن جني باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني، الخصائص، ٢/ ١٥٢.

أما صوت الباء بصفتيه الجهرية والشديدة فقد تردد مع كلمات مثل قلب – أشبال – مخلب – ناب تحسب – مضرب ظباه – بطن بشر – تبهنس – أثبت، ولا يخفى على السامع ما لهذه الاختيارات من أثر نغمي يتماهى مع دلالات الاستعداد للنزال ومواجهة الخصم بالشدة والضراوة، بخاصة وأن صوت الباء – مثلا – من الأصوات الشفوية المجهورة والشديدة الأكثر تناسبا وحضورا في الألفاظ الدالة على الجلبة والقوة وقعقعة المعارك بخاصة عند من يسوغ الطاقة التعبيرية والرمزية للأصوات، فإنما الكلام أصوات محلها من الأسماع محل النواظر من الأبصار على حد قول الجرجاني[٤٨].

أما صوت الراء الذي هو صوت تكراري فهو منسجم في سمته هذه مع حالات التردد أو الاستعداد للانقضاض على الفريسة أو الخصم. أما الجانب التصويري فيتشكل من صور حسية مادية تجمع بين نوعين صور مألوفة من الحياة القديمة الجاهلية حيث تكثر صور استذكار المحبوبة والغزو والنزال والثورة، والاعتداد بالصفات الذاتية، والإعلاء من شأن النفس، والتغني بصفات الفروسية النبيلة التي تأبى الغدر، وتحترم الأنداد من الخصوم، والإغراق في المتعة الحسية وغيرها من القيم التقليدية التي تظهر متناقضة أحيانا، وهذا يعطي للتعبير الشعري قيمة تصديقية لدى المتلقي، وصور أخرى أقرب للخرافة والخيال الجامح تسهم في شد انتباه المتلقي، وإثارة فضوله وانتباهه، وربما جاز لنا عدها وسيلة لتحقيق وظيفة إقامة الاتصال (Fatique)، يقول أحمد الودرني: «فكلما حصل التخييل بلفظ لا تمجه الأسماع دون تبعيد للمعنى حلا التعبيرُ في السمع، وشاقت الصورةُ العينَ، وامتاز

(٤٨) الجرجاني (القاضي عبد العزيز)، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، د ط، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، د ت، ص ٤١٢.

البناء بالحسن والحلاوة والرونق، وهي كلها صفات تجسم الجمالية، جمالية الأداء، وهي خصيصة النص المطبوع»(٤٩)، مما يعني أننا أمام نص يخرق بتشكلاته البنوية البسيطة والبعيدة عن التكلف اللفظي ومظاهر الصنعة اللفظية أفق توقعات المتلقي الذي اعتاد تكلف الصنعة في خطاب المقامات بعامة ومقامات الهمذاني بخاصة.

ومن أدوات الإيقاع الداخلي أيضا ما يصطنعه النص من تشكلات جناسية تامة وناقصة تقوي الروابط بين ألفاظ البيت الواحد، مصطنعة تناسبا صوتيا، وانسجاما إيقاعيا بينها في مسافات نصية متباعدة أحيانا ومتقاربة أحيانا أخرى مما يجعلها أقرب إلى الطبع منها إلى التكلف والتصنع، مثل: (فخرّ – فخرا)، (راما – مراما)، (هزبرا – هزبرا)، (مُهري – مَهرا)، كما احتفى النص ببعض صور الترصيع الذي يصيّر أجزاء بعض الأبيات مشابهة لبعضها الأخر بسجع أو صيغة قصد إنجاز نوع من التماثل الإيقاعي مثل ما ورد في البيتين التاليين(٥٠):

إذًا لـرأيـتِ ليـثًا زارِ ليـثًا ... هِـزَبْـرًا أغـلبًا لاقـى هِـزَبْـرَا

يُـدِلُّ بمخـلـبٍ، وبحـدِّ نـابٍ ... وبـاللحـظَاتِ تحـسِبُهُنَّ جَمْـرَا

ولعل من صور التشكيل الصرفي استعانة المقامة في النص الشعري بصيغة التضعيف التي يبدو أنها تتناسب مع فضاء وصف الواقعة بأحداثها الساخنة، نتلمس ذلك في صيغ لفظية اسمية وفعلية تعزز دلالات الشدة والفخر والإصرار على الغلبة مثل: محدّدة – مكفهرّا – يدلّ – حدّ – قدّ – خرّ – مجدّلا – مشمخرّا. كما ينماز النص

---

(٤٩) انظر: أحمد الودرني، **الطبع والصنعة في شعر المتنبي**، ضمن أعمال ملتقى غازي، في أنماط النصوص، الأبنية الفنية والتأويل، ص٦١.

(٥٠) المقامة البشرية، ص ٢٥٣.

بهيمنة الصيغ الفعلية على صيغ الأسماء فالإحصاء يكشف عن استعمال ثلاث وستين فعلا موزعة على الماضي والمضارع والأمر بنسب متفاوتة يتردد فيها المضارع بدلالته على الحال والاستقبال والأمر بدلالته على الاستقبال بنسبة أعلى تنسجم مع دلالة الأفعال الالتزامية أو التعهدية.

وفي المستوى التركيبي يشكل التقديم والتأخير أداة أسلوبية مهمة في الشعر يحقق بها النص أغراضه الدلالية والإيقاعية أيضا فيتقدم ما هو أهم وصفًا وحالا على ما هو أقل أهمية، من مثل ما نكتشفه في التراكيب التالية: هززت له الحسام جدت له بجائشة - فقد له من الأضلاع عشرا - فلم أطق يا ليث صبرا - وفي يمناي ماضي الحد أبقى، ولعل أهم سبب لوقوع التقديم والتأخير هنا إقامة الوزن العروضي، وإبراز الصور المتناقضة بالمخالفة ببينها، هذا وتتأسس كثير من صور هذا النص على تمثيل أوضاع متباعدة طبيعة وصِفة ببعضها قصد الإغراب والإدهاش[٥١]، من مثل قوله:

وَأَنْتَ تَرومُ للأشبالَ قُوتًا ... وَأَطْلُبُ لابنة الأعمامِ مَهْرَا

وما ورد في البيت الأخير:

تِلْكَ العصَا منَ هذه العُصَيَّة ... هلْ تلدُ الحيَّةُ إلاَّ الحيةْ

مما يزعزع يقين المتلقي التخيلي الذي ينهض عنده على نوع من التناسب المتعارف عليه في البيئة الاجتماعية والثقافية، إن انتهاك النص في تشكله الصُّوَري بمثابة فعل يقلب رؤية العالم في وعي المبدع تحققه التراكيب الاستعارية والمجازية

(٥١) المرجع السابق، ص ٧٣.

بعامة فتجعل من الصورة الفنية أداة للإمتاع والإدهاش والسحر الذي يتجاوز بطاقته التأثيرية قدرة اللغة العادية في الإقناع والحجاج.

كما تكتسح الصور البيانية المساحة النصية، متلجلجة بين الاستعارات والكنايات والتشبيه البليغ، وربما جاز لنا أن نقرأ من هذه الهيمنة المجازية تضخيم الصور، والتمييز بين وضعين متناقضين أو واقعين متنافرين، وربما زعم أن عالم المجاز كان المفتاح السحري الذي ولج به البطل مغامرة الانتصار على الخصوم، ومن ثم تحقيق الهدف أو موضوع القيمة، وعلى هذا يمكن عدّ سلسلة الاستعارات – مثلا – عنصرا بلاغيا يمارس تأجيل الدلالة السردية، فلا يفصح إلا مبالغا ومبهرا.

أما عن تداخل السردي مع الشعري فيمكن القول بأن توسل النمط الشعري جنسا قوليا مختلفا في سياق سردي تمثله المقامة هو علامة على وعي الناس بالقدرة التأثيرية للشعر على السامع من ناحية الإقناع العاطفي بخاصة إذا نظر إلى كفاءته الوصفية التي تختزل الأحداث في مشاهد حية وصور ملتقطة عن الأفعال المادية.

كما يمكن عدّ هذا النص الشعري المندمج رسالة شعرية أو وصية من نوع خاص، تكتسب خصوصيتها من انخراطها في مشاهد عجائبية أقرب إلى الأسطورة اليونانية أو حكايات بروب الروسية، إذ يقدم كاتب المقامة لهذه الرسالة الشعرية التي يضمنها أحوالا وأوصافا ووقائع دامية ووصايا مجرب، وحوارا محاججا، مندمجا في لعبة مناورة الآخر، وتضليل منطقه بالملفوظ التالي: «ثم إن بشرا سلك ذلك الطريق فما نصفه حتى لقي الأسد، وقمص مهره فنز وعقره، ثم اخترط سيفه إلى الأسد، واعترضه، وقطه ثم كتب بدم الأسد على قميصه إلى ابنة عمه»[٥٢] .

---

(٥٢) **المقامة البشرية**، ص ٢٥٢.

ثم يعرض بالشعر ما ذكر مجملا سريعا بالتفصيل الذي ينقل القارئ والسامع إلى عين المكان حيث تدور معركة حامية بين بشر البطل وخصمه الذي اعترض طريقه، والذي عرفته قرينة التعريف، وكأنه الأسد الذي لا يوجد في البلاد إلا هو، وعلى عادة المعارك البطولية والأسطورية يتعرف المتخاصمان على بعض، فيكشف كلاهما للآخر عن نواياه وقيمه وعما يدافع عنه وما يطمح إلى تحقيقه، إثباتا للندية، وإشعارا للذات بالعظمة أثناء الانتصار، فالمبارز والمبارز على مرتبة متكافئة من البطولة.

خاتمة المبحث

كرست المقامة البشرية الصراع بين الفقراء والأثرياء فجعلته صراعا أزليا متجذرا في الحياة العربية، وما ثورات فقراء الحنابلة على الشيعة الأثرياء في بغداد[٥٣]، وظهور الطبقية في عصر البويهيين، ومن خلفهم من ملوك الطوائف والدويلات العباسية إلا امتداد للصراع بين القبيلة والصعلوك، والنظام والثورة، والفقر والغناء، وقيم الفروسية وشهامة الفرسان، وقيم الجشع والطمع ومخادعة الآخرين للحصول على لقمة العيش كما يفعل المكدّون بذكائهم وبيانهم الذي لا يملكون شيئا آخر غيره.

---

(٥٣) الهمذاني، **المقامة المارستانية**، وانظر ما ذكره محمد طرشونة، **"رؤية العالم في المقامات"**، ضمن أعمال ملتقى غازي، ص١٨٦ –١٨٧.

الفصل الرابع

التحليل التداولي للخطاب الإعلامي، مقالات رقية سليمان الهويريني أنموذجا

توطئة

أسفــر اتّصــال العلــوم اللغــوية والأدبــية الحــديثة مــثــل اللسانيات والسيميائيات والأسلوبيات والتداوليات ونظرية الأدب بالنظريات العلمية المختلفة في مجالات علم الاجتماع وعلم النفس العام وعلم النفس الإدراكي وعلم التربـية والأنثروبولوجيا والتـاريخ والفلسفة، والقـانون، وتكـنولوجيا الإعـلام السمـعي البصـري وعلوم الحاسب والمنطق الرياضي والذكاء الاصطناعي عن ظهور علم جديد الهيئة والصورة والهدف عرف بـ: علم النص (Science de text) أو (Textologies) الذي عني منذ نشأته الأولى في الربع الأخير من القرن العشرين بدراسة النصوص التي ينتجها المتكلمون رغبة منهم في الإبلاغ والتواصل الثقافي والعلمي. بل واستكشاف العوالم الممكنة المحيطة بالوجود الإنساني، لقد غدا هذا التوجه البحثي الجديد همزة الوصل بين راهن الإنسان ومستقبله، وأداة حفر رئيسة لفهم تشكل التغير التاريخي الذي مسّ جوانب الحياة العامة للناس من خلال تلك النصوص الموروثة.

إن الهدف الرئيس الذي يفصح عنه علم النص في أدبياته دراسة استراتجيات اللغة في تشكلها وبنائها الوظيفي قصد تحقيق مآرب المتكلمين في التأثير والإقناع، والذين جبلوا على التفاعل بواسطة الحجاج[١]، في ضوء سياقات اتصالية معينة يحدث فيها الاتصال بين طرفين ظاهرين أو مضمرين أو عدة أطراف تحمل مرجعيات ثقافية مختلفة توجه النصوص شكلا ومضمونا، والحقيقة أن التحليل النصي بالرغم من توسله الوصف العلمي الصارم الذي هو نتاج تمكّن المقاربة المثولية التي أكدتها اللسانيات في مواجهة راهن اللغة ونظامها الثابت لا يقف عند حدود التصنيف والإحصاء بل يحاول استكشاف البنى العميقة ودلالاتها الخفية منتهجا الشرح والتفسير والتعليل والمقارنة مستفيدا من نماذج الدراسة العلمية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية.

كما أنه لا يحصر موضوعه في النصوص الأدبية فقط بل كل أنواع النصوص من سردية وحجاجية[٢] ووصفية وإشهارية

(١) Arnold Gunther, A set of concepts for the stady of dialogic argumentation, p178 نقلا عن: النقاري، حمو، **منطق الكلام، من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي**، الدار العربية للعلوم ناشرون بالاشتراك مع منشورات الاختلاف ودار الأمان، ط١، لبنان - الجزائر - الرباط، سنة ٢٠١٠، ص ٤٦٥.

(٢) يقوم الحجاج عن خط قولي ظاهر تغمره سياسة إقناعية، وأهداف معرفية ونفسية واجتماعية يسعى الترابط الحجاجي إلى إنفاذها في الواقع للمحاجَجين، والإستراتيجية الحجاجية بهذا التصور طريقة وأداة و غاية يستجمع بها المحاجِج عناصر التأثير المحددة لتوجيه الموقف والفعل والرؤية لدى المحاجَجين في وضعيات تواصلية معينة تسنح بشرح الفكرة وتدعيمها في أنظار المتلقين، فالإستراتيجية خطة حاضرة غائبة عن الأنظار في الآن نفسه يسترشد إليها بالعلامة اللسانية والسياق الحالي المنتج للفعل التلفظي، وعن اتصال الإستراتيجية بالحرب ومفهوم اللعبة والحرب اللغوية ينظر تفصيلا عز العرب لحكيم لبناني، **حدود التواصل، الإجماع**

وقانونية[٣]، كتابية مثل الرسائل والقصائد والروايات والمقالات المختلفة في الموضوع أو شفوية مثل الحديث والمناقشات والحوارات التلفزية والإذاعية والمناظرات وغيرها، متجاوزا حدود الشكل الواحد إلى أشكال التواصل المختلفة.

ولعل انفتاحه على الأنساق المختلفة، ومحاولته الإحاطة بالاختلافات الشكلية والموضوعية الفارقة بينها سبب مركزي في صعوبة الخوض في مسائله، مثل تحديد أدواته وضبط آلياته وأهدافه بصورة مطلقة من ناحية، والزعم باكتمال نظريته واستواء تمثلاتها التطبيقية من ناحية أخرى. وفي الصعيد التطبيقي سيكون من غير المجدي أمام تداخل مكونات النص ذاته الاكتفاء بوصف البنية النحوية الدلالية، إذ لابد من استثمار مفاهيم تداولية ومنطقية أساسية يسهم الوعي بوظيفتها في بناء نماذج تحليلية ذات كفاءة مقبولة لفهم استراتجيات النصوص في حدث الكلام.

إن انفتاح علم النص أو علوم النص على النسق اللساني ونموذج المقاربة اللسانية الشكلية بخاصة ولّد توجها ثانويا يعنى بدراسة ملفوظات النصوص من الناحية اللغوية باعتبارها بنية شكلية كبرى تتقاطع ضمنها وبها بنى دلالية كبرى تترابط داخليا بأدوات وعلاقات نصية، يعرف هذا التوجه بلسانيات النص (Linguistique textuelle)

والتنازع بين هابرماس وليونار منانغريد فرانك، إفريقيا الشرق، ط١، ٢٠٠٣، ص٢٩، وانظر عبد الهادي الشهري، **إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤، ص ٥٢ وما بعدها.

(٣) يذهب **برونكار** إلى أن أنواع الخطاب الرئيسة أربعة هي السردي والحكائي والتفاعلي والحواري انطلاقا من خصائص لسانية نصية داخلية قائمة على مبدأ الهيمنة، وإذ كان الحجاج ظاهرا بشكل أوضح في الخطابين التفاعلي والحواري فهو موجود أيضا بمستوى معين ضمن النصوص السردية والحكائية، ولكن بهيمنة سردية حكائية، أو لنقل أنه حجاج سردي أو حجاج حكائي، انظر حبيب أعراب، "**الحجاج والاستدلال الحجاجي**"، مجلة عالم الفكر، ص ١٣٤.

الذي يبحث في أوجه الترابط النصي وأدواته الفاعلة في مستويي البنيتين السطحية الممثلة بالأصوات والصيغ والتراكيب والمعجم والبنية العميقة التي تضمر العلاقات الدلالية والسياقية التداولية.

وسرعان ما أدمجت اللسانيات النصية ضمن محور أدواتها التحليلية مفاهيم حيوية تتصل بالتداولية، وفي صدارتها نظرية الفعل الكلامي (Act de language)، ولعل أهمية هذا التوجه البحثي تتأتى من سعي التحليل اللساني للنصوص إلى تحليل البنى النصّية، واستكشاف العلاقات النسقية المفضية إلى اتساق النّصوص وانسجامها، واستثمارا لهذا الإطار العلمي الحديث ارتأينا خوض غمار تجربة تحليلية لنصوص اجتماعية صحفية، تعكس تجربة الكتابة الصحفية الأنثوية في المملكة العربية السعودية في بعدها اللغوي، من خلال جريدة تتمتع بانتشار محلي كبير هي جريدة الجزيرة اليومية.

وتأتي هذه الدراسة قصد وصف وتفكيك بنية النص الإعلامي المكتوب باللغة العربية بوصفه خطابا يوميا يحمل قيما اجتماعية وثقافية ودينية وتربوية وأدبية، كما تهدف الدراسة إلى الكشف عن الإستراتيجية الحجاجية التي تقوم عليها هندسة القبول في الفعل الإعلامي الصحفي الذي ينجز في بعض محطاته الدعاية لبعض القيم قصد ترسيخها أو إحلالها بديلا للرائج .

١- نظرية تحليل الخطاب، وتحليل النصوص الإعلامية

ارتبطت نشأة وتطور بحوث الإعلام في العشرينيات من القرن الماضي بالنموذجين الوضعي والسلوكي، فاستمد التخصص الجديد الكثير من منطلقاته ومفاهيمه وأطره النظرية والمنهجية من هذين النموذجين. وفي هذا الإطار ركزت بحوث الإعلام على تأثير وسائل الإعلام في الجمهور مهملة إلى حد كبير دراسة

مضمون[٤] وشكل الرسالة الإعلامية التي يفترض أنها تحدث التأثير المطلوب أو المرغوب من وجهة نظر المرسل سواء كان شخصا أو مؤسسة إعلامية[٥]، ثم شرع في التحليل الكمي لمضمون أو محتوى الرسالة الإعلامية، الذي ذاع صيته بفضل مقال **بريلسون** (Berelson) الشهير الذي نشره عام ١٩٥٢ بعنوان: "التحليل الكمي للمحتوى في أبحاث الاتصال". وانطلاقا من بحوث **بريلسون** (Brelson) وآخرون سادت تقاليد التحليل الكمي في الدراسات الإعلامية[٦].

أما التوجه نحو دراسة الخطاب الإعلامي بالارتكاز على المكون اللساني التداولي فقد بدأ بفعل التقدم الذي أحرزته اللسانيات في تقديم نفسها منهجا يتمتع بكفاءة وصفية وتصنيفية عالية في قراءة النصوص، وكان **بيسنس** (Buyssens) أول من طرح مسألة الخطاب في الدراسات اللسانية عام ١٩٤٣، ثم جاءت أعمال **بنفنيست** (E.Benveniste)[٧]، و**هاريس**

---

(٤) لمزيد من التفاصيل حول تحليل المضمون ينظر: سمير محمد حسن، **بحوث الإعلام، الأسس والمبادئ**، عالم الكتب، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢٢ وكتابه أيضا، **الإعلام والاتصال الجماهيري والرأي العام**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٢٤٨.

(٥) انظر: محمد شومان، **تحليل الخطاب الإعلامي، أطر نظرية ونماذج تطبيقية**، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٢١ وما بعدها.

(٦) انظر: عواطف عبد الرحمن وآخرون، **تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية**، العربي للنشر والتوزيع، بدون تاريخ، ص ٨، وانظر شومان، محمد، **تحليل الخطاب الإعلامي، أطر نظرية ونماذج تطبيقية**، ص ٢٢ وانظر أيضا محمد شطاح ونعمان بوقرة، **تحليل الخطاب الأدبي والإعلامي بين النظرية والتطبيق**، مكتبة الآداب، ط١، سنة ٢٠٠٦، ص ٣١ وما بعدها.

(٧) اهتم بنفنيست بالضمائر في الخطاب، بخاصة تمييزه بين وظيفتي ضمير المتكلم والمخاطب من ناحية وضمير الغائب من ناحية أخرى، فإذا كان المتكلم والمخاطب محينين للحظة الراهنة في

(Z.Harris)[٨]، و**هاليـدي** (M. Halliday)، ورقيـة **حـسن** (Ruqaiya Hasan)، **وفان ديـك** (Van. Dick)، و**ايزنـبرج** (Isenberg)، وجوليـان **غريـماس** (J.Grimas)، و**ميشال آدام** (J.M.Adam)، وغيرهم، وقـد توزعت -كما مر ذكره- على خلفيات نظـرية، وأنـواع نصية مختلفة، لا يتسع المجـال للتعـريف بها جميعا، غـير إن ما يلفت نظر الباحثين في هـذا السياق هو ما يواجههم من مشكلات تتصل بالاختلاف حـول تحليل المـادة العلمية التي تتعلق بمجال عمل أصحاب الاختصاصات المختلفة.

فالإجراءات التي يتبعها باحثو الإدارة لتحليل خطاب الإدارة تختلف -مثلا- عن تحليل خطاب الدردشة عبر الأنترنيت، كما تختلف ولا شك عن تحليل علم النفس الخطابي، وكذلك الحال في الخطاب الأدبي والديني، ويبدو الاختلاف بصورة أوضح في تحليل الخطاب الإعلامي، إذا إن الخطاب الإعلامي المقروء يختلف في طريقة تحليله عن الخطاب الإعلامي المرئي الذي يعتمد الصورة بوصفها أيقونا للتأثير والتوجيه

إحالتهما على فعل التلفظ ذاته، فإن الغائب من حيث كونه ضميرا غير شخصي محيل على واقع غير لساني يمثل مرجع الخطاب، انظر تفصيلا عبد الواحد المرابط، **السيمياء العامة وسيمياء الأدب**، من أجل تصور شامل، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٠، ص٥١، وانظر أيضا: Emile Benveniste, Problemes de linguistique generale, p550.

(٨) وضع هاريس آلية حسابية تمكن من إجراء تقطيعات متتالية على متن لغوي ضخم، ليصل إلى المكونات المورفيمية النهائية للمدونة، ثم وضعها في طبقات توزيعية انطلاقا من مبدأ التشابه، وهذا ما يعرف بالتحليل التوزيعي الذي استقاه من طريقة بلومفيلد في تحليل الكلام وتصنيف بنياته الأساسية في سياق تموضاته (التوزيع) بغضّ النظر عن عامل الدلالة، انظر عبد الواحد المرابط، **السيمياء العامة وسيمياء الأدب**، من أجل تصور شامل، ص ٤٨، وانظر أيضا: O.Ducrot et T.Todorov,Dictionnaire encyclopedique,pp49-55.

والتغيير[٩]، وكذلك عن الخطاب الإعلامي المسموع، ولعل سرّ الاختلاف راجع أولا إلى البناء الداخلي للنصوص، وثانيا إلى الأغراض التواصلية التي يطمح المنشئون إلى تحقيقها عبر تلك الأشكال، والخطط القولية. كما إن العلاقة التي تربط الخطاب باللغة وبالواقع الاجتماعي، تشكل مفرقا حاسما أمام الدارس في ضوء عدم قدرته على اكتشاف طبيعة تلك العلاقة ومميزاتها، فالخطاب ينتمي إلى عالم اللغة، وكل علامة فيها تعكس، أو تمثل الواقع الاجتماعي، ومن هنا تثور إشكالية، هل اللغة تصنع الواقع؟، أم أن الواقع الاجتماعي هو الذي يحدد اللغة ؟[١٠]

٢- مبررات الاختيار

إن الوصف اللساني للخطاب الإعلامي ينهض في بعده الغرضي على استجلاء أهم القيم التداولية التي يطفح بها مثل: القيمة الاجتماعية والنفسية والتربوية التعليمية والإيديولوجية. هذا وللبحث خاتمة تعرض فيها أهم نتائجه، هذا وقبل أن ندلف بالتحليل إلى نصوص المدونة المختارة، تحبذ الدراسة تذكير القارئ بأس المشكلة البحثية، وإطارها العام، والأهداف المرجو تحقيقها من عملية البحث، إذ يمكن صياغة مشكلة البحث الأساسة في العبارة التالية: كيف يمكن تحديد معالم الخطاب الإعلامي في مقالات رقية الهويريني؟

---

(٩) انظر: سعيد بن كراد، **السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها**، ط١، دار الحوار، سوريا، سنة ٢٠٠٥، ص ١٦ وما بعدها.

(١٠) يذهب بنفنيست إلى أن اللغة هي التي تخلق العالم، والعلاقات الإنسانية والاجتماعية، فهي تفعل الكثير بالقليل، بل إن وجود الإنسان ووعيه بذاته مرتبط رأسا بوعيه اللغوي، انظر:

E.Benveniste, Problemes de linguistique generale, ed, Gallimard,Paris, 1966, p 28-30.

وما هي أهم الوظائف التخاطبية التي ينهض عليها النص الاجتماعي المباشر في موضوعه وطريقة عرضه؟، وربما تمكنا في ضوء هذه المساءلة من تحديد أهم الأهداف التي يزمع البحث الوصول إليها في النقاط التالية:

١-إبـراز أهم مرتكزات الحجاج الإعلامي في ضوء نظرية البـلاغة الجديدة، وأشهر نظريات الحجاج في الثقافة اللسانية المعاصرة.

٢-إبراز القيم التداولية في منظومة خطاب إعلامي أنثوي مؤطر بسياق ثقافي سعودي حديث.

٣-الكشف عن المنطق الحجاجي المتّبع من طرف الكاتبة.

٥- وصف وتحليل صـور وعلاقات التماسك النصي في ضـوء مقولتي الاتساق والانسجام، وتحـديد المهيمنات الأسلوبية التي تؤشر إلى سمات أسلوبية معينها عنـد الكاتبة.

٦- وصف المعجم اللغوي الخاص بالكاتبة في ضـوء المدونة المخـتارة. ولعلنا لا نفوت هذه الفرصة دون أن نشير إلى بعض الدراسات السابقة والمهمة في هذا الإطار، والتي تمكنا من الاطـلاع عليها، فمنها ما اتصل بعـرض الجوانب النظرية للعملية الحجاجية في التقاليد الغربية، ومنها ما حاول وصف المحاججة في الثقافة الإسلامية القديمة.

ولنا في هذا السياق أن نذكر أعمالا مهمة مثل: طه عبدالرحمن في دراسته: لسان الميزان، ومحمد الواسطي في أساليب الحجاج في البلاغة العربية وعبد الله صولة في دراسته الحجاج في القرآن الكريم ومحمد يونس من خلال كتابه: علم التخاطب الإسلامي، ودراسة محمد خطابي، "اتساق النص، مدخل إلى انسجام الخطاب"، ودراسة عزة الشبل، "علم لغة النص"، ودراسة حسام فرج، "نظرية علم النص"،

وبعض المعاجم اللسانية الحديثة الضابطة للجهاز المفاهيمي في ميدان تحليل الخطاب، مثل: المعجم الموسوعي لعلوم اللغة لـ: دي كرو وتودوروف، ومعجم دي بوا في اللسانيات، ودراسات حديثة باللغة الفرنسية لمانجنو وميشال آدام وغريماس.

إلا أننا لم نعثر على دراسة واحدة اتخذت من هذا الإطار المنهجي، أو من هذه المدونة مجالا لها، وهو ما حفزنا لطلب خوض غمار هذه التجربة العلمية المحفوفة بالمخاطر والمحاذير، متسلحين في ذلك بأخلاق البحث العلمي، ومنهج وصفي تحليلي نحاول من خلاله النفاذ إلى دعائم هذه الإستراتيجية الحجاجية التي افترضنا وجودها في الخطاب الإعلامي المعين.

أما عن خطة البحث فترتكز على مقدمة، ومدخل نظري يؤصل لمنهجية التحليل النصي التداولي في ضوء المقاربة الحجاجية. أما المحور التطبيقي فيقدم القراءة التأويلية لفعل التحاجج الذي يتأسس عليه خطاب الإصلاح عند الكاتبة، ويقوم هذا المحور على وصف النصوص الأساسية مجملة بقراءة كلية تستهدف وصف المستوى الموضوعي والشكلي الذي يرتكز على وصف آليات بناء الحجج، من حيث التسلسل المنطقي، وصور الترتيب النحوي للتراكيب، في ضوء استثمار نظرية السلم الحجاجي في بنائية الحجج، بالإضافة إلى تحليل الجانبين المعجمي والأسلوبي، تمهيدا لتحليل قواعد الحجاج الإعلامي، من خلال إبراز تقنيات المحاججة، ممثلة في الحجج النقلية، والعقلية، والواقعية، والحجاج بالسلطة.

هذا ويندرج تحليلنا النصي للكتابة الصحفية الإعلامية، والمزمع إجراؤه على نصوص مختارة من مدونة رقية سليمان في سياق اختبار جدارة المقولات اللسانية، والتصورات النظرية التي ينبني عليها مفهوم الانسجام النصي في الخطاب اللساني بعامة، والخطاب الإعلامي منه بخاصة.

ذلك إن خطة القول التي تترسمها الكاتبة لتحقق أهدافها التبليغية، والتأثيرية، وفي صدارتها الإقناع بالأطروحة المركزية التي تمثل رؤيتها للكون والعلاقات الاجتماعية لا تدرك بالنسبة إلى المتلقي على وجهها المطلوب.

إلا بتحليل نصي تداولي يتجاوز وصف الأنساق اللسانية التي يتشكل منها النص المعين في مستويات الصيغة والتركيب والمعجم إلى مباشرة العلاقات السياقية الداخلية، وإحالاتها المرجعية على سياق الحال، بما يحمله هذا الأخير من مضمرات اجتماعية، ونفسية وثقافية ترهن دلائلية الخطاب، فتوجهها بقصد إلى منظومة استلزامية من أفعال القول، والتي عادة ما تختزل في فعل كلامي رئيس تختلف درجة قوته الإنجازية باختلاف أشكاله، ومقامات التلفظ به.

وفي هذا السياق اختار البحث منظومة من النصوص الصحفية لكاتبة سعودية، تنشر مقالاتها في يومية الجزيرة الصحفية تحت عمود موسوم بـ: "المنشود" على ما في هذا العنوان الكلي، المصاغ صرفيا على زنة مفعول من إيحاء طلبي يحث المخاطب على تحصيل الفكرة أو السلوك أو الموقف المرغّب فيه، تصريحا أو تلميحا. تلكم هي رقية سليمان الهويريني، وقد وقع الاختيار على هذه الشخصية، وعلى تلك المدونة لبعض القناعات الراسخة لدى الباحث، منها ضرورة الاعتناء بقراءة النصوص الإعلامية اليومية باعتبارها نصوصا أصلية تعبر عن الواقع الاجتماعي في صوره، وتمخضاته المختلفة، بما يعكس موقف المثقف من مجتمعه أولا، وموقفه من المؤسسات الحاكمة له تحت مسمى السلطة، وهي هنا سلطة ثقافية أكثر منها سلطة سياسية.

كما إن تمعين خطاب المرأة في الراهن الإعلامي ضروري على أكثر من صعيد، وبالإمكان المشاركة في الإجابة عن بعض التساؤلات المتصلة بموقف المرأة، وركائز تصورها الاجتماعي بروائزه النفسية، ومقارباته الجمالية. فالقول -مثلا- بامتياز كتابة

المرأة بخصائص لغوية، وجمالية مفارقة لكتابة الرجل يحتاج إلى دليل، لا نجده في زعمنا إلا في بحث اختياراتها المعجمية، والرمزية، والاستعارية، ورؤيتها للعالم، وكيفية بناء خطابها الحجاجي على وجه التحديد، مما يعطي مشروعية لمقولة الأدب النسوي التي تعاني نقاشا حادا بين منظري النقد الحديث في الغرب، وفي عالمنا العربي[11].

---

(١١) ظهرت دراسات عديدة عنيت بنقد أدب النساء في العالمين الغربي السباق إلى ذلك والعربي المتابع للحركة النقدية وراء البحار، وما تلك العناية إلا محاولة للتعرف على تقاليد الكتابة لدى الأنثى وطقوس الإبداع عندها، ولعل أهم ما كتب بأقلام عربية في هذا الموضوع دراسة "**رشيدة بنمسعود**" الموسومة بـ "**استراتيجية الكتابة النسائية**" المنشورة في مجلة عالم الفكر، المجلد ٢١/ العدد ١ يوليو أغسطس، سبتمبر ١٩٩١. وكذا دراسة "**نبيلة شعبان**" بعنوان **الرواية النسائية العربية** بمجلة مواقف عدد ٧٠ ـ ٧١ شتاء ربيع ١٩٩٣، ومقالة "**منى أبو سنة**"، **إشكالية الإبداع في الأدب النسائي** بمجلة إبداع القاهرة (العدد١، يناير ١٩٩٣). وكذا دراسة أخرى للكاتبة نفسها بعنوان "**التراث المكبوت في أدب المرأة**" تتحدث عن الأدب النسوي فتحدده بأنه: "**يمثل الأدب الذي تكتبه المرأة في تصوري استنطاقاً لجانب من المسكوت عنه في الثقافة العربية، وهو الموقف الإيجابي للمرأة ومن المرأة**"، وتتطرق الكاتبة إلى التراث الأدبي فتنعته بأنه يغفل في كثير من الأحيان النظرة الإيجابية للمرأة ويقدمها إما بصورة شبحية هامشية، أو في أنماط متكررة، تتراوح بين النموذج الأعلى للملاك والشيطان، تنسب إليها صفات الأم المقدسة، نموذج الطهارة والنقاء الكلي من جانب أو ينسب إليها صفات نمطية أخرى كالابتذال والتهافت على المتع الحسية والاتصاف بالمكر والخداع والغموض من جانب آخر. وبعد الإشارة إلى استثناءات طفيفة كانت فيها صور المرأة إيجابية في التراث الأدبي مثل" حكاية الجارية تودد" في ألف ليلة وليلة، و"الأميرة ذات الهمة" في الملحمة الشعبية، تؤكد **اعتدال عثمان** أن الخطاب المسكوت عنه لا يقل أهمية عن الخطاب المعبر عنه يرجع ذلك إلى أن المسكوت عنه يمثل فجوات مظلمة في التاريخ الأدبي، يتم إغفالها عمداً من أجل التوصل إلى مجموعة من القيم والمقاييس، تثبت بوصفها حقيقة نهائية، وتوظف لتدعيم

إن اختيار المدونة آنفة الذكر ينبع من الأهمية الاجتماعية والثقافية التي تكتسيها المقالات اليومية على منابر الصحافة المحلية بخاصة تلك التي تتوجه إلى التغيير الاجتماعي، بخاصة وأن فن جنس المقال الاجتماعي من أبرز الوسائل التي يعتمدها الخطاب السياسي الرسمي في إصلاح الأوضاع الاجتماعية بأسلوب مباشر إذ يرجح كونه الأكثر تلقيا بين جمهور القراء الذين يختلفون يوميا وفي كل صباح في دورهم وأماكن عملهم لتقليب صفحات جريدة الجزيرة وغيرها من الجرائد.

ثم إن التتبع الأولي المصاحب لفعل القراءة يفصح عن تفاعل بين الأنساق اللغوية المختلفة مع المقام الاتصالي الثقافي الذي يؤطر المدونة المعينة لتحليل الأبعاد التداولية للحجاج الاجتماعي، وإبراز قيمته التأثيرية على الواقعين الفردي والجمعي للمواطن السعودي بخاصة، ولعل هذا المسعى البحثي سيسمح بتحقيق جملة من الأهداف البحثية والاجتماعية منها :

١- تسليط الضوء على كيفية استثمار آليات التحليل اللساني التداولي في مقاربة خطاب لغوي يومي تنبع أصالته من ارتباطه بالواقع الاجتماعي.

وضع قائم، ونظام رمزي بعينه، بصرف النظر عن التناقض داخل هذا الوضع أو ذلك النظام ذاته، ومن بين الدراسات التي تناولت موضوع المرأة دراسة **إيمان القاضي في كتابها "الرواية النسوية في بلاد الشام السمات النفسية والفنية ١٩٥٠ - ١٩٨٥"**، من خلال تركيزها على الروايات الفلسطينية أو ذات الموضوع الفلسطيني التي أظهرت مفهوماً ناضجاً لحرية المرأة من خلال نموذج الكاتبة **سحر خليفة**. وفي السياق ذاته تتنزل أعمال **فيحاء قاسم عبد الهادي،** فهي ترى إمكان فهم وعي المرأة وتطورها من خلال ما كتبته المرأة الفلسطينية. انظر تفصيلا مفقودة، صالح، **النسوي في الأدب الجزائري المعاصر**، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، عدد٤٠٧ آذار، ٢٠٠٥، ص ٢٠.

٢- الكشف عن مكونات العملية الحجاجية، ومرتكزات الفعل الإقناعي المعتمدة من طرف الكاتبة.

٣- توجيه الكتاب المبتدئين إلى أهم الأصول التي تقام عليها المحاجة الصحفية، وكيفية استخدامهم للمعطيات اللسانية والثقافية لبناء إستراتيجية إقناعية لدعوى أو أطروحة فكرية ما وكيفية توظيف الوصف لتأكيد الفكرة وتوضيح الرؤية والموقف الخاص بالكاتب. وفي ضوء هذه الأهداف العامة سيكون من الطبيعي أن يأخذ هذا المشروع عنوانا يمثل إشكاليته المركزية وهو: استراتيجيات الإقناع في الخطاب الإعلامي، دراسة نصية تداولية في مقالات رقية سليمان.

٣- التحليل النصي التداولي للمدونة

إن وصفا أوليا لنماذج من المقالة الصحفية للكاتبة في أعداد من صحيفة الجزيرة اليومية يكشف عن توظيفها لاعتبارات تداولية حجاجية تتقدمها العناية بالسياقات العامة والخاصة في تحليل أية قضية اجتماعية أو حالة مدنية طارئة، وترتيب للحجج أقل ما يقال عنها أنها خضعت لمنطق وسلمية تجعل من المتلقي أكثر ارتباطا بالفكرة المطروحة.

ولعل هذه الميزة تكون سببا في تميز البنية النصية من ناحية تعكس عمق التفكير ووجاهة الاستدلالات، وتنوعها ناهيك عن سمة الترابط النصي التي ميزت هذا المنجز اللغوي الذي ارتأيناه مدونة صالحة للدراسة التداولية. إن تحليل الخطاب الإعلامي عند رقية سليمان. وإن كان ينطلق من منهجية استصفائية لبعض النصوص، بما لا يشكل استقراء شاملا للاختيارات اللغوية والأسلوبية بإمكانه أن يمهد الطريق

نحو خوض غمار تجارب قرائية أخرى، تستتبع تأويل القول من وجهة نظر تداولية، تتمسك بأهم مقولات نظرية الحجاج، ومفاتيحها الإجرائية بخاصة نظرية السلالم الحجاجية التي صاغها دي كرو، ونظرية المساءلة التي بسطها ميشال ماير في عديد كتاباته، بخاصة وأن البحث في استراتيجيات القول الصحفي باعتباره قولا إبداعيا عزيز الوجود في الدرس اللساني التطبيقي العربي، فأغلب مقاربات محللي الخطاب منصرفة إلى استقطار المعنى الجمالي من النصوص الأدبية الشعرية والسردية، منصرفة عن سائر أنواع الخطاب الأخرى لأسباب تبدو غير موضوعية. ويقوم اختيار مدونة البحث على حصر أهم المقالات التي نشرتها صحيفة الجزيرة للكاتبة ابتداء من ٣/ ١/ ٢٠١٠ إلى ٣٠ / ١٢/ ٢٠١٠، واختيار نماذج منها اختيارا عشوائيا لم يراع فيه إلا منطق التنوع الموضوعي، وفق ما يبينه الجدول الإحصائي التالي:

١	الدور التربوي للجامعة الإسلامية ..ونجاح مؤكد	٢٨-١٢-٢٠١٠
٢	ورحلت أمي مزنة	٢٦-١٢-٢٠١٠
٣	استطلاعات الرأي بين المصداقية والتوجيه	٢٣-١٢-٢٠١٠
٤	لحوم سليمة ولحوم مسمومة	٢١-١٢-٢٠١٠
٥	الإرشاد الطلابي ؟، والهدف الضائع	١٩-١٢-٢٠١٠
٦	هل أنت فاشل، لماذا؟	١٦-١٢-٢٠١٠
٧	متعودين يا سيدتي الإماراتية متعودين!	١٤-١٢-٢٠١٠
٨	على المواطنين تسوية ديون الدولة، وماذا عن حقوق المواطنين على الدولة؟	١٢-١٢-٢٠١٠
٩	اليأس، راحة أم هروب ؟!	٩-١٢-٢٠١٠
١٠	العزاء الشاق	٧-١٢-٢٠١٠

١١	أولادنا المشردون في الخارج أما من حياء؟!	٥-١٢-٢٠١٠
١٢	تقدير الذات ثابت أم متغير	٢-١٢-٢٠١٠
١٣	يوم القراء الثاني والعشرون	٣٠-١١-٢٠١٠
١٤	أقسام رياض الأطفال..خسائر وإحباط طالبات	٢٨-١١-٢٠١٠
١٥	جمعية الابتسامة ومحاربة العبوس	٢٥-١١-٢٠١٠
١٦	توبيخ قاض، وماذا في ذلك؟!	٢٣-١١-٢٠١٠
١٧	الخليج العربي أم الخليج الإسلامي	٢١-١١-٢٠١٠
١٨	استراحة العيد، مع أدب الدنيا والدين	١٨-١١-٢٠١٠
١٩	طهور طهور يا ملكنا	١٦-١١-٢٠١٠
٢٠	نخيل البكيرية الشامخة والسوسة الخبيثة	١٤-١١-٢٠١٠
٢١	جزيرة العرب مروج وأنهار، أم تصحر مياه وحروب؟	١١-١١-٢٠١٠
٢٢	هل عمل الكاشيرات ..قطع الإشارة .. والتعامل بالربا ..كلها حرام؟	٩-١١-٢٠١٠
٢٣	يا وظيفة حكومية ..يا لا!	٧-١١-٢٠١٠
٢٤	متى تتناول فاكهتك؟	٤-١١-٢٠١٠
٢٥	نظرة بين التفاؤل والتشاؤم	٢-١١-٢٠١٠
٢٦	يوم القراء الحادي والعشرون	٣١-١٠-٢٠١٠
٢٧	وصفات طبية بنكهة تجارية	٢٨-١٠-٢٠١٠
٢٨	إني أمزح، أيها التجار	٢٦-١٠-٢٠١٠
٢٩	لا تخسروا رمضان	٢٩-٨-٢٠١٠
٣٠	غازي، فيك أتقبل العزاء	٢٢-٨-٢٠١٠
٣١	اكسبوا مع رمضان	١٥-٨-٢٠١٠
٣٢	أيها التجار ..ارفعوها أكثر فأكثر	٨-٨-٢٠١٠
٣٣	يوم القراء التاسع عشر	١-٨-٢٠١٠
٣٤	نصائح ومعلومات طبية	٢٩-٧-٢٠١٠

٣٥	العمال ..وبرنامج شامس	٢٠١٠-٧-٢٧
٣٦	خلوها تغبر	٢٠١٠-٧-٢٥
٣٧	حرارة الجو، عمة أم نقمة ؟	٢٠١٠-٧-٢٢
٣٨	هل تعرفني؟	٢٠١٠-٧-٢٠
٣٩	تطوير المناهج، توسيع مدارك، أم إضافة أعباء	٢٠١٠-١٠-٢٤
٤٠	كيف تنظف لسانك؟	٢٠١٠-١٠-٢١
٤١	هل حبيبتك شمس أو قمر؟	٢٠١٠-١٠-١٩
٤٢	وحشية ممرضة في مدرسة ابتدائية	٢٠١٠-١٠-١٧
٤٣	رياضة المشي: صقل للجسد ..وغذاء للعقل!	٢٠١٠-١٠-١٤
٤٤	تركيبات بشرية رائدة	٢٠١٠-١٠-١٢
٤٥	البنوك بين تحويلات الأجانب ..وقروض المواطنين	٢٠١٠-١٠-١٠
٤٦	ادفنوا أجسادكم بالرمل قبل المهات	٢٠١٠-١٠-٧
٤٧	راشد المبارك – العالم المبارك!	٢٠١٠-١٠-٥
٤٨	المرأة السعودية بين دسيسة الوصاية ومؤامرة التغريب	٢٠١٠-١٠-٣
٤٩	يوم القراء العشرون	٢٠١٠-٩-٣٠
٥٠	حفل معايدة صحفيات الجزيرة الأول	٢٠١٠-٩-٢٨
٥١	امرأة في الديوان الملكي	٢٠١٠-٩-٢٦
٥٢	اسبحوا بالقلنسوة	٢٠١٠-٩-٢٣
٥٣	الخطابة نوير، وخطة إصلاح البيوت	٢٠١٠-٧-١٣
٥٤	الأحوال المدنية بالرياض، شكرا	٢٠١٠-٧-١١
٥٥	مجتمع النمل، تعاون أم حسد!	٢٠١٠-٧-٨
٥٦	مسؤول لا يصلي ...كيف؟	٢٠١٠-٧-٦
٥٧	نتائج المسابقات الوظيفية في جامعة الأميرة نورة ... والإحباط	٢٠١٠-٧-٤
٥٨	الفحص الطبي الشامل، ضرورة أم ترف؟!	٢٠١٠-٧-١

٥٩	يوم القراء الثامن عشر	٢٩-٦-٢٠١٠
٦٠	ساعة الصيف، وفتوى إجازة الخميس	٢٧-٦-٢٠١٠
٦١	رقصة القلطة	٢٤-٦-٢٠١٠
٦٢	الفتاة ...لماذا تسترجل ؟	٢٢-٦-٢٠١٠
٦٣	تمزيق الوحدة الوطنية ...من المسؤول ؟	٢٠-٦-٢٠١٠
٦٤	الاستخدام الأمثل للدواء	١٧-٦-٢٠١٠
٦٥	وزارة التربية ...الوزارة الجاحدة	١٥-٦-٢٠١٠
٦٦	مشايخ هوشة	١٣-٦-٢٠١٠
٦٧	الشمس المهاجرة	١٠-٦-٢٠١٠
٦٨	سيدة القاعدة..أم سجينة الشقاء؟	١٠-٦-٢٠١٠
٦٩	البكيرية المدينة الوادعة...وجريمة قتل!	٦-٦-٢٠١٠
٧٠	الحبل السري، الصندوق الأسود	٣-٦-٢٠١٠
٧١	الحياة محطات	١-٦-٢٠١٠
٧٢	يوم القراء السابع عشر	٣٠-٥-٢٠١٠
٧٣	الفيتامين المشرق	٢٧-٥-٢٠١٠
٧٤	التفاؤل المنقوص	٢٥-٥-٢٠١٠
٧٥	نظام ساهر القاهر	٢٣-٥-٢٠١٠
٧٦	السعادة مفاهيم وآراء	٢٠-٥-٢٠١٠
٧٧	ما أوسعك أيها التفاؤل!	١٨-٥-٢٠١٠
٧٨	افعلها ياوزير التربية	١٦-٥-٢٠١٠
٧٩	كم عقلا لديك؟	١٣-٥-٢٠١٠
٨٠	تناقص أعداد الممرضات السعوديات، لماذ؟٢-٢	١١-٥-٢٠١٠
٨١	تناقص أعداد الممرضات السعوديات، لماذ؟١-٢	٩-٥-٢٠١٠
٨٢	فرط الحركة، وتشتت الانتباه، ذلك السلوك	٦-٥-٢٠١٠

٨٣	الفشل الناجح	٤-٥-٢٠١٠
٨٤	الفشل الناجح	٣-٥-٢٠١٠
٨٥	مواطن، وسياحة داخلية فاشلة	٢-٥-٢٠١٠
٨٦	يوم القراء السادس عشر	٢٩-٤-٢٠١٠
٨٧	نجران والأخدود ...وما أدراك ما الأخدود	٢٧-٤-٢٠١٠
٨٨	إمبراطورية الغش، وأبناؤنا المبتعثون	٢٥-٤-٢٠١٠
٨٩	حرارة جسدك، طاقة بديلة	٢٢-٤-٢٠١٠
٩٠	نجران، وحوار وطني رائد	١٨-٤-٢٠١٠
٩١	الأمطار والمهايط	١٥-٤-٢٠١٠
٩٢	رقية سليمان الهويريني	١٣-٤-٢٠١٠
٩٣	الساطعون في حياتك والخذلان	
٩٤	محاكم الجهال والخراف	٧-٣-٢٠١٠
٩٥	من منكم بمهنة أهله؟	٤-٣-٢٠١٠
٩٦	يوم القراء الرابع عشر	٢٨-٢-٢٠١٠
٩٧	الإشاعة ظاهرة أم ثقافة	٢٥-٢-٢٠١٠
٩٨	الدرهم الخامس وبركة الراتب	٢٣-٢-٢٠١٠
٩٩	الانتقام الشخصي وتقرير الأداء الوظيفي	٢١-٢-٢٠١٠
١٠٠	نكهة شخصيتك	١٨-٢-٢٠١٠
١٠١	قيادة المرأة للسيارة وارتياب	١٦-٢-٢٠١٠
١٠٢	الأحساء ..نفط ..ونخيل ..وبحر وعيون	١٤-٢-٢٠١٠
١٠٣	النوم وقوة الذاكرة	١١-٢-٢٠١٠
١٠٤	هل تعرفون لي كوان يو؟	٩-٢-٢٠١٠
١٠٥	طلب المساواة وشجاعة المعلمات	٧-٢-٢٠١٠
١٠٦	النصائح المضللة	٤-٢-٢٠١٠

١٠٧	صندوق الدم الوطني	٢-٢-٢٠١٠
١٠٨	تلاشت الوسطية في الحوار الوطني	٣-١-٢٠١٠
١٠٩	المرشدات الطلابيات والحرمان من الدرجات الوظيفية المستحقة	
١١٠	يوم القراء الثالث عشر	٣١-١-٢٠١٠
١١١	هوس التحسين الجيني	٢٨-٠١-٢٠١٠
١١٢	التغافل ذلك الخلق الرفيع	٢٦-١-٢٠١٠
١١٣	عمورية ...وانفراج أزمة المساهمات العقارية	٢٥-١-٢٠١٠
١١٤	قيادة المرأة للسيارة والتوجسات	٢٤-١-٢٠١٠
١١٥	معجزة موسى ..وانشقاق البحر في كوريا	٢١-١-٢٠١٠
١١٦	زواج القاصرات والوأد الحضاري !!	١٩-١-٢٠١٠
١١٧	موؤودة القصيم .. والعزاء الحزين	١٧-١-٢٠٢٠
١١٨	الإتيكيت قواعد أم فنون؟!	١٤-١-٢٠١٠
١١٩	مقومات الخطاب الثقافي السعودي	١٢-١-٢٠١٠
١٢٠	الخطاب الثقافي السعودي، إلى أين ؟	١٠-١-٢٠١٠
١٢١	نحو بيئة آمنة للأطفال	٠٧-٠١-٢٠١٠
١٢٢	هروب الخدم والفتاوي	٥-١-٢٠١٠

إن المستقرئ لهذا الجدول بإمكانه أن يحدد مبدئيا هيمنة الموضوعات الاجتماعية على سائر الموضوعات الأخرى بخاصة تلك التي تصف الواقع الاجتماعي الراهن في تغيراته، ومشكلاته الحادثة باستثناء نصين سلكا مسلكا سياسيا عاما، أما أولهما فنص "الخليج العربي أم الخليج الإسلامي"، وأما ثانيهما فنص: "جزيرة العرب مروج وأنهار، أم تصحر مياه وحروب؟"، بنسبة لا تتعدى ٦٣,١٪ من مجموع النصوص التي تتشكل منها المدونة الصحفية للكاتبة.

ولعل هيمنة الموضوعات الاجتماعية بإمكانها أن توجه ضمنيا إلى ربط مصداقية الكاتبة، وانتشارها الجماهيري إعلاميا بمدى التحامها، وتفاعلها النفسي والفكري مع مجتمعها، فتنطق باسمه، وتعبر عن رؤيته، بقبول أو رفض ما يطرأ، فالكاتب الجماهيري لا يمكنه الانعزال في أبراج الثقافة العاجية المتعالية، كما لا يمكنه بنزعته النقدية والإيجابية إلى أن يواري رأسه بين جناحي السكوت أو التملق الاجتماعي، كما إن الموضوعات الاجتماعية التي تناولتها النصوص موزعة بدورها إلى موضوعات فرعية، فمنها النص الذي يتحدث عن مسألة تعليمية أو تربوية أو ثقافية أو اقتصادية أو مالية أو أخلاقية فردية أو أخلاقية جمعية، كما تنخرط نصوص أخرى في بحث مشكلات تتعلق بعالم المرأة المحلي، وأسئلة تتصل بحقوقها الاجتماعية، وواجباتها مثل: عملها في قطاعات الدولة المختلفة، وحقها في قيادة السيارة، والمشكلات الأخلاقية والاجتماعية المترتبة عن هذا الحق.

ولعل أهم موضوع اجتماعي ركزت عليه الكاتبة في حقوق المرأة الحق في اختيار الزوج، وحقوقها المترتبة شرعيا بعد طلاقها، وما إلى ذلك من تفاصيل هذه الظاهرة، ومن النصوص المهمة في هذا الاتجاه، نصا "زواج القاصرات والوأد الحضاري"، و"موؤودة القصيم .. والعزاء الحزين"، كما شغل النص الاجتماعي بعالم الطفولة، واحتياجاتها النفسية والاجتماعية والتربوية معدل نصين على الأقل، ناهيك عن انفتاح الكاتبة على الآخر، من خلال وصف بعض التجارب المدنية والحضارية الرائدة، بما يحمله النص الوصفي من مضمرات تحث على ضرورة الاستفادة من تجربة التطوير والإنماء، بخاصة في نصوص "معجزة موسى، وانشقاق البحر في كوريا" و"الشمس المهاجرة " و"متعودين يا سيدتي الإماراتية متعودين!".

إن ما يتطلع البحث إلى إبرازه الكشف عن إستراتيجية الإقناع لدى الكاتبة في هـذه النصوص المختارة، متوخيا منهجا وصفيا يعتمد قواعـد تداولية لينة فـي قراءة النصوص، غير متوغل في تحليل المضمون، توخيا للصرامة العلمية التي يحرص عليها التحليل اللساني في أدبياته النظرية، فهدف البحث، على ما خطط له، إبراز خصائص القول لسانيا، وأبعاده الحجاجية، وإن كان فصل الدال عن مدلوله في حدث التلفظ أشبه بالمستحيل.

وانطلاقا من هـذه الرؤيـة الكلية لـن يتـورط البحث فـي تتبع تفاصيل البنية الصرفية أو التركيبية أو المعجمية إلا بالقدر الذي يسنح بإبراز طرائق الحجاج وأدواته في النصوص المعينة، فالتحليل التداولي، وإن كان مؤسسا على العلاقات الصرفية والتركيبية والمعجمية والدلالية إلا أنه مولع بتحويل الأنساق إلى أفعال يجري البحث عنها في صيرورة الخطاب، وحركيته الاجتماعية بالدرجة الأولى، مما يفسح المجال للقارئ كي يسِمَ الخطاب بانسجامه الذاتي داخليا بين مكوناته اللسانية من جهة، وانسجامه الخارجي مع العالم الذي يعبر عنه، ويصوره، هذا ويقوم التحليل النصي التداولي على مباشرة المحاور الآتية:

أ) السرد تقنية حجاجية مائزة

فـي نصها "العشق والاستغفال" تنخرط رقيـة سليمان فـي نسج خيوط حكاية حدث لشخصية متخيلة سقطت في حبائل المكيدة الاجتماعية، ومخادعة الآخرين جراء غفلتها، وسذاجة تفكيرها، فقد قادها تسرعها، وجريها وراء العاطفة، والاشتهاء إلى الوقوع في مأزق اجتماعي حقيقي.

لقـد صـور النـص السردي الذي تتضافر فيـه عناصر السردي الأساسية من شخصيات، وحكاية حدث مركزي، وزمان ومكان، وحبكة جلت الصراع النفس

والاجتماعي في بعض أبعاده التخاطبية مأساة الرجل الشرقي الذي يندفع إلى إقامة علاقة عاطفية، قد تتطور إلى علاقة ديمومة برباط الزواج من أول نظرة تقع عينه على فتاة الأحلام المتخيلة، دون أن تكون هناك دراسة عقلانية واجتماعية للشخصية المطلوبة.

فقد تسارعت أحداث الحكاية، وتفاعلت شخصياتها تفاعلا إيجابيا ظاهرة لمساعدة البطل المفترض على الوصول إلى محبوبته التي تعرف عليها بنظرة عابرة في إحدى الأسواق، وها هو يتقدم إلى خطبتها، ويتمم الزواج منها، ويعاونه على الوصول إلى موضوع القيمة مساعدون من أهلها على طريقة الحكايات العجائبية التي تجسد التفكير الساذج والبدائي للعلاقة الاجتماعية بين الناس، وبالرغم من انهماك بعض المقاطع الوصفية في عرض جوانب الموقف، وتصوير الظروف الحافة، فالمحبوبة المطلوبة أرملة لها أبناء ثلاثة، والطالب المنفعل في فضاء الحكاية أب له أبناء أيضا، ومع هذا التناقض الذي يفترض توقف الحدث في لحظة زمنية محددة بالنظرة العابرة في السوق إلا أنه امتد، ونمى نحو عقدة قصصية محبوكة الأواصر، كاشفة عن أنماط من السلوك الفردي، والاجتماعي السائدة بصورة تلقائية، تعكس عفوية الإنسان، وإيغاله في العاطفة في مقام يتطلب التعقل، وتملك الذات. إن تسارع الأحداث المروية على لسان الشخصية المحورية المنفعلة، والناطقة بلسان حالها يشبه استدعاء ذكريات سيرة مريرة تصور تجربة تآمر المجتمع على رغبة الإنسان، مستغلة ظروفه النفسية والعاطفية، غير آبهة لمخاطر الخداع، والتحايل الشرعي على النسيج الاجتماعي.

إن الخطاب السردي المنجز يضمر فعلا كلاميا أساسا يتمثل في الدعوة إلى بناء العلاقة الاجتماعية على أساس من الصراحة والإخلاص والعقلانية في الاختيار.

كما يندمج الخطاب في سياق فعل النقد الذاتي للبنية الاجتماعية، وسلوكها، وأطرها العليا وتصورها للحياة، وكيفية تمثلها للشرائع والقيم.

لقد بني النص المعين على نظام مقطعي متدرج يتداخل فيه الوصف مع السرد، تارة، وهيمن فيه الوصف تارة أخرى، متسقا مع عرض الإطار المكاني والزماني والشخصيات الفاعلة في الحدث، ومن نماذج اللوحات الوصفية الموطئة للحدث، والمتحكمة في استمرارية فعل السرد وصف مكان إقامة المرأة المطلوبة (موضوع القيمة): «وحين دخلت منزلهم وجدته قصراً منيفاً لا يتواءم قط مع وضعي الاقتصادي! برغم شغلي وظيفة مرموقة. قابلتُ والدها وإخوتها، وكان الأمر انسيابياً بدرجة عجيبة حين رفضوا قبول مهر أو مسكن خاص أو إقامة حفل زواج، باعتبار أنهم كسبوا إنساناً في أخلاقه، رجلاً في سلوكه»، كما انغمست الذات الساردة في فعل الوصف من خلال تقديمها للوحة جمالية تصور الجمال الخلقي للمحبوبة لا تخلو من إثارة وتلذذ شهواني، يدرج حضور المرأة في صميم فعل الإغواء واللذة، وقرائن هذا التشكل قول الواصف: «وإن سألتم عن حبيبتي فجمالها فتان وحديثها عذبٌ وعقلها راجحٌ، وخفة دمها طاغية، عدا أنها متحدثة بارعة، ذات أناقة متناهية في الذوق ورائحة كالأريج! وحين تكون نائمة ببراءة أتأملها» فقد ركزت هذه اللوحة وصفها للصفات المعنوية، التي تملك سلطة تأثيرية على صنف من الناس منها: الجمال والعقل وخفة الدم وحسن الحديث والأناقة والبراءة، ولعلها صورة مثالية لحب حالم!!.

أما صور الإغراء فتلمح من إيحاء ما يحدث بين كل الأزواج في الليلة الأولى والثانية والثالثة: «قضينا سوياً الليلة الأولى في فندق متميز كأجمل سنوات العمر، وتلتها الليلة الثانية والثالثة». وفي سرد الراوي الذي يصور مقدمات الوصال التي تسمح بانفلات هوس الجنس، وتغلغله في شخصية الرجل في الفضاء النصي للحكاية،

واستحواذه من جهة أخرى على تفكير المبدعين الذين يرونه أداة تأثيرية مقصودة للإيقاع بالمتلقي في حبائل الغواية، تمهيد لشن حركته المقاومة لأطروحتهم، ودعواهم التي يحاجون من أجلها من شواهد ذلك البوح التالي: «أقتربُ منها وأمسك بيدها وأقبلها وأنا ما قبلت يد أمي أو أبي قط! ووددتُ لو قبلتُ قدمها وأظافرها وشعرها الأسود! وأجدني وأنا الرجل الراشد لا أستنكف أن أشمَّ رائحة ملابسها!»، إلا أن حركة الحدث، وتسارع تفاصيله سرعان ما تعيد النص إلى التشكل السردي عبر توالي المقاطع السردية، من مثل ما تجسده المقاطع التالية التي يقتحم فيها سرد الأحداث وصف الحالة النفسية والعاطفية للزوج المبهور بجمال محبوبته، فقد قضيا سوياً الليلة الأولى في فندق متميز كأجمل سنوات العمر، وتلتها الليلة الثانية والثالثة.

وإن سألتم عن حبيبتي فجمالها فتان وحديثها عذبٌ وعقلها راجحٌ، وخفة دمها طاغية، عدا أنها متحدثة بارعة، ذات أناقة متناهية في الذوق ورائحة كالأريج! وحين تكون نائمة ببراءة أتأملها فتتضاءل نفسي أمام خالقي شكراً له على أن وهبني هذه الإنسانة، ولم يُطِلْ عليَّ لواعجَ الاشتياق ولوعةَ الانتظار وقسوة البعد! أقتربُ منها وأمسك بيدها وأقبلها وأنا ما قبلت يد أمي أو أبي قط! ووددتُ لو قبلتُ قدمها وأظافرها وشعرها الأسود! وأجدني وأنا الرجل الراشد لا أستنكف أن أشمَّ رائحة ملابسها! كانت هي تتعب فتنام وكنتُ أتعب فلا أستطيع النوم خشية أن أكون في حُلم فأستيقظ وأفقد حبيبتي! واستكمالاً لهذا الكرنفال الفريد وددت قضاء شهر في أوروبا التي طالما تمنيتُ أن يرافقني إليها من يشاركني مشاعري. أنهيتُ إجراءات السفر بينما تركت الحبيبة تودع أسرتها، وحين هاتفتها لأستعجلها، لم ترد عليَّ إطلاقاً برغم إعادة الاتصال! وحيث لم يبقَ إلا وقت قصير على موعد إقلاع الطائرة حملت حقيبتي، وذهبت لمنزل والدها. وقابلت أحد إخوتها فاعتذر لي بلطف بعدم سفرها

معي! وعندما طلبتُ مقابلتها عاجلني أخوها الآخر بإطلاق قنبلة بددت الحلم: انتهى الفيلم يا بطل.

إن خرق أفق انتظار المتلقي تشكل عبر مفاجأته بما لم يكن متوقع في صيرورة الأحداث، فقد توقف الوصل، وتحول إلى انفصال بقطع الاتصال المفاجئ بين الزوج وزوجته، واعتراض الإخوة على السفر، وإلى هذا الحد قد يبدو الوضع غير مثير للدهشة فقد يكون السبب عارض صحي أو حادث من نوع ما، لكن مالم تتوقعه الشخصية المحورية المنفعلة فأن يتخذ هذا الزواج حيلة شرعية عبر عنها النص ب تحليل الزوج الأول.

إن هذا التفسير المفاجئ الذي تحكيه الشخصية، والذي عد خاتمة غير متوقعة لفيلم سينمائي درامي بكل المقاييس الفنية والاجتماعية يعد بؤرة الحدث، بل وأطروحته الأساسة التي ارتأت الكاتبة عرضها مجانبة الأسلوب المنبري المباشر في شرحه، ونقده اجتماعيا وأخلاقيا. إن خرق التوقع في الحقيقة خرق لقوانين الخطاب، وشرائطه الأساسية، والتي نقلته من مجرد السرد والوصف إلى إنفاذ فعل الرفض، ومطالبة المجتمع أن يعيد النظر في سلوكه وتفكيره.

أما الموقف الذاتي الذي أنجز فعلا تعبيريا أساسيا هو الاعتراف بالخطأ فقد أوقعه المقطع الختامي «فوجدتُ أنني كنتُ مندفعاً وساذجاً ومغفلاً! فبكيتُ بكاءً مراً! وبكيت لأنني شعرت بالاستغفال والهوان وهدر الكرامة بسبب نظرة طائشة وعاطفة جارفة! لم أجد بداً من إرسال ورقة الطلاق بعد مرور أسبوعين على حكاية التسوق إياها». لقد بدا ضمير الغائب العائد على شخصية الزوج الأول الهزيلة في ظاهر الحدث موسوما بالغباء في وصف السارد ضميرا مهيمنا يحين الشخصية الفاعلة

بالرغم من غيابها النصي، ويجعل من شخصية الراوي السارد البطل شخصية منفعلة بالرغم من حضورها البارز والمهيمن في الخطاب.

أما الزوجة فقد حضرت بوظيفة سلبية غير نامية من حيث كونها شخصية جامدة منفعلة في جميع الأحوال. لقد عبر المقطع الختامي في قيامه على المفارقة بين حالين، والمقابلة بين صورتين عن عمق الصراع بين الحب والإخلاص والجمال بالرغم من تصويره في صورة سذاجة وغفلة واستسلام، و اللاحب واللاخلاص واللاجمال بالرغم من وسمه بالغباء والجفاء، إلا أن هذا الصراع مازال طافحا بالأمل في الوصال فإن لم يكن ذلك اليوم، فلعله يكون غدا في عالم الحلم أو الآخرة.

هذا وقد تشكلت المفارقة في هذا المقطع في المستوى الصرفي بتوظيف صيغتي اسم الفاعل والمفعول بدرجة متكافئة تقريبا، ومن أمثلة ذلك: مندفع - ساذج - مغفل - طائشة - جارفة. كما يكشف هذا النص عن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية التي تعكس نمط العيش، وثقافة الاستهلاك (التسوق - فندق متميز)، وأذواق الأفراد (احتساء فنجان من القهوة - قضاء شهر العسل في أوربا)(١٢)، ورؤية المجتمع للعلاقات العائلية (ذلك الملاك الجميل الذي أيقض مشاعري بعد سبات طويل)،

---

(١٢) يضمر هذا التعبير زيادة على ما استلزمه من دلالة اجتماعية تعكس بعض تقاليد الزواج في بعض المجتمعات، وعند بعض الطبقات نظرة الأنا للآخر، وصورة الغرب الأوربي الجميل والمتحضر في مخيال العربي الباحث عن اللذة والمتعة والسياحة والجمال في ثقافة وحضارة الآخر، وهذا الخطاب المضمر يعبر عن انسلاخ الذات وذوبانها في الآخر في حقيقة الأمر، ولا يمكن أن يكون مجرد تعبير بخاصة وأن قراءة تأويلية تقوم على تعاضد الخطابات، وانسجام أطروحتها يمكن أن تستفز الموقف السلبي من السياحة الاجتماعية داخل الوطن الذي لا تتوافر فيه أدنى مسببات الراحة ناهيك عن أن يكون مكانا مناسبا لقضاء حلم العسل، انظر نص مواطن وسياحة داخلية.

ولعل تحليلا معجميا سيفرز لنا عددا من الوحدات الاجتماعية المنضوية تحت سجل معجمي واحد في موضوعته الأساسية، مثل سجل الزواج الذي تستدعى فيه لكسيمات مثل: المهر الخطبة – الأبناء العمر – الوالدين – المسكن الحفل – الإخوة – المنزل – ورقة الطلاق – قصة حب.

ب) وظيفة الحكي في النص الإعلامي

استدعي الحكي(١٣) بوصفه أداة تعبيرية خلاقة تتماهى عبرها المكونات النصية الداخلية مع القيم الإنسانية المقامية، قصد تشكيل البناء النصي الحامل للثقافة الجمعية، فالحكي مسألة ثقافية متصلة بالأطر الذهنية السائدة اجتماعيا، ناهيك عن تحكمها في عمليتي الإنتاج والتأويل(١٤).

---

(١٣) يعد الحكي فعلا قوليا إنسانيا مصاحبا للتجربة اللغوية البشرية، فمنذ عهود غابرة انطلق الإنسان في حكاية تاريخه، وقص الأحداث التي شهدها لأبنائه وأحفاده، تلك الأحداث التي شارك في إنجازها، أو كان شاهدا على وقوعها، وربما تصورها، ومحاولة تثبيت ذلك بالكتابة أو النقش والتصوير أو المشافهة، فلقد ابتدع الأوائل الكتابة لتكون أداتهم الطيعة لتثبيت الوقائع في ذاكرة الزمن، بعد أن فشلت الرواية في ذلك، إمعانا منهم في ربط الحضارة بالحكي. فالسرد من الناحية الثقافية لا يميز حضارة من أخرى، كما دلت الدراسات النفسية والتربوية على أن من أولى مكتسبات الطفل في سنينه الأولى تملكه كفاية الحكي، فالسرد والقص كفاية نفسية ومنطقية وقولية وسيميائية، انظر جمل كديك، **"السيميائيات السردية بين النمط السردي والنوع الأدبي"**، بحث منشور ضمن أعمال ملتقى "السيميائية والنص الأدبي"، بمعهد اللغة العربية بجامعة باجي مختار- عنابة، الجزائر، ١٧ مايو ١٩٩٥، ص ٢٧٨ وما بعدها.

(١٤) عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص ٢٤٧. وانظر أيضا تطور البحث في السرد بخاصة من الناحية السيميائية، عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ص ١٢٩ وما بعدها.

وفي سياق البعد التداولي لظاهرة الحكي تنزلت ثلة من الدراسات اللسانية والنقدية والسيميائية والاجتماعية والنفسية والأنثروبولوجية مؤطرة مسألة الحكي في الخطاب العام، والخطاب الأدبي بخاصة، من خلال أعمال فلاديمير بروب في دراسته للحكاية الشعبية الروسية، ثم دراسات وليام لابوف الاجتماعية، والتي نهضت على مكاشفة هيكل البناء القصصي، وأصوله العميقة في التركيب، باعتبارها مؤشرا على ما عرف لا حقا بالبنية القصصية العليا، الثاوية خلف التنوعات النصية(١٥).

كما ارتكز التحليل النفسي للقص على إبراز المنظور الذهني والحالة النفسية المتغيرة، والتي تعكس البعد القيمي لرؤية العالم عند الكاتب السارد، والتي يتم تسليطها بحدث التلفظ على الشخصيات(١٦).

أما نظرية تحليل الخطاب فقد اتجهت في مباشرتها السردية إلى محاولة بناء نحو قصصي (Grammaire de Reci) تأسيا بمفهوم نحو النص في إطاره الشمولي، على أن يقوم هذا النحو بوصف وتحليل خصوصيات البناء التركيبي، والتي يمكن عدها منظومة قواعد خطابية تضبط فاعلية السرد، وتضمن تماسكه الشكلي والمضموني، باعتباره بنية مشهدية نامية، تتدرج فيها الأحداث لتصل إلى لحظة من التأزم والتعقيد.

---

(١٥) انظر: حميد لحميداني، **بنية النص السردي**، ص١٠، كما بين لابوف قيام القص على قواعد كلية تشكل البنية العليا (Macrostructure) هي: التجريد والتوجيه والتعقيد والحل والمقطع الختامي، فبينما يضطلع التجريد بتحديد الإطار الزماني والمكاني والشخصيات، تقدم قاعدة التوجيه أهمية القصة محققة خاصية التشويق التي غادة ملمحا نصيا مميزا في الحكي، أما المقطع الختامي فيمثل المخرج اللغوي بجملة أو بضعة جمل تلي حل العقدة، انظر توسعا: Vanjk,Discourse as structure and process, p195، وانظر أيضا عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص٢٤٧.

(١٦) المرجع نفسه، ص ٢٤٨، وأيضا Ibid ,p196-198.

ثم تسير نحو الانفراج، ثم الحل(١٧)، وفي هذا السياق تقع اهتمامات **فان ديك**، المسلطة على تحليل النص السردي بخاصة في كتابه "علم النص، مدخل متعدد الاختصاصات"، فقد تصدى إلى وضع خطاطة البنية العليا للنص السردي، وضوابطه اللسانية والتداولية(١٨)، مستثمرا في ذلك مجمل التصورات التي أنتجتها حركة البنيوية السردية والسيميائيات السردية والتداوليات، وتتكون هذه البنية المجردة عبر بناء طبقي استدعائي من قيمة أخلاقية تنقلها الحكاية من خلال حبكة مشكلة من ترابط مشهدي يحيل على إطار موضوعي، ومقامي معين، تنجز فيه الأحداث الكلامية من حيث كونها أفعالا اجتماعية(١٩) متدرجة من عقدة إلى حل(٢٠).

إن الإفاضة في هذا السياق النظري إطار مصاحب لما تعتزم الدراسة مباشرته في بنية الحكاية المضمنة في الخطاب السرد إعلامي(٢١)، والذي يمثل له من المدونة نص "العشق والاستغفال" بهدف تيسير وصف بنيته العليا باعتباره نصا سرديا، بغض النظر

---

(١٧) Ibid ,p197.

(١٨) انظر: فان ديك، **علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات**، ص٢٣٠.

(١٩) كانت البدايات الأولى لنظرية الأفعال الاجتماعية قبل الحرب العالمية الأولى مع رينباخ، الذي دعا إلى ضرورة التمييز بين وصف الأعمال الاجتماعية وتفسيرها، من ناحية، وضرورة الفصل بين الأقوال التي لها قيمة تصديقية، والتي لها قيمة تصورية، والمقصود الحدث أو العمل الاجتماعي، الفعل المنجز بمجرد التلفظ بقول ما، مما يخلق سلسلة من الالتزامات والحقوق بين المتكلم والمستمع، انظر توسعا: جاك موشلار، آن ريبول، **القاموس الموسوعي للتداولية**، الفصل الأول، نظرية الأعمال اللغوية، ترجمة شكري مبخوت، ص ٤٦.

(٢٠) انظر: فان ديك، **علم النص مدخل متداخل الاختصاصات**، ص ٢٣٠ و٢٣١.

(٢١) يقصد بها المصطلح الجامع تفعيل السرد لخدمة القيمة الإعلامية للنص الإعلامي، تمييزا له عن السرد القصصي، وهذا المصطلح من وضع الباحث.

عن كونه مكتملا أو ناقصا من حيث تقنيات البناء والتشكل الدرامي، وعدّ ذلك مدخلا تأسيسيا لتصور الثابت والمتحول في القصة الإعلامية ذات البعد الحجاجي، إذ تحاجج أصالة عن أطروحة اجتماعية، وقيمة أخلاقية معينة لا يتم الإفصاح عنها بداية، فما من شك في كون القصة المضمنة في خطاب الكاتبة الصحفي الإعلامي غير مقصودة لذاتها، من حيث كونها مؤدية لوظيفة شعرية سردية، وإنما الغرض منها الإقناع بالأطروحة التي تعكس رؤية الكاتبة وموقفها من بعض السلوكات الاجتماعية الناشزة عن القيم النبيلة، مثل الوفاء والإخلاص، والفهم الموضوعي للشرائع.

وتنطلق المباشرة السردية للنص المعين من سؤال منهجي مهم، هو: ما هي الأسس البنوية المعتمدة لتأويل هذا النص سرديا ليتسنى القول بكونه خطابا سرديا؟[٢٢] الحقيقة إن الإجابة عن هذا السؤال مرتبطة بوصف العناصر التالية :١- العنوان، ٢- الشخصيات، ٣- الزمان والمكان، ٤- العقدة، ٥- الحل. فانطلاقا من عنوان النص "العشق والاستغفال"[٢٣] تتسرب إلى ذهن القارئ دلالة رئيسة هي دلالة المفارقة بين حالتين متضادتين، هما حالة العشق الذي يتطلب أمانا، وإخلاصا، والاستغفال القائم على الخدعة، والضحك على ذقون الناس، فيضحي قيمة سلبية مناوئة لقيمة إيجابية تطفح بها لفظة العشق، مما يكون مدعاة لإثارة سخرية القارئ من العاشق المغفل، من ناحية، وإقباله على معرفة المزيد عن هذه الصورة وأحوالها من جهة ثانية.

---

(٢٢) انظر: عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص ٢٥١.

(٢٣) عن الوظيفة التنبيهية للعنوان، وأهمية العنونة وقواعدها ينظر: الجزار، محمد فكري، **العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي**، (د ت ط) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٢١ وما بعدها.

كما إن لعبة المفارقة القائمة على الجمع بين الصور والمواقف المتضادة تعبر في الحقيقة عـن البعـد الواقـعي فـلا نكاد نجـد واقعا عينيا لا يمكن النظر إليه نظرتين متعارضتين، ولا يحيط به الفكر في مفهومين متعارضين، فإذا أريد الوصول إلى معرفة عميقة بالشيء فلا مناص من استدعاء المتضادات اللغوية[٢٤].

إن هذا العنوان الصادم لأفق التوقع كغيره من عناوين النصوص الإعلامية يخاتل فكر القارئ، ممارسا عليه فعلا طلبيا ضمنيا يدعى عـبره القـارئ إلى الانتباه، والشروع في عمل القراءة[٢٥]، هذا وقد بني هذا الخطاب على مقدمة افتتاحية تشبه في سندها القـولي[٢٦] للـذات السّاردة استهلال سائـر الحكايات والروايـات والقـصص القصيرة.

أمـا النـص الحكائي فخلاصته وقوع شخصية فـي مكيدة نسائية تحولت من خلالها إلى محلل شرعي، يمكّن المرأة المطلقة من الرجوع إلى عصمة زوجها الأول، محققة بفعل الخدعة دلالة الاستغفال التي أشّر لها العنوان، بل يمكن القول بأن البناء المجرد الذي صاغه **فان ديك** يتحقق في هذه الحبكة [٢٧]، كما تقدم الحكاية رسما سريعا

---

(٢٤) انظر: وعزيز، الطاهر، **المناهج الفلسفية**، ط١، المغرب، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠، ص ٧٣ و٧٤.

(٢٥) يمارس الخطاب الإعلامي الصحفي بعامة فعل الغواية النفسية لجلب أكبر عدد ممكن من القراء الذين تستهويهم العناوين البراقة والمخضبة بدلالات التناقض والعبثية والانحراف عن مألوفات الصور.

(٢٦) وظيفة السند القصصي لراو مفترض علامة مائزة في الخطاب السردي، ناهيك عن دور الإيهام الذي يضطلع به في تكوين فضاء واقعي تتحرك فيه الأحداث، ومن ثم التأثير في المتلقي بواقعية الأحداث، انظر أيمكن بكر، **السرد في مقامات الهمذاني**، ص ١٣ وما بعدها.

(٢٧) انظر: فان ديك، **علم النص**، ص٢٢٦ وما بعدها.

للشخصيات الأساسية، مثل شخصية البطل الضحية، والبطلة المخادعة (الزوجة الجديدة)، وأهلها الذين جمعوا بين صورتين متناقضتين فهم في الصورة الأولى مثل للين والأمانة والمصاهرة الطيبة، وهم في الصورة الثانية مثل للغلظة والمخادعة وسوء الأخلاق.

كما تظهر الخدعة في مستوى ضمني من خلال خداع الزوج الضحية لزوجته الأولى وأولاده، فقد امتنع عن إخبارهم، معتقدا أن ذلك حق خاص به. أما المكان فمتغير عبر مسافة النص، فهناك السوق، وهناك المسكن الجديد، وهناك البلاد الأخرى (شهر العسل)، وهناك سكن العائلة، كما تميز زمن القص بالامتداد من الماضي إلى الحاضر. كما تأطّر الحدث الرئيس بسياق نفسي مصاحب لعرض الشخصيات مع بداية القصة تزدحم فيه دلالات العشق والحب والمودة في أعلى درجاتها بين زوجين منسجمين، في مقابل سياق مصاحب للخاتمة يشي بعدم الأمن، والتناقضات الاجتماعية الصارخة.

أما الشخصيات فقد توزعت على نوعين شخصيات أساسة فاعلة، ومنفعلة (قابلة للأثر) من دون أن يكون هناك تدرج في نموها إذ تظهر في صورة ما مكتملة، ثم تظهر في أخرى مخالفة، بدون أن يكون هناك تدرج في تغيرها السلوكي، أو مواقفها الخاصة. بالإضافة إلى الشخصية الأساسية تظهر على مسرح القصة شخصيات مساعدة، ما تلبث أن تغير جلدها، ومن ثم وظيفتها لتضحي شخصيات معارضة في البرنامج السردي، وهم إخوان الزوجة الخادعة.

أما شخصية الزوج المغفل فقد بدت بحالين مختلفتين، في أولاهما ظهرت شخصية عاشقة، تولع بالنظرة الأولى، تغلبها العاطفة بل النزوة، فلا لها التفكير مليا، وكأنها تأخذ الزواج على أنه ترف اجتماعي، ليست له أية تبعات نفسية واجتماعية على

العلاقات الخاصة والعامة، مما يحين النص إلى إضمار رؤية اجتماعية للزواج أقل ما يمكن قوله عنها أنها رؤية سلبية. لقد أضحت شخصية العاشق المفتون بالنظرة الأولى محورا نسجت حوله خيوط الحبكة القصصية، فغدا العشق معادلا موضوعيا للاحتيال والاستغفال. هذا ويتنوع المكان بتنوع الأحداث، وتسارعها، فبينما سكتت القصة عن المكان العام (المدينة)، أفصحت عن أمكنة فرعية، مثل : السوق - السكن العائلي، كما سكت الوصف عن التغلغل في تفاصيل المكان انسجاما مع البنية الكلية للقصة القصيرة، التي سيطر على مسرح بنائها الحدث، باعتبارها قصة حدث بالدرجة الأولى(٢٨).

أما التركيز على وصف الحالة النفسية لشخصية الضحية، فقد حدث تلبية للغرض العام من الخطاب، وفعله الكلامي المنجز، كما يتغلف(٢٩) الحدث بزمن الحكي في الماضي مستمرا في الحاضر، وعلامة ذلك تداخل صيغ الماضي بالمضارع (الحاضر/ المستقبل).

يمكن الزعم إجمالا أن القصة مكتنفة بزمنين هما؛ الزمن العام للحكي، والزمن الخاص بواقعة الاستغفال، وكلاهما على لسان الراوي الضحية، الذي يحكي حدثا يمثل جزءا من سيرة ذاتية، بالإضافة إلى زمن تلقي الحكاية الذي يميز بوساطته بين زمن الحكاية العامة، وزمن الحكاية الإعلامية عند الكاتبة رقية سليمان. كما يصاحب حل العقدة شعور نفسي ذو بعد اجتماعي يدعو إلى تغيير السلوك الاجتماعي من خلال إنكار الحل، وعده ضربا من ضروب الخداع الاجتماعي، الذي يضعف حبال الأمان، ويخلل القيم الدينية والأخلاقية السائدة.

---

(٢٨) انظر: لحميداني حميد، **بنية النص السردي**، ص.

(٢٩) انظر: عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص ٢٥٧ .

لقد وضعت الكاتبة آراءها وأحاسيسها بأسلوب غير صريح بين مجريات الحدث، موهمة القارئ بواقعية الحادثة، مع إمكان حدوثها، واضعة إياه في حالة ترقب مستمر، وتأمل دائم لسلوكات المجتمع(٣٠)، التي تنحرف أحيانا عن المنشود من القيم، فترهن ثقة أفراده ببعضهم، عن طريق تسويغ ثقافة الاستغفال، والتمكين لرؤية الشطار والطفيليين الذين وصفهم الأدب القديم، وأمعن في الترويج لمكيافليتهم عن طريق المقامات، فليست الغاية مبررة للوسيلة !! .

يشير فان ديك (Van Dijk) إلى أن الحبكة من حيث هي تتابع للأحداث القصصية وفق منطق حكائي معين تمثل مشكلة الخطاب الأساسية (Probleme) الممثلة لبؤرة الحدث، وتعقيداته المعبرة عن جوهر الصراع بين الشخصيات(٣١)، وإن كان الصراع غير عنيف في هذه القصة، من خلال البحث في رؤية القاص عن حل أو مجموعة حلول متوقعة لحدث مركزي غير متوقع في انحرافه، وفي هذا السياق تظهر عقدة النص - كما مر بنا - في خداع الزوجة وأهلها للعاشق، الذي توقع استمرار الود والوصال.

من خلال الشروع في إنجاز برنامج السفر لقضاء أيام العسل خارج الوطن(٣٢)، غير إن ما لم يتوقعه هو صدود الزوجة (وظيفة المنع)، وإعراض أهلها، ومكاشفتهم له

---

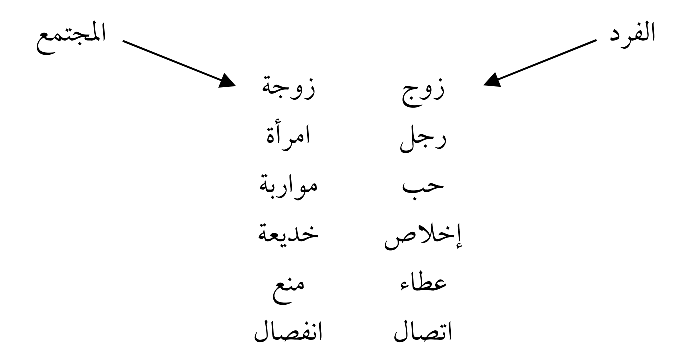
(٣٠) المرجع نفسه، ص ٢٥٨و ٢٥٩.

(٣١) يستدعي برنامج السفر إلى الخارج نصا آخر للكاتبة أعلنت فيه فشل السياحة الداخلية، وموقف المؤسسة الاجتماعية من ثقافة السياحة نفسها، ناهيك عما يضمره هذا البرنامج من إيحاء بعدم الأمن، والذي يعود إلى مخافة أن ينكشف أمره أمام أقاربه، أو أقارب زوجته الأولى، فالمكان الأكثر أمانا هو البلاد الأخرى.

(٣٢) Van Dijk,discourse as strcture and process, p 192-193

بالحقيقة التي وقعت عليه وقوع الصاعقة، فكان هذا الحدث مؤشرا على بداية الانفصال الضمني بين القول والفعل من جهة وبين الإنسان ومجتمعه من ناحية ثانية.

لقد خلق الحدث في تأزمه النفسي وضعية اللاتوازن في المجتمع عبر سلوك بعض أفراده، فالحدث غير قابل للتعميم، وسرعان ما انكشف زيف الزوجة، وادعاؤها الحب والود، وبدا أهلها مجرد محتالين بعد أن ظهروا بمظهر الوقار والأدب، مما يذكر القارئ بحكايات أبي الفتح السكندري الشيخ المحتال الوقور(٣٣). يوضع القارئ أمام ثنائيات متقابلة تختزل بنية صراع القيم الاجتماعية، مثل: (الزوج/ الزوجة)، (المرأة / الرجل)، (الحب/ الكره)، (الإخلاص/ الخديعة)، (العادات / الدين)، (الاتصال/ الانفصال)، ولنا تصور هذه الثنائيات في ضوء علاقة التقابل بين الزوج والزوجة:



أما الحل فقد كشف عنه في نهاية الحكاية من خلال افتضاح أمر البطلة المحتالة (الزوجة)، من خلال شخصية مساعدة هي شخصية الإخوان (أهلها) في تعبيرهم الرمزي عن المجتمع، وأسدل الستار عبر المقطع الختامي الذي عبر الضحية من خلاله على ألمه لفراق المحبوب الذي ترك فراقه كلما لا يندمل!!

---

(٣٣) انظر: عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص ٢٦٢ بتصرف.

ج) بنية الإخبار ونظام المقاطع في نص "الشمس المهاجرة"

في نص "الشمس المهاجرة" تسلك المحاججة نسقا آخر في دعوة التغيير الاجتماعي والثقافي، ذلكم هو نسق تفسير الحقائق العلمية، ونتائج الحراك التكنولوجي في العالم المتقدم، والاحتجاج بها على ضرورة تغيير الواقع الاجتماعي في تطلعه الساكن للمستقبل، وسلوك مسلك العلم والإبداع، لتحويل هذا التطلع إلى حقيقة حية.

وبالنسبة إلى الذات المتلفظة فإن النص يعرضها ذاتا مستأثرة منذ البدء بالمعلومة، إذ تتحول إلى مصدر للمعرفة يشع بتفاصيل مهمة عن الطاقة الشمسية، وجوانب استخدامها، ومزاياها على القارئ الذي يبدو جاهلا لتفاصيل المسألة، وعلامة جهله ارتكاز النص على عرض معلومات تبدو بسيطة أو أولية، لا تغرق في وصف تقنيات الظاهرة، وحيثياتها العلمية الدقيقة، وتشعباتها، فسؤال الكيف غير واضح في مسار التعبير، لذا فقد هيمن الوصف والإخبار في بعديه الشارح والمعرف للموضوع على سائر الأغراض الأخرى، ولعل الاقتراب إلى مقصد الباثة مرتهن بداءة بتقطيع النص إلى نسج مقطعية أساسة وفق مبدأ تغير وجهة الخطاب، وضميره المهيمن من جهة، وغرضه من جهة ثانية، فيكون النص مكونا من المقطع الافتتاحي الإخباري الأول الذي يعرض الأطروحة الأساسية ممثلة في عناية الغرب باستثمار وإنتاج الطاقة الشمسية باعتبارها طاقة بديلة: «تشارك عدد من كبريات الشركات الأوروبية المتخصصة في إنتاج الطاقة ونقلها، وتمويلها بمشروع (Desert Tec) لإنتاج الطاقة المتجددة باستغلال الطاقة الشمسية المتوفرة في صحاري شمال إفريقيا والشرق الأوسط ونقلها إلى أوروبا.

وتشير تقديرات الشركة إلى أن ما تستقبله صحاري العالم من طاقة شمسية لمدة ست ساعات فقط يكفي لاستهلاك سكان العالم أجمع خلال عام بأكمله! وتلوّح

تصورات (ديزرت تك) إلى إمكانية إنتاج صحارى شمال أفريقيا والشرق الأوسط في عام ٢٠٢٠م طاقة بقوة ٢٠ غيغا وات، أي ما يعادل إنتاج ٢٠ محطة تقليدية لإنتاج الطاقة، ويمكن التوصل لتأمين ١٥٪ من استهلاك الطاقة الكهربائية في أوروبا من تلك الشموس الحارقة. أما المقطع الإخبار الثاني فيقدم مبررات توظيف الطاقة الشمسية باعتبارها حجة عملية واقعية، تعضد موقف المحاججة في دعوتها الصريحة إلى استغلال هذا النوع من الطاقة: «وإن كان الوقت المحدد لتطبيق مشروع الطاقة الشمسية قد يمتد إلى عام ٢٠٥٠م، ويستغرق وقتا ليس بالقليل لأجل رؤية هذه المحطة الضخمة للطاقة الشمسية منصوبة في الصحراء. إلا أن المشروع ما زال في حكم الفكرة والتصور، برغم أن تكنولوجيا نقل الطاقة الكهربائية من شمال إفريقيا للشرق الأوسط وأوروبا متوفرة، ويمكن تطبيقها فورا، حيث إن هذه التجربة طبقت في الصين من خلال مشروع نقل طاقة تعادل إنتاج ست محطات نووية، كما أنجز مشروع ضخم لنقل الطاقة بين النرويج وهولندا عبر أطول خط بحري. ويذكر مسؤول التسويق بمشروع ديزرت تك، بأن مشروعا في تونس قد يرى النور في غضون خمسة أعوام قادمة، ويتعلق بربط محطات إنتاج في تونس بمستهلكين في إيطاليا» فتطبيق التجربة في الصين ودول أوربا وتونس حجة واقعية دامغة تبرر مشروعية الطلب، وتعطيه مصداقية تحققية.

أما المقطع الإخباري الثالث، فينخرط في فعل التفسير من خلال تعداد المنافع المادية والاقتصادية للمشروع موضوع الأطروحة، والحجاج بالمناقب من أهم أنواع الحجج التي تستهدف استمالة الآخرين، وتعديل مواقفهم، وحملهم على اقتناء السلعة المروج لها، وهذا البعد يمكنه أن يحول هذا النص إلى الإشهار فيضحي خطابا إشهاري بدرجة عالية في الإنجاز، تقول المحاججة:

«والمشروع المعروف باسم (Desert Tec) لا يتوقف عند نقل الطاقة فحسب، بل يولي أهمية لإنتاج المياه الصالحة للشرب في شمال إفريقيا، لذلك يعد هذا المشروع منقذاً للآلاف حين يتم تخصيص جانب من هذه الطاقة لاستخراج المياه الصالحة للشرب أو تحلية مياه البحر. وتكتسي تقنية نقل الطاقة الشمسية أهمية كبرى عندما ندرك بأن ٩٠٪ من سكان المعمورة يعيشون على بعد ٣٠٠٠ كيلومتر عن الصحارى. ليست العربية فقط، بل أيضا صحراء جنوب آسيا وصحارى الولايات المتحدة الأمريكية». كما يهيمن التفسير على المقطع الإخباري الرابع، والذي يحمل الأطروحة المضادة بعرضها وإثبات حججها انطلاقا من الحجة الرقمية.

وحجة تعديد المثالب التي تعبر عنها الخسائر المادية المترتبة عن نقل الطاقة عبر المسافات البعيدة، فهناك تخوف من فقدان جزء مهم من الطاقة الكهربائية أثناء النقل، كما هو الحال في المسافات الطويلة التي تفصل بين شمال إفريقيا وأوروبا، وعند نقلها بواسطة تيار عالي التوتر – وهي التكنولوجيا المستخدمة لمثل هذه الحالة – فإن الخسارة لاتتعدى١٠٪ لمسافة ٢٠٠٠ كيلومتر. ونقل الطاقة الشمسية يقوم على تحالف عدد ضخم من الشركات والتخصصات سيما حين يتعلق الأمر بنقلها خلال مسافات طويلة، حيث تشير التوقعات لاستثمار أكثر من ٤٠٠ مليار دولار أمريكي فيه. وتشارك شركات مالية مثل دويتشي بنك، وكذلك شركات إعادة التأمين. وهذا التحالف ضروري لتحويل هذه الرؤية وهذا التصور العجيب لواقع ملموس.

فالطاقة الشمسية ليست قليلة التكاليف بالمقارنة مع ما حققته تقنية إنتاج الطاقة بقوة الرياح في السنوات الأخيرة. كما ينهض المقطع الإخباري الخامس على سلسلة من الأفعال الكلامية المختلفة في إفصاحها عن موقف المحاجحة من تقرير للأمر الواقع ولفت للانتباه، والحث على العمل، ولعل هذا المقطع من خلال تداخل

الوصف فيه مع الإخبار والتنبيه يعد الأطروحة المركزية في خطاب الحث على ضرورة الاستفادة من خدمات الطاقة الشمسية باعتبارها طاقة بديلة.

وإن كانت المعلومات العلمية المتصلة بموضوع الطاقة فيما عرف به النص المعين مهمة بالرغم من انتشارها لدى عموم المتلقين إلا أن الأهم من ذلك تنبيه المؤسسة الاجتماعية إلى قيمتها، والشروع جديا في البحث عن خدماتها، ولعل المقطع التالي يؤكد هذا المنحى الحجاجي: «ويُعتبر مؤتمر ميونخ مرحلة مهمة في طريق التخطيط لتحقيق المشروع (إخبار)، وستشارك فيه جامعة الدول العربية بالإضافة إلى وزارة الطاقة المصرية (إخبار)، ولم يظهر لبلادنا الحبيبة (حس ولا رس)[٣٤] (إخبار) وإن كنا نأمل بمشاركة شمسنا اللاهبة في المؤتمر، وغيابها عنا ولو جزئيا (الله يساعدها) (طلب) لاسيما أنه سيعقد في ١٣ يوليو القادم قمة سطوعها وفضخها الرأس! (إخبار).

أما المقطع التالي فيسلك خاتمة الخروج بعد استنفاذ الطلب، وعرض الأطروحة الأساسية في سياق تهكمي غير مباشر، ينضح بتناقضات التفكير الاجتماعي الذي يرهن أولويات البناء الاقتصادي، والتقدم التكنولوجي بمعارك هامشية ووهمية، حول مواعيد الإجازات، في لوحة أشبه ما تكون بسؤال العابثين عن كبر الهلال وصغره، بدل من أن يسألوا عن أهميته في تنظيم حياة الناس، وضبط مواعيدهم الخاصة والمصيرية.

لقد وظفت المحاججة ضمير المتكلم المفرد لتؤكد للمتلقي عمق ارتباطها بما تؤمن، وبأهمية ما تؤمن به من ناحية أخرى، في مسعى حجاجي وثوقي يهدف إلى تنبيه

(٣٤) توظيف المثل الشعبي مهم في رهن الفكرة بالواقع، وتحقيق بعض الغايات الإبلاغية من تأثير جمالي وإيقاعي على السامع الذي يشده انهماك المثل في الصياغة الصوتية المتجانسة في حس/ رس على سبيل التضاد الذي تصطنعه لا النافية.

المحاجج، واستمالته للأطروحة الأساسية، ومن ثم التمكن من توجيه تفكيره على مهمات الأمور، ووضعها في مسارها التصوري السليم والنافع، وتوجيهها إلى سلوك التفكير الإبداعي الذي يضمن منفردا التطور الاقتصادي من جميع الجوانب: «أذكر لكم هذه المعلومات والحقائق المذهلة في الوقت الذي يتصارع فيه المعلمون وأولياء أمور الطلبة مع وزارة التربية والتعليم حول تقديم الإجازة الصيفية، باعتبار أن ولي الأمر هو من يتكلم ويطالب بعيداً عن الطالب، صاحب القضية المعني الذي نتمنى لو أنه يفكر قليلا ويتعلم كثيراً لعله يبتكر طريقة لتخفيف حرارة هذه الشمس أو الاستفادة منها وتقليص فواتير الكهرباء بدلا من نقلها لأوروبا(٣٥)، وإلى حين ينتهي الصراع، لا غابت لكم شمسا »(٣٦).

إن هذا الملفوظ في بعده الضمني يضمر بعدا توجيها مهما تحرص فيه المحاججة على ضرورة أن يعدل الناس من عادتكم التفكيرية السيئة في المستقبل الذي يحتمل بطبيعته اللايقينية الافتراضات والتكهنات انطلاقا من التجربة الحاصلة(٣٧). إن هذا

(٣٥) تكشف هذه العبارة الإخبارية عن وصف واقع مرير يمثله ارتفاع أسعار الكهرباء، فحال المواطن كحال العيس يقتلها الضما و الماء فوق ظهورها محمول!!

(٣٦) إن دعوة الكاتبة إلى الإفادة من الطاقة البديلة في ضوء تناقضات التفكير الاجتماعي لا تلغي الأمل في تحقق المطلوب في غد لا تغرب شمسه، واللافت للنظر انحراف دعائها أو أمنيتها عن القاعدة النحوية التي تضمن رفع لفظة شمس على سبيل الرفع بالابتداء، فأصل الجملة لا غابت لكم شمس، وبنيتها العميقة لا + شمس + غابت + شمس + لكم، أي نفي + اسم (مبتدأ) + فعل + فاعل + محذوف خبر متعلق بالجملة الفعلية = شبه جملة (حرف جر + ضمير في محل جر)، أما تقدير النصب على الاختصار فأضنه بعيد وغير مقصود.

(٣٧) انظر: روبير مارتان، **في سبيل منطق للمعنى**، ترجمة الطيب البكوش، وصالح الماجري ومساهمة البشير الورهاني ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٤٧.

النص موجه إرشادي مهم يهدف إلى إكساب الناس على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم العمرية ملكة التفكير العقلاني البناء والإيجابي.

إن ربط العنوان بالنص رافد نصي مهم لإبراز تفاعل الخطاب مع عالمه الواقعي من جهة، وقرينة مفيدة لتأكيد سمة الانسجام (coherence) من جهة أخرى. لقد حملت عبـارة العنوان في صورتها الإخبارية، وتشكلها الاسمي بعدا رمـزيا يحيل إلى دلالة الانفصال، والانتقال فمثلما تهاجر الطيـور عن مواطنها إلى مواطن بعيدة ومجهولة، تهاجر "الشمس الطاقة" من زمانها ومكانها وإنسانها إلى فضاء آخر وإنسان آخر ينتفع بها، ولقد كانت الهجرة دائما معلما على الاغتراب والفقدان والضياع!! .

د) وظيفة الوصف في تغيير المواقف من خلال "نجران والأخدود وما أدراك ما الأخدود"

يمثل المقطع الوصفي(٣٨) أصغر وحدة لسانية ينتهي عندها تقطيع الخطاب الوصفي، فهو بمثابة اللفظة التي تمثل الوحدة اللسانية الصغرى من حيث الدلالة في التقطيع المزدوج للسان، أما من حيث عدد الوحدات التي يتكون منها المقطع الوصفي فأقلها وحدة لسانية واحدة تمثلها صفة أو مركب جملي وصفي، وقد يستغرق المقطع صفحة أو عدة صفحات أو مجموعة من الأبيات الشعرية في نص إبداعي ما، إذ إن محاولة محاصرته كميا ستكون محاولة فاشلة، وذلك لطبيعته الاستحواذية على مفاصل الخطاب، ولبناته المختلفة، وعدم التزامه بفضاء نصي معين فقد يبدأ به النص، وقـد يختم به.

---

(٣٨) انظر: عبد اللطيف محفوظ، **وظيفة الوصف في الرواية**، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٩، ص ٢٤ و٢٥.

وقد يتخلل السرد أو الحـوار أو التفسير بدون سابق إنذار إلا رغبة النص فـي توجيه دلالاته وفق إستراتيجية قولية معينة تتغي تحقيق مقاصد المتكلم أو الكاتب(٣٩)، غير إن تحليل النص، والوقوف على بنياته الدالة يحتاج تحديدا إجرائيا للمقاطع انطلاقا من مبدأ الهيمنة ما دمنا غير قادرين على الظفر بمقطع مثالي يجرد لنا الصورة الأنموذجية للوصف على سبيل المثال.

ومن ناحية أخـرى سيتشكل المقطع الوصفي(٤٠) الكلـي من نظام متآلف من المقاطع الجزئية تكتمل بها هيئة الموضوع الموصوف، فتنتج بشكل متتابع، وبصورة خطية قـد تنكسر وتيرتها أحيانا بملفوظات أخـرى ذات توجه سردي أو حـواري أو

---

(٣٩) Adam et A.Petit Jean, le texte descriptif, p 106

(٤٠) يمثل المقطع الوصفي أصغر وحدة لسانية ينتهي عنها تقطيع الخطاب الوصفي، فهو بمثاة اللفظة في التي تمثل الوحدة اللسانية الصغرى من حيث الدلالة في التقطيع المزدوج للسان، أما من حيث عدد الوحدات التي يتكون منها المقطع الوصفي فأقلها وحدة لسانية واحدة تمثلها صفة أو مركب جملي وصفي، وقد يستغرق المقطع صفحة أو عدة صفحات أو مجموعة من الأبيات الشعرية في نص إبداعي ما، إذ إن محاولة محاصرته كميا ستكون محاولة فاشلة، وذلك لطبيعته الاستحواذية على مفاصل الخطاب، ولبناته المختلفة، وعدم التزامه بفضاء نصي معين فقد يبدأ به النص، وقد يختم به، وقد يتخلل السرد أو الحوار أو التفسير بدون سابق إنذار إلا رغبة النص في توجيه دلالاته وفق إستراتيجية قولية معينة تتغي تحقيق مقاصد المتكلم أو الكاتب. غير إن تحليل النص، والوقوف على بنياته الدالة يحتاج تحديدا إجرائيا للمقاطع انطلاقا من مبدأ الهيمنة ما دمنا غير قادرين على الظفر بمقطع مثالي يجرد لنا الصورة الأنموذجية للوصف على سبيل المثال، ومن ناحية أخرى سيتشكل المقطع الوصفي الكلي من نظام متآلف من المقاطع الجزئية تكتمل بها هيئة الموضوع الموصوف، فتنتج بشكل متتابع، وبصورة خطية قد تنكسر وتيرتها أحيانا بملفوظات أخرى ذات توجه سردي أو حواري أو تعليلي.

تعليلي، هذا وتتعدد وظيفة الوصف بتعدد الموضوعات النصية، إذا يقوم الوصف برسم معالم الحياة الإنسانية في مختلف أوضاعها الثابتة والمتحركة، متجاوزا حركة الشخوص ومظاهرها الخارجية إلى عرض أشياء عالمها الخارجي، في اتصالها بعالمها النفسي، كما يلتفت الوصف إلى الطبيعة فيرصد سكناتها وتموجاتها، وعلاقتها الضمنية بواقع الإنسان نفسه، في سياق سرد الأحداث، وإنجاز عملية الحكي، وهذا ما يعرف بالسرد الوصفي[٤١].

ولعل اندساس الوصف في السرد صورة متكررة للعلاقة القائمة بينهما في صلب النص الإعلامي بخاصة، إذ تروم الكاتبة تكثيف المعاني، محاولة ربط القارئ بسحر المكان وخلابة المنظر [٤٢]، فيتحول النص ذاته إلى حديقة غناء يستمتع بظلالها الوصفية الوارفة، فيستريح من عناء ملاحقة الأحداث برهة من الزمن استعدادا لمواجهة أخرى أكثر شراسة مع تفاعلات الحكي، وتعقيدات الشخصيات المتصارعة[٤٣].

---

(٤١) يرتكز هذا النوع على كثافة الأوصاف المستعملة في سياق الصفات والأحوال من خلال تعدادها في منظومة متدرجة، تنهض على التقسيم والتصنيف والتبويب وتصوير الوقائع والشخصيات والزمان والمكان، انظر: عبد اللطيف محفوظ، **وظيفة الوصف في الرواية**، ص ٢٤ و٢٥.

(٤٢) لعلنا لا نكون مبالغين إذا زعمنا تمركز وظيفة الإيهام في النص الوصفي في بؤرة الوظائف الأدبية التي يضطلع بها في حدث التلفظ، إذ كثيرا ما يعمد الوصف إلى تجسيد المعنوي، وإضفاء هالة من الصفات التي تحيينه في الزمان والمكان ليكتسب شرعية الوجود والفعل معا توطئة لإقناع المتلقي بوجهة النظر المضمرة في الخطاب.

(٤٣) انظر: محمد ناصر العجيمي، **الخطاب الوصفي في الأدب العربي القديم**، ص ٤٦ بتصرف شديد، وانظر: Adam, la description , p40-44.

إن هـذا المسعى الإثـاري والتأثيري هـو ما سعى إلى تحقيقه نـص: "نجران والأخدود، وما أدراك ما الأخدود"[٤٤]، فقد انخرط الوصف في سياق الإشادة بالمكان، وإبراز جمالياته، ملمحا في مطلع النص إلى ضمور الصلة بين الإنسان والمكان، هذا الضمور الذي ولد نوعا من القطيعة المعرفية، والانفصال الوجداني بين ما يفترض تلقه ببعض، وهـما الذات والمكان، فينفتح النـص على القـول التـالي: «يكاد المواطن يتوارى خجلاً حين يعرف عن حضارات العالم وتاريخها ومعالمها الأثرية ومدنها أكثر مما يعـرف عن بلاده! ولست أعلم لمن أوجِّه العتب، هل لقصور الوعـي السياحي لدينا؟ أم لعدم وجود وسائل الجذب السياحية؟ أم لأسباب أخرى؟!»، فقد تضمنت هذه المقدمة علاقة الانفصال بين المواطن وواقعه من جهة، وتاريخه الثقافي والحضاري من جهة أخرى إلى درجة المفارقة فما يعرف عن مكان الآخر أكثر مما يعرف عن مكان الأنا، وفضائها الذي يعبر عن انتمائها، وخصوصيتها، وفي هذا الموقف خلل ثقافي واجتماعي يسعى الخطاب إلى تصحيحه، ولفت الأنظار إلى مساوئه، مع إبراز أسباب تلك القطيعة.

أما صلب القضية، وعمودها فتتمثل في ضرورة الاعتناء بالبعد السياحي لمدينة تاريخية، تقف معالمها شاهدة على الحضارة القديمة، التي يستمد منها الإنسان بقاءه، فمنطقة نجران بوابة بلادنا الجنوبية من المناطق التي لم تأخذ نصيبها من السياحة، رغم

---

(٤٤) تكشف بنية التكرار في العنوان عن أهمية موضوعية وتاريخية للفظة المكررة "الأخدود"، إذ يتحول اللفظ بتكراريته إلى رمز تاريخي يستدعي أحداث التاريخ، المتصلة بالمكان، كما يكشف نسق الجملة الاستفهامية عن معنى التهويل والتجهيل، وإن كان معنى التهويل أقرب إلى فهم المتلقي انسجاما مع صور تهويلية أخرى بفصح عنها النسق القرآني الذي يحاول هذا النص في أكثر من مستوى محاورته (التناص القرآني)، ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾ القارعة، الآية ١٠-١١.

أنّ من يدخلها يشم عبق التاريخ ورائحة العراقة، ويشاهد مهد حضارات وثقافات ضاربة في القدم، ولا يكتفي الخطاب الوصفي في هذا النص بعرض صورة المكان مجملة، بل ينغمس في تفصيل مكوناتها طلبا للتشويق، والتأثير فمنطقة نجران شاهد عيان بآثارها المادية على أحدث تاريخية مهمة.

ويوضح المقطع التالي هذه التفاصيل المكانية المجسدة للمعنى باستخدام السرد التاريخي، والذي يفيد في هذا المقام في تأكيد قيمة المكان، وتنبيه المتلقي إلى ضرورة الاحتفاء به :«لاسيما منطقة الأخدود الأثرية الواقعة في الجنوب الغربي من نجران، المتميزة بالحفر العميقة التي حفرها الملك ذو نواس أحد ملوك التبابعة حين دخل نجران بجيش كبير، محاولاً فرض الديانة اليهودية بدلاً من النصرانية ديانة أهل نجران آنذاك، وقام بتخيير الناس إمّا اعتناق ديانته اليهودية أو الحرق، ورفض الناس دينه، فقام بحفر خندق كبير وأخاديد في الأرض وأضرم النار بها. وقضى ذو نواس بالحرق على ما يزيد على عشرين ألف موحد في مدينة كاملة!».

إن تعلق الوصف مع التفسير واضح من خلال تصوير مشاهد الحادثة، بشخصياتها، وأدواتها ومكانها بدقة متناهية، تكشف عن معرفة خلفية وافية من لدن الكاتبة بالمكان الموصوف، وهي في تصويرها التفصيلي تنقل المكان مكتملا في صورته إلى مخيلة المتلقي الذي بإمكانه تلمس جزئيات المدينة شاخصة أمام بصره فكأن الموصوف هو ذاته في الواقع.

لقد تغلغلت ألفاظ المكان في جسد النص مشكلة حقلا معجميا مهيمنا، انضوت تحته لفظات عديدة مثل: الأخاديد – المدينة المنكوبة – الصخور – المنازل – الرسوم الغريبة – الشوارع الضيقة – القلعة – التي تضم خمسة وعشرين مبنى – المحرقة المخلوطة برماد جلود الناس – بقايا العظام الهشة.

إن استدعاء الحقيقة التاريخية عبر تحديد الزمن وأسماء الشخصيات المحورية، والاستناد إلى الرواية الموثوقة شكل مهم من أشكال الحجاج العلمي الذي يتعلق بدوره بحجة السلطة ممثلة في رواية عبد الله بن عباس، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم. "القرى المحفوظة أربع: مكة والمدينة وإيليا ونجران"، وخبر ياقوت في معجم البلدان، إن بناء الحجج على منطق تدرجي بدأ فيه بالحجة الواقعية مستمدة قوتها من وصف الواقع العيني، ثم ثني بشهادة التاريخ المنقول من مصادر النقل المصدقة عموما عند عامة القراء، فالكاتبة توجه خطابها الواصف عن دراية بهوية القراء إلى فئة تدخل في تصديقاتها المعرفية النص الديني وتفسيراته المرجعية.

وعلى الصعيد الثقافي يوجه الخطاب إلى المكان سياحيا بحشد المزيد من الحجج التاريخية التي تنزع منزعا وثوقيا تجسده صيغة الفعل الماضي. إن النزعة الإخبارية التي تهيمن على المقطع التالي لا تقصد في الحقيقة الإشادة بجهود هيئة الآثار، وأعمالها التنقيبية فقيمة هذا الخبر تبدو ضئيلة لكونها لا تقدم لسابق معرفة القارئ معلومة جديدة. إن الغاية من هذا الفعل الإخباري توجيه المؤسسة المجتمعية بمختلف مستوياتها (سياح - مثقفون - دائرة الآثار) إلى المحافظة على كنوز التراث، وإغنائها بالبحث والعناية، وتوجيه المواطن إلى التمتع بجمالها، فترويج السياحة باعتبارها سلعة تقتنى، ومعوضا يجتبى أهم فعل طلبي يعلن عنه هذا الخطاب، وتفصح عنه الكاتبة المشهرة للمكان بأسلوب غير مباشر. كما يتجاوز الخطاب الإشهاري المعين عرض الحجج التاريخية والسلطوية شعورا منه بريبة نفسية يعانيها الزبون (طالب السياحة من المواطنين)، فيعمد إلى نشر الطمأنينة والأمان في نفسه ليقبل مرتاح الوجدان على موضوع القيمة.

وقد تأتى هذا الفعل التأثيري من تعبير الكاتبة عن مشاعرها، وموقفها النفسي من أهل نجران مما يعد إنجازا لسلسلة من الأفعال السلوكية التعبيرية التي تنقل

إحساس الإنسان وموقفه الخاص من الآخرين، فأهل نجران أهل شهامة وكرم، بل لهم ميزة خاصة في التعاون والتعاضد فيما بينهم، وعدم الاعتداء على غيرهم، وبرز ذلك إبان زيارتهم للرسول صلى الله عليه وسلم حين قال لهم: "بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا لم نكن نغلب أحداً. قال: بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم، قالها أربعاً. فقالوا عند الرابعة: كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنّا كنا نجتمع ولا نفترق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال عليه الصلاة والسلام: صدقتم".

إن هذا المقطع الوصفي الذي يتداخل فيه الحوار مع التقرير والتعليل يحقق وظيفة إقناعية، تتجلى في الاستشهاد بموقف الرسول صلى الله عليه وسلم من القوم، وإشادته بهم، والإشادة ببعض شخصيات المكان التاريخية إمعانا في الثناء والتعبير عن عاطفة الإعجاب والود، فـ: **قس بن ساعدة الإيادي** أحد مشاهير الخطباء في تاريخ الأدب العربي يتحول إلى رمز يستدعي الحقيقة التاريخية، ويستحيل معلما دلا على وجاهة المكان، وثقافة العطاء التي يزخر بها، ناهيك عن كونه وسيلة إقناعية تستهوي القارئ المثقف المعجب بالشخصية، فيحمل ذلك الإعجاب باختياره زيارة المكان، والتعرف عليه عن كثب.

كما إن الاستدلال بالقدماء من حيث كونه شكلا من أشكال الاحتجاج بالسلطة والرمز له تأثيره البالغ في نفوس المتلقين بخاصة من يؤمن منهم بصدق وإخلاص المتقدمين ونفاذ بصيرتهم، فيعدهم مصدرا من مصادر المعرفة الإنسانية(٤٥)

---

(٤٥) يشيد أفلاطون بقيمة القدماء أصحاب الفضل المعرفي على الإنسانية، زاعما قربهم من الحق، كما ذهب أرسطو إلى أهمية الاحتجاج بمذاهب القدماء بخاصة في المبادئ، ولعل اعتداده بمرجعية القدماء مرتبط بعلاقة رأيهم بالتجربة التي تقود إلى تعميم الحكم، انظر توسعا الطاهر وعزيز، **المناهج الفلسفية**، ص ١٢٦ و ١٣٠.

إن استطراد الكاتبة في وصف تفاصيل المكان، و التعليل لأطروحتها اعتمادا على الحجة الدينية بات مظهرا خطابيا طاغيا على خاتمة النص يؤسس لعلاقة وجدانية بين من رضي الرسول على سلوكه، وبين أتباع الرسول في كل زمان، فحري بالأتباع تقليد متبوعهم في رضاه، كما يزخر المقطع في قيمته التداولية بدلالات مضمرة سكت عنها منها ارتباط التمكين بالوحدة، فهذا المعنى يمثل فعلا طلبيا دعويا مسكوتا عنه في خطاب الكاتبة.

ولعلها لا تقصد إلى وصف المكان فحسب، بل تطلب من قرائها خاصة، ومن وراءهم من أبناء الوطن التزام الوحدة الشعورية، والتكافل اقتداء واتّباعا ففي ذلك الاقتداء، وفي تلك الوحدة مكامن القوة والتقدم. هذا ولا تخفي الكاتبة وثوقيتها في مراجع علمية تمثل البعد التصديقي لمصدر المعلومة التاريخية المستدل بها على الأطروحة، من خلال إسنادها خبر الرضا إلى ما رواه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مختصر السيرة النبوية، مما يعين على تصديق الخبر، والإذعان إلى سلطته الروحية والمذهبية.

وهذا الاحتجاج بالسلطة يكشف في الحقيقة عن معرفة وافية للكاتب بجمهوره، ومصادر تصديقه للمعرفة. لقد تورط هذا الخطاب في خاتمته في فعل طلبي صريح من جنس الأفعال الإنفاذية تطلب فيه الكاتبة من المواطنين زيارة نجران، والتمتع بمناظرها السياحية من خلال قولها: "ودعوة صادقة لزيارة هذه المنطقة الغالية" رابطة فعل الزيارة بدواعي المواطنة، و إبراز مخزون الوطن الأثري والحضاري والثقافي، وإظهار مكانته ودوره في مسيرة الحضارة الإنسانية. أما الفعل التعبيري الذي تحكم في إنتاج هذا الخطاب، والذي يمكن عده مناسبة له، فقد عبر عنه الملفوظ الختامي الذي اختارته الكاتبة لتوديع المكان: "وتحية إكبار لأهل نجران من جميع مشاركي ومشاركات الحوار الوطني الثامن الذي كان له دور بارز في تنشيط السياحة

الوطنية"، فقد أنجزت الكاتبة فعل التحية، وهو فعل تعبيري سلوكي(٤٦) يكشف عن عاطفة الكاتبة وموقفها النفسي من المكان وأهله في سياق التقائها بوفد نجران الذي شارك في الحوار الوطني الثامن، والذي كان له دور في تنشيط السياحة الوطنية.

إن هذا المقطع في ارتكازه على موضوعتي الحوار الوطني والسياحة الوطنية، يوجه في الحقيقة النص المعين إلى إنجاز فعل كلامي طلبي أساس غير مباشر يمثل مشروع الكاتبة، وتصورها لمسببات الوحدة الوطنية اختيارا أمثل لتحقيق الأمن والاستقرار والحوار البنّاء بين أبناء الأمة في أطراف البلاد الواسعة. كما تقوم استراتيجية الكتابة على أسلوب التأكيد الذي يهدف إلى تثبيت المحتوى المنصوص عليه في الدعوى الرئيسة.

وبالرغم من كونه لا يضيف معطيات معرفية جديدة لتوقعات المتلقي إلا أن تأكيد المعاني، وتقريرها صراحة أو إشارة أو تلخيصا يسهم في تحقيق الانسجام الداخلي بين قضايا النص من ناحية وعالمه الخارجي الذي يتشكل فيه ومن خلاله(٤٧) من ناحية أخرى، فقد عمدت الكاتبة في نصها "تقدير الذات، ثابت أم متغير" إلى إدماج معلومات لا تضيف في الحقيقة جديدا للفكرة الأساس "تقدير الذات" بوصفها موضوعا للخطاب، بل وظيفتها الأساسية تأكيد المعنى المقرر في جملة الاستهلال التي بدأت بها "يعمد البعض لتعزيز الثقة بأنفسهم للميل إلى توفير الإمكانات المادية،

---

(٤٦) J.R.Searle, les actes du langage ,ed Herman, Paris, 1972, p153-154

(٤٧) انظر: بروان ويول، **تحليل الخطاب**، ص ١٢٢، وانظر أيضا عزة الشبل، **علم لغة النص، النظرية والتطبيق**، ص١٩٤، ويمكن أن نمثل لقرائن تأكيد المحتوى في النصوص النثرية الوصفية أو التفسيرية بـ: على نحو مشابه – أريد تأكيد كذا – النقطة المهمة – بالإضافة إلى توظيف تقنيات الكتابة المتصلة بالخط كتغميقه أو إمالته بخاصة في الكتابة بالراقن أو الحاسوب.

سـواء بالحرص على الحصول على منصب أو النفوذ الشخصي أو المـادي أو بطريقة الملبس و أسلوب الحديث، بينما لا يمكن أن توجد الثقة بالنفس، وبالتالي النجاح ما لم يوجد الشعور بتقدير الذات"، فجملتا: توجد الثقة بالنفس والشعور بتقدير الذات في الحقيقة يسهمان فـي تأكيد محتوى الأطروحة الأساسية التي انفتح عليها النـص على سبيل تلخيص العبارة الاستهلالية.

كما تقوم الجملة الخاتمة "فالاضطرابات الحياتية والمشكلات المالية تشكلان مزيجا مرا، وهراوة قاسية لتحطيم سلالم تقدير الذات"، من خلال علاقة العكس التي تربطها بجملة الاستهلال بوظيفة تلخيص أسباب عـدم تقدير الذات التي توسّع النص في عرضها في المقطع التفسيري التعليلي التالي: «وبالمقابل فإن الذكريات التعيسة والتجارب البائسة المواكبة للقمع والاستبداد كفيلة باقتلاع الثقة بالنفس من جذورها أو حصدها إن وجدت، وهو ما يسبب انخفاض مستوى تقدير الذات والنظرة الدونية للنفس والخـوف من المستقبل. ولا يكاد الأمـر يتوقف عند الطفولة المبكرة؛ بل إن مرحلة الطفولة المتأخرة أو بداية مرحلة الشباب هي إما استمرار لرفع معدلات تقديـر الـذات أو الإجهاز عليها بالضربة القاضية. فتتابع خبراتنا الإيجـابية حتى سنـوات البلوغ تضيف درجات مرتفعة لمستويات تقدير الذات، وإحلال التجارب السلبية مكانها يجعل مستوى تقدير الذات يتقهقر وينخفض. ولا تعجب حين ترى أحد زملاء الدراسة وقد تردى مستوى تقديره لذاته برغم تميزه أثناء الطفولة أو الشباب. وقد تعذره حين تعلم أنه تعرض لتحول في مسار أحداث حياته كرحيل شخص عزيـز، أو بسبب تعرضه لحادث أو إصابته بمرض عضال، أو خسارة فـي تجارته أو فقده لوظيفته. فالاضطرابات الحياتية والمشكلات المالية تشكلان مزيجا مرًّا، وهراوة قاسية لتحطيم سلالم تقدير الذات».

هـ) السلم الحجاجي في نص: "خليج عربي أم إسلامي"

يقوم النـص المعين في بنيته الموضوعية على حـوار ضمني بين طرفين يدعـو أحدهما إلى وصف الخليج بكونه عربيا، بينما يؤكد الثاني فارسيته، حاشدين على لسان النص منظومة من الحجج والأدلة التي تدعم كلا الأطروحتين، فبينما يعتمد المحاجج العربي على سلمية حجاجية تغلب فيها الحجة المادية في طبيعتها الجغرافية، والتي تؤكد عن طريق وصف المكان وحدوده المساحية تغليب تسميته العربية، ويظهر هذا التوجه من خلال المقطع الوصفي الحجاجي التالي: "يبلغ المجموع العام لطول الساحل على الخليج نحو ٣٣٠٠ كم، حصة إيران منها نحو الثلث. ويسكن العرب على ضفتي الخليج سواء في القسم الغربي (عمان والإمارات والبحرين وقطر والسعودية والكويت والعراق) أو من الشرق في (إقليم عربستان) في إيران"، إذ يظهر هذا المقطع أحقية تسميته بالخليج العربي، لطول مساحته العربية بأربعة دول عربية أمام دولة فارسية واحدة، هي إيران، يمثل شريطها الساحلي الثلث من الطول الأجمالي، وهنا يتداخل الاستدلال الرياضي المعتمد على الإحصاء مع حجة تقرير الواقع.

كما ينفتح حجاج الطـرف الأول (الطرف العـربي) عـلى الاستدلال بالقدماء، وقـد عـرف هـذا النـوع مـن الحـجاج بسلطة المتقدمين فـي الفلسفة الأرسطـية، واتجاهات الفلسفة التقليدية بخاصة دعـوى قـرب المتقدمين إلى المعـرفة والحقيقة[٤٨]، كما يتم الاستدلال بالمعاصرين ورؤاهم وتجاربهم عند فئة أخرى بحجة تطور العلم، واتساع آفاق البحث الحديثة فغدت النظريات والتجارب ومستخلصاتها بمثابة أدلة

(٤٨) انظر: الطاهر وعزيز، **المناهج الفلسفية**، ١٢٦.

مادية على صدق الرأي المعين، تتخذ أمثلة ونماذج تربطها علاقة ضمنية بالموضوع المحاجج عنه(٤٩).

كما يعتمد النص الحجاجي نوعا آخر من الحجج يعرف بحجة العموم، وهي حجة تكتسب كفاءتها الإقناعية من المتعارف بين الناس، أو لنقل إجماع عموم الناس على صلاح فكرة ما، فقد استندت المحاججة إلى تعدد تسميات الخليج من طرف جهات عالمية عديدة، يضمر تعدد تسميتها بساطة الأمر الذي لا يؤدي إلى سلوك موقف أو التعبير عنه بصورة سلبية، ولعل المحاججة تعتمد موقفا علميا لم تفصح عنه تعبر عنه مقولة "لا مشاحة في الأسماء، مادام المضمون واحدا"، ويعرض المقطع الإخباري التالي هذه الحجة بقول الكاتبة: "رغم أن كثيرا من الممرات المائية العالمية والبحار والمحيطات تطلق عليها أسماء مختلفة بحسب موقعها، وهو أمر غير مستغرب حيث يطلق البريطانيون اسم (قناة إنجلترا) على الممر المائي بين إنجلترا وفرنسا، في حين يستخدم الفرنسيون اسم (بحر المانش) على نفس الممر"، ناهيك عما يوفره هذا المقطع من تمثيل بحالات مشابهة أخرى يمكن أن يستخلص منها الحكم نفسه على سيل القياس بالمثل(٥٠).

---

(٤٩) يقوم الاستدلال العلمي بخاصة في الرياضيات على التمثيل الذي يوجه الناظر إلى اكتشاف عناصر التشابه والاختلاف، فهو شديد الارتباط بالعملية الذهنية نفسها، لاندراجه في اللغة، ومن ثم صعب فصله عن الابداع اللغوي الأدبي الإعلامي، انظر توسعا وعزيز، الطاهر، **المناهج الفلسفية**، ص ٥٧و٥٩، وانظر أيضا علي سامي، النشار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧، ١/ ٤١ والجابري، محمد عابد، **نحن والتراث**، ص ٥٠ وما بعدها.

(٥٠) البرهان بالمثال أو القياس الفقهي ورد الغائب إلى الشاهد عند المتكلمين من صور الاستدلال الكثيرة التي عني بتطبيقها المتقدمون من فلاسفة إغريق وعرب، على وعي منا بوجود فروق

كما ينطوي نقد التسميتين ضمنيا عن اعتداد المحاججة من غير وعي بالإحراج المنطقي الذي يعني وضع رأين متعارضين، لكل منهما حجته في الجواب عن مسألة واحدة معينة، أو لنقل التشكيك في الأفكار المتضادة من خلال التسوية بينها(٥١).

إن إحساس المحاججة بوجود اعتراضات عديدة من طرفي الدعوى، وعدم إذعانهما للحجة العقلية أو المادية، دفعها إلى اعتماد حجة عليا تتمتع بقوة إنجازية فعالة على المتلقين جميعا، تسترفد نجاعتها من مرجعية المشترك، التي يمثلها الدين الإسلامي بكونه أهم عامل توحيد للطرفين اللذين يزعمان الإنتماء إليه .لقد كان الفعل القولي الطلبي صريحا للغاية من خلال الدعوة إلى الاحتكام إلى المشروعية الإسلامية العليا التي تستوعب كل الاختلافات الاسمية، إذ ظهر عدم الاقتناع من خلال إنجاز سلسلة من الأفعال التعبيرية والسلوكية المعبرة عن الموقف السلبي. ويبين المقطع الطلبي التالي دعوى المحاججة المبثوثة في نتيجة النص: "فلنجعل الخليج الإسلامي يقربنا، ويوحد كلمتنا لنهزم عدونا، ونصعد فوق خلافاتنا وننبذ تمايزنا بالألقاب والعنصرية وننتصر على أنانيتنا، ونغير من أنفسنا لأنها أهم من المسميات القابلة للتغيير"، هذه الدعوى التي حاولت المحاججة في مطلع المقطع إثباتها، والحث عليها بصيغة الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر، والمنسوب لضمير جمع المتكلمين من خلال

نظرية وإجرائية حاول بعض المفكرين التغاضي عنها مكتفيين بالشبه العام، انظر توسعا: النشار، علي سامي، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ص٤١.

(٥١) انظر: الطاهر وعزيز، **المناهج الفلسفية**، ص ٨٤، جدير بالذكر إن المسك الجدلي الأرسطي يعتمد الإحراج من حيث كونه استدلالا يوصل إلى نتيجة واحدة، انظر أرسطو، الطوبيقا، المقالة السادسة، ١٤٥ ب، ٢و٢٠ و١٦٢ أ، ١٧.

تفنيد ضدها، تفنيدا غير صريح في الظاهر، ولعلّ هذا المسلك الحجاجي يقترب شيئا فشيئا من قياس الخلف الذي يعتمده المناطقة بعامة، وعلماء الرياضيات بخاصة[٥٢] .

و) الجمع بين الحجة العلمية والحجة الدينية (الحجاج بالسلطة)

تفتتح الكاتبة هذا النص بالتأليف بين نوعين من الحجج ينتمي إلى إطارين حجاجيين مختلفين، فبينما تنتمي الحجة العلمية المعتمدة على الحقيقة العلمية، والملاحظة المباشرة للظواهر الجغرافية إلى مجال المعرفة الحسية، تنتمي الحجة الدينية إلى مجال المعرفة النقلية، على ما يدور في الثقافة الفلسفية من جدل بين التجربة الحسية والمعرفة النقلية المتسمة بالاستسلام لسلطة صاحب المعرفة، أو منتجها، ويظهر هذا التأليف في المقطع الاستهلالي التالي: *برغم حالة الفزع التي تنتاب بعض علماء البيئة حول حالات ذوبان الجليد واحتمالية اختفاء دول وقارات؛ حيث كشفت بيانات الأقمار الصناعية مؤخرا انحسارا كبيرا للجليد في جوانب القطب الشمالي وبالتحديد في مناطق سيبيريا وألاسكا، وسجلت رقماً قياسياً ليصبح الأشد على الإطلاق؛ إلا أن هذا الفزع قد يفسر حديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- بقوله: (لن تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا).*

ثم تسترسل الكاتبة في سياق عرض وصفها المكاني في تعداد الحجج العلمية التي تؤكد صحة دعواها، من دخول المنطقة المحددة جغرافيا في تغير مناخي مهم خلال الفترات القادمة، مما يدفع إلى ضرورة اتخاذ الحيطة، وبناء خطط تنموية

---

(٥٢) ينسب البرهان بالخلف إلى **زينون الأيلي** الذي اقتبسه من **بارمنديس** الذي اعتمد في الرهان على صحة دعواه بتفنيد ضدها، صورة للبرهان غير المباشر، وممن استخدم هذا النوع من البرهان الكندي الفيلسوف، انظر وعزيز، الطاهر، المناهج الفلسفية، ص ١٢٣ .

مستقبلية، تلافيا لحدوث صدامات خطيرة، يحركها صدام الإنسان مع البيئة، ويمكن ترتيب هذه الحجج كما يلي:

١ – **التحديد الجغرافي**: "وأرض العرب المقصودة هي شبه الجزيرة العربية الواقعة ضمن حزام الصحراء الممتد بين خطي عرض ١٥°، ٣٠° شمالي خط الاستواء وجنوبه".

٢– **الاستدلال المثيل**: "سيصبح مناخ المملكة استوائيا رطبا مثل ماليزيا وتايلند مما ينبئ عن ظهور مخلوقات ونباتات أخرى قادرة على التكيف المناخي الجديد !!"

٣– **التقارير العلمية (حجاج التجربة والحس)**: "وأظهرت الصور الفضائية التي رصدت الأقطاب أن درجات حرارة الهواء تسجل ارتفاعا ملحوظا منذ بداية الألفية الميلادية الثانية، وبالتالي فإن ذوبان الجليد البحري في القطب الشمالي يتم بشكل أسرع من المتوقع".

٤ – **حجة التخويف من المخاطر (التعليل ببناء النتيجة على أسبابها)** "بالتالي فإن ذوبان الجليد البحري في القطب الشمالي يتم بشكل أسرع من المتوقع. ويؤكد الباحثون في شؤون البيئة أن ذوبان الجليد الموسمي في القطب الشمالي قد انتهى، ووصل حجمه لأدنى مستوى لهذا العام في ١٩ سبتمبر ٢٠١٠م وهو أدنى قياس للقطب على الإطلاق".

٥– **إدماج التعجب في الإخبار**: سعى المقطع الإخباري التالي إلى شد انتباه المتلقي باستخدام صيغة التعجب لإثارة اهتمامه أولا، ثم مواجهته بالخبر موثقا زمانيا، والذي يمثل نتيجة خطيرة للظاهرة الموصوفة، كما تعمدت الكاتبة تخصيص الخبر بتسمية أطرافه: روسيا والنرويج لتأكيد صحة الخبر: "والعجيب أن الممر الشمالي الغربي والمسار الشمالي منه كانا مفتوحين أمام الملاحة خلال سبتمبر الماضي، حيث اقتربت إحدى السفن الروسية والنرويجية من الدوران حول القطب".

٦- **حجة العموم**: اعتمد النص حجة العموم من حيث إحالتها على فهم جامع ومشترك بين عدد كبير من الناس، وهذه الحجة أشبه ما تكون بالاجماع الذي يرجع صحة المذهب عند معتمديه(٥٣). وقد اعتمد النص هذه الحجة في قول الكاتبة" والمعروف أن الغطاء الجليدي يحافظ على التوازن المناخي"، فالمعروف المحتج به ليس معروفا عند المحاجج بل هو معروف عند عموم المخاطبين.

٧- **الحجاج بالسلطة**: كما تستأنف المحاججة مرة أخرى حشدها للحجج العلمية المستمدة رأسا من الحجاج بسلطة أهل العلم المختصين، ويبين المقطع التالي ذلك: ويعتقد الباحثون أن المنظم للمناخ هي درجات الحرارة. وحسب مصادر وكالة نـوا الأمريكية العالمية فقد سجل شمال غـرب المحيط الهـادي خلال شهر أغسطس نصف درجة فوق المعتاد ودرجة واحدة فوق المعتاد على اليابسة.

٨- **الحجة الواقعية**: تعتمد المحاججة أيضا في سبيل دعم الأطروحة المعينة الحجة الواقعية التي تؤطر الموضوع، وتحيله على عالم الحقيقة المادية، فلا يبقى مجال للشك، إذ ربطت بين ارتفاع درجة الحرارة في المملكة بهذا التغير المناخي المريع في العالم، مما يكس واقعية الموضوع، وجديته وحيويته من جهة أخرى، فقد سجلت في المملكة هذا العام ٢٠١٠م درجات حرارة بأرقام قياسية لم يعهدها السكان منذ زمن طويل.

---

(٥٣) يقرر ابن حزم إمكان اجتماع الناس على الخطأ، وظاهر ذلك في أحوال الأمم والمجتمعات قديما وحديثا كثير، ولعل شيوع فكرة خاطئة بين عامة الناس وخاصتهم، فيما تحمله وسائل الإعلام المختلفة اليوم يؤكد وجاهة هذا الرأي، ثم يبين التطور العلمي خطأ ذلك الإجماع وأوهامه، ونظريا يمكن القول أن انعقاد الإجماع التام غير محقق واقعيا، فحاله مثل حال الاستقراء الذي لا يكون إلا ناقصا، ولكنه قول بالغالب والعموم ليس إلا.

٩- الحجة التصديقية: تمارس الحجة التصديقية التي تستمد قوتها من سلطة الأثر تأثيرا نفسيا على المتلقي الذي يسلم بما تورده الآثار من نبوات يدخل التصديق بها في دائرة إيمان الفرد المسلم، الذي يختار الإذعان لسلطة المقدس في صحة معرفته، وعلامة هـذا الإذعان الانتظار الذي يشي به الملفوظ التالي: "..والواقـع أننا ونحن ننتظر عودة جزيرة العرب مروجا وأنهارا".

١٠- استشراف المستقبل، وبلاغة التخويف والنفي المطلق: تعتمد المحاججة في هذا السياق أسلوب التخويف، من خلال تعداد المخاطر القادمة التي تستشرفها بعيون العلم، وآخر مكتشفاته، وقرائن هذا التخويف تتربع على المقطع التالي، الذي توزعت فيه عبر مسافات متباينة أحيانا، ومتتابعة أحيانا أخرى وحدات دالة تشترك في إثارة القلق، وتهويل الأمر مثل: زادت حدته - اتساع رقعة التصحر - أنحاء كثيرة - القطع الجائر - الاستخدام المفرط - ازديد تقلبات الطقس - العالم أجمع - انقراض - غرق- توسع حار - نفـوق الأسماك - هـروب الحيوانات - الهلع - تلوث البحار - المفاجئات - القلق - التوتر-، فكل هذه الوحدات تنتمي إلى حقل دلالي واحد هو حقل المجاوزة، كما اعتمدت المحاججة تأكـيدا لأطروحتها النـفي المطـلق المتبـوع بالإضراب إمعانا في تأكيد الخطر، وأداته "لن" في أكثر من جملة، مثل: "ولن يتوقف الأمر عند بلادنا بل..."، و"ولن يقتصر الأثر على المناخ بل...".

هذا ويبلغ التخويف مداه، من حيث كونه بلاغة حجاجية، تستثمره المحاججة في سياق إستراتيجيتها الإقناعية، معبرا عن أزمة مستقبلية خطيرة تهدد العالم والمنطقة، بقولها: فإننا نقرأ بهلع بأن حروبا قادمة ستقع بين الدول بسبب التكالب على مصادر المياه. كما تعبر الخاتمة مرة ثانية، وعبر دلالات الحيرة والقلق المتلبسة ببلاغة الاستفهام عن فـعل التخويف من المستقبل الحامل للمفاجئات، من خـلال القول التـالي: فهل

نحن مقبلون على تصحر قاسٍ مخيف؟ أم سيول مدمرة لا تستوعبها المجاري وأنابيب التصريف؟!.

فوحدات التصحر والقساوة والخوف والسيول والدمار أهم القرائن الدالة على فعل التخويف، الذي هيمن عن مقاطع النص، فغدا قطب الرحى، وبنية النص الكبرى في المستوى الدلالي، ناهيك عن كونه في اقترانه بفعل التحذير المضمر فعلا إنجازيا رئيسا يؤهل النص المعين لكي ينتج خطابا طلبيا تعليليا يتماهى مع أطروحة الإصلاح التي أقامت عليها المحاججة خطابها الإعلامي.

ز) القيمة الحجاجية لبنية التكرار النصي

تتعدد التعريفات اللغوية والاصطلاحية لظاهرة التكرار بوصفه أداة أسلوبية مهمة تنهض عليها التشكلات اللسانية والدلالية في النصوص الإبداعية بصورة خاصة، غير إن هذه التعددية الاصطلاحية في مظهرها الصياغي لا تخفي معنى الإعادة (Repetition) الذي يشكل قاسما معنميا مشتركا بين مجموع التعريفات القديمة والحديثة[٥٤].

إن التكرار في جوهره نوع من التأكيد أو التكريس للبنية اللسانية التي يصدر عنها التمثيل الدلالي للأفكار[٥٥]، وفي صعيد الصياغة النسقية للتعابير اللغوية والنصية تقوم إعادة أجزاء من القول أو إعادته كلّه لتحقيق غايات إبلاغية مختلفة مثل التوكيد

(٥٤) التكرار مشتق من كرر: "يقال كرر الشيء وكركره أعاده مرة بعد مرة، وكرّرت عليه الحديث وكركرته إذا رددته عليه، انظر ابن منظور (جمال الدين محمد - ٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤، مادة كرر.

(٥٥) انظر: حسن ناظم، **البنى الأسلوبية، دراسة في أنشودة المطر للسياب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، سنة ٢٠٠٢، ص ١٤٧.

والتوضيح والحث والنهي، مما يجعل منه أداة كلامية لإنجاز الأفعال اللغوية المختلفة باختلاف مقاصد المتكلمين وأغراض التخاطب.

كما يقوم التكرار بدور مهم في إضفاء مسحة بديعية على البنية الظاهرة بتشكله عبر صيغ تحسينية لها تأثيرها النفسي على المتلقي، كما يتفرع التكرار بحسب ارتباطه بأنواع الوحدات اللسانية والعلاقات النسقية بينها إلى فروع أساسة، لعل أهمها؛ تكرار اللفظة الواحدة، وتكرار اللازمة، والتكرار البديعي، كما يمكن التمييز بين التكرار اللفظي الشكلي والتكرار الدلالي الذي يتجسد نصيا عبر العلاقات الدلالية(٥٦).

ولعل من أهم أشكال التكرار التي تقوم بوظيفة الاتساق النصي التضام الذي يتشكل بورود زوج من الوحدات المعجمية بالفعل أو القوة لارتباطهما بعلاقة دلالية قد تكون تضادا حادا أو عكسيا أو اتجاهيا(٥٧)، وربما تحدد بفضل علاقة التنافر المؤسس على النفي أو الرتبة أو الزمن(٥٨).

كما يقوم التكرار النصي بدور بارز في تثبيت ركائز الترابط التي يتأسس عليها الخطاب المعين، بالإضافة إلى أدوار بنوية وتداولية أخرى ينهض بها مثل مساهمته في تأكيد قيمة الأشياء في حياة الإنسان، وقد استثمرت رقية سليمان هذه الأشكال التكرارية لبناء الدلالة النصية، وتحقيق الوحدة البنوية للملفوظ الإعلامي مرات عديدة، وعبر أشكال مختلفة تبتغي المحافظة على ديمومة الموضوع، ونمو أفكاره، وتشعيبها خدمة للأطروحة المعبر عنها في مقدمة النص أو عنوانه أو خاتمته، ففي نص "الإشاعة، ظاهرة أم ثقافة؟"، يظهر التكرار بأنواعه التي حددها النحاة واللسانيون

---

(٥٦) انظر: جميل عبد المجيد، **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية**، ص ٧٩ وما بعدها.

(٥٧) انظر: محمد خطابي، **لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص ٢٥.

(٥٨) انظر: أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص١٠١ وما بعدها.

مثل التكرار التام، والتكرار الجزئي الذي غطى مساحة معتبرة، وعلى مسافات متباينة ليشد انتباه القارئ لوحدة الموضوعة التي ينبني عليها الخطاب، ألا وهي موضوعة (Teme) الإشاعة، إذ تكررت هذه الوحدة:

- التكرار التام متعدد المرجع: الخبر–الخبر اليقين.
- التكرار الجزئي: الخبر–الأخبار.

وفي سياق تأكيد العلاقة الحوارية بين النص والمتلقي لغاية تحقيق الفهم والتأويل يقرر "إدموند هوسرل" تعلق الفهم بإدراك مقاصد المتكلم (المبدع) عبر تمثله أو لنقل تقمص دوره اللغوي مجاوزا كونه مجرد متلفظ بسلسلة صوتية دالة على معنى ما(٥٩). لذلك فإن محاورة النص ومحاولة تفهم مقاصد المتكلم عملية جدلية حجاجية ضمنية بين المتلقي والنص بالدرجة الأولى، وكلما حصّل معطى معنوي تشكل في سياق هذه العلاقة أفق (orison) ما يلبث أن يزول ليترك مكانه لأفق جديد، وقراءة جديدة هي أشبه ما تكون باللعبة طرفاها المبدع والمتلقي (القارئ)، والوسيط المنظم لها هو اللغة بنظامها ودلالاتها(٦٠).

كما إن البحث الحثيث عن المعنى يقوم على التساؤل الجدلي بين القارئ (المتلقي) والنص، وعملية تفسير النص عملية تفاعلية خلاقة ينفتح فيها أفق القارئ على تجارب عديدة سابقة ومفترضة على الإمكان، وفي هذا السياق يمكن القول أن القراءة اللسانية النصية لمظاهر الانسجام النصي لم تعد مجرد سياق إضافي يلحق بالنص المعين، فنصيته مشروطة بتحققها، منها، وبها وفيها.

---

(٥٩) سبيلا وبنعبد العالي، **اللغة**، سلسلة دفاتر فلسفية، ص٥٩. وانظر محمد الأمين الطلبة، **الحجاج في البلاغة**، ص٧٣.

(٦٠) انظر: نصر حامد أبو زيد، **إشكاليات القراءة**، ص٤١.

ففعل القراءة متحقق إذن في النص بوصفه خطاب حـدث أو واقعة، يقوم المتلقي بتجليتها في ضوء الربط بين عالمي النص والواقع[٦١]، مما يستلزم قيام الانسجام النصي[٦٢] على ترابط داخلي للأفكار والمضامين التي تحملها العبارات، بما تشي به من علاقات منطقية ودلالية أساسية، ذلك إن الانسجام مفهوم محوري في لسانيات النص ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي ينجزه المتلقي في إطار معرفي معين يحقق رؤية القارئ المتلقي للعالم، أو الفضاء الذي أنتج فيه النص[٦٣]، فيقوم في ضوء معرفته بالعالم بتأويل الملفوظات المنجزة للخطاب، وتفسيرها في الاتجاه الذي يضمن تماسك النص، وإنجازه لأفعال الكلام الرئيسة التي يتوخى المخاطب (الناص) تبليغيها في سياق العملية التواصلية.

إن وصف النص بالانسجام لا يتصل بالمعطيات اللسانية الداخلية التي تتشكل منها البنية الداخلية العميقة بقدر ما ترتكز على دور المتلقي (القارئ)، وتفاعله الإيجابي مـع سلسلة الملفوظات والقضايا المعـبر عنها في حـدث الكـلام، وبمعنى أبسط إن انخراط المتلقي في لعبة التفاعل النصي، والتأويل في ضوء توقعات الدلالة، ورؤية

(٦١) انظر: نصر حامد أبو زيد، **النص، السلطة، الحقيقة**، ص ١١٠.

(٦٢) ليس النص متوالية لفظية أو جملية فقط بل هو سلسلة منتظمة من المعاني والقضايا المتعالقة بعلاقات دلالية، تضمن تحقيق معناها الكلي انطلاقا من قصدية معينة ترهنها ظروف السياق وملابسات التواصل الذاتية والاجتماعية، ويتحدد النص في الحقيقة من خلال علاقته باللغة التي يتموقع فيها عبر لعبة إعادة التوزيع والتشكل الداخلي للعناصر اللغوية تفكيكا وبناء مما يجعله صالحا للمعالجة منطقيا ورياضيا على حد تعبير صلاح فضل، انظر **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص ٢٢٩.

(٦٣) انظر: صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص ٢٦١.

العالم والمعرفة الخلفية، والكفاءة التفسيرية تكفل تقبل النص من حيث هو بنية لغوية منسجمة ذات دلالة عامة ودلالات هامشية حافة يؤشر لها النص بقرائن سياقية حالية ولغوية ،اعتمادا على رؤية المنشئ، ورغباته الظاهرة والمستترة، والتي تشكل في الحقيقة قصده الذي يوجه الخطاب إلى إنتاج المعنى المراد(٦٤).

إن القراءة لم تعد مجرد سياق إضافي خارجي يضاف إلى النص المعين، إذ لا تتحقق نصيته إلا بها وفيها، فـفعل القـراءة إذا متحقق في النـص بوصفه حـدثا أو واقعة(٦٥).

وفي هذا السياق يلح فان ديك على ضرورة العناية بوصف، وتفسير الانسجام الضمني (ImplicitCoherence) الذي يتجاوز العلاقة الصريحة الرابطة بين أجزاء الخطاب، ولعل كثيرا من الملفوظات التي تعج بأدوات الربط الشكلي تقف شاهدا على عدم كفاءتها في تحقيق نصية الملفوظات، فما يكون به الملفوظ نصا على حد وصف الأزهر الزناد ليس حروف عطف أو مصاحبات معجمية أو تكرارا لأنساق معينة، بل تعلق فكري بين عوالم معرفية متعددة في ذهن المنشئ و المتلقي وأطروحة الملفوظ الأساسية، فموضع الارتكاز وتقاطع الفكرة من حدث الإنشاء مع شبيهتها في حدث

---

(٦٤) يقرر علماء تحليل الخطاب أن النص بنية لغوية متداخلة التكوين، وتفسيرها مؤطر بمعارف عدة بعضها لغوي والآخر غير ذلك فالقارئ النموذجي متسلح بأدوات وتصورات كلية ذات منزع نفساني واجتماعي وثقافي وإيديولوجي ومعرفي و تداولي يسمح بقراءة الفعل الصريح والمضمر، والذي ينجز بالقول. انظر توسعا صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢٦٢ وأيضا عزة الشبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص١٨٥ نقلا عن M.Charolles, coherence as a principle in the interpretation of discourse,pp71-75.

(٦٥) انظر: نصر حامد أبوزيد، **النص، السلطة، الحقيقة**، ص ١١٠.

التلقي والإدراك هو الفضاء المناسب لتحقق حدث الانسجام في زعمنا. لقد أشار فان ديك في جل دراساته النصية إلى ارتباط الانسجام النصي بالفكرة العامة التي يبنيها المتلقي فـي ذهنه حـول النـص الذي يتفاعل معه فـي سيـاق التواصل(٦٦)، مستصفيا مصطلحا حديثا للتعبير عن الفكرة العامة في ضوء المنظور البنوي الذي يؤطر الفلسفة العامة للسانيات النصية ونحو الخطاب هو مصطلح البنية العليا الذي يتضمن الدلالة على الشكل الكلي للخطاب الحامل للموضوعة الرئيسية.

ولعل أهم ما يرتكز عليه البحث في انسجام المدونة المختارة وصف كيفية الربط بين القـضايا المعـبر عنها (٦٧)، والتي حصرها بعـض الدارسين فـي علاقـتي الإضافة والسببية(٦٨). وفي هذا السياق يقرر فان ديك أهمية المعرفة بالعالم بوصفها وسيلة إدراك المتلقي للمفهوم الجامع بين القضايا في إحالتها الخارجية على عالم المادة، يقول: ترتبط

---

(٦٦) انظر: فان ديك، **علم النص**، ص ٤٩ وما بعدها.

(٦٧) غني عن البيان أن اللسانيات النصية في تعريفها للنص بأنه تتابع قضوي مترابط تنطلق من مفهوم القضية عند المناطقة من حيث كونها بنية لغوية معبرة عن الحد الأدنى للمعنى المحكوم به على ذات ما، وتتكون القضية في العرف المنطقي من موضوع متحدث عنه ومحمول خبر متحدث به، يمكن أن يحكم على القضية بالصدق أو الكذب تبعا لتحققها في الواقع المادي أما الفلسفة التحليلية فترى أن القضية إما أن تكون بناء على سلوك التحقق موفقة ومقبولة أو غير موفقة غير مقبولة.

(٦٨) تقوم علاقة الإضافة على ضم وحدة قضوية إلى أخرى بالعطف عن طريق الواو وعلاقة المضاف بالمضاف إليـه بما بينهما مـن مناسبة معنوية معـقولة، أو العـطف الفـاصل بـ أو، والعطف المقابل بـ لكن، أما علاقة السببية فقد تتحقق بالسبب ونتيجته، أو التبرير أو الوسيلة أو التتابع والغرض والشرط والمسلمة، انظر عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص ١٨٧ نقلا عن Jean Renkema , discourse stadies,p53.

قضيتان بعضهما ببعض حين ترتبط معانيهما الإحالية(٦٩)، فتكون الوقائع المعبرة عنها مترابطة في العالم الخارجي بعلية معينة أو قانون طبيعي يمكن وصفه، أو إدراك أثره(٧٠).

كما يقوم وصف مظاهر الانسجام النصي في المدونة المختارة على تعيين مكونات السياق العام الذي يؤطر النصوص من ناحية الزمان والمكان وظروف الكاتبة ومحيطها الثقافي والاجتماعي، ناهيك عن تغير الدلالة اللفظية من حيث كونها نتاجا للاستخدام السياقي، فالألفاظ في هذا المستوى لا تكتسب قيمها اللسانية إلا من خلال اختلافها عن سابقاتها ولاحقاتها وفق مبدأ السمة الخلافية الذي استنته اللسانيات البنوية(٧١).

وإذا أنعمنا النظر في المكونات السياقية يمكن القول بأن مسرح الكتابة الصحافية في إطار جريدة الجزيرة اليومية يمثل البيئة النصية التي تنجز فيها الكتابة، أما الزمان

---

(٦٩) فان ديك، **علم النص**، ص ٥٣.

(٧٠) كما يمكن التمييز بين علاقات اتصالية تعبر عنها أدوات مثل الواو العاطفة ووحدة أيضا، وما يفيد التماثل مثل مثلا أو بالمثل أو على نحو مشابه، أو ما دل على استنتاج مثل ومن ثم ولهذا، أو ما دل على التقرير والاختصار مثل بمعنى أن أو باختصار أو زبدة القول، كما تفيد لفظتي: التالي وبعد دلالة التتابع الفكري. أما علاقة الانفصال فقد يعبر عنها بأو ولفظة الآخر، كما تفيد عبارة من ناحية أخرى وعلى العكس من ذلك دلالة التقابل، وتدل لفظة على الرغم من وما زال على التضمين الممتنع وتدل إلا وما يقوم مقامها على دلالة الاستثناء التي هي أيضا تضمن بالسلب، ينظر عرض هذه العلاقات في عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص ١٨٩.

(٧١) سوسير، **دروس في الألسنية العامة**، ص ١٨٦. يقول **ولتر أونج**: «إن الكلمة في موطنها الشفاهي تمثل جزءا من حاضر وجودي حقيقي يضم أشخاصا حقيقيين في لحظة زمنية بعينها في موقف حقيقي يتضمن دائما ما يتجاوز مجرد الكلمات، أما الكلمة في النص المكتوب فتقف بذاتها، وكاتبها يكون أثناء إنتاجه لها منفردا، ولذلك تتمتع الكتابة بمركزية الأنا» انظر الشفاهية والكتابية، ترجمة حسن البنا عز الدين، ص ١٩٢.

والمكان فواضح انتماء المدونة إلى فترة محصورة بين، تم إنجازها في مكان غير محدد بدقة فقد يكون مدينة الرياض، والبيت الخاص، ويتمثل العالم المتحدث عنه في واقع المجتمع بمختلف طبقاته، ومؤسساته الاجتماعية والثقافية(٧٢). كما تمثل جملة النصوص المنجزة في الموضوعات نفسها، والتي تنشر في الجريدة ذاتها جزءا مهما من السياق المصاحب، لما يقوم بينها من تفاعل دينامي(٧٣)، وعلاقة اتصال غالبة فكريا وشعوريا، يختزل إيديولوجيا الكتابة، مما يمكن الانتفاع به في إدراك المقاصد والغايات الخطابية، أما الخلفية الثقافية المؤطرة بمرجعية الكاتبة، وربما مرجعية الجريدة نفسها التي تعد الكاتبة أحد كتابها المهمين فتمثل السياق السابق الذي تحكم في ولادة النصوص ذاتها.

ولعلنا لا نكون مجانبين للصواب إذا نعتنا الثقافة التي تصدر عنها الكاتبة بسمة التفتح على الآخر، من خلال الدعوة إلى الإفادة من خبراته الاجتماعية والعلمية والاقتصادية، وقرينة ذلك توظيف الحجة الواقعية المتصلة بأحوال مجتمعية مغايرة، بخاصة في نصوص: الشمس المهاجرة وزواج القاصرات والوأد الحضاري وتناقص أعداد الممرضات السعوديات، لماذا؟.

كما يمكن تسجيل ردود أفعال القراء من حيث كونها سياقات لاحقة ضمن مكونات السياق العام الذي يساعد المتلقي على فهم الدلالات الضمنية المتخفية في

---

(٧٢) انظر: نصر الدين صالح، **التحليل الدلالي**، ص ٣٩و ٤٢، وانظر أيضا حسام فرج، **نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري**، ص ٢٣. لعل من أهم المصطلحات الشائعة في مجال الحديث عن السياق السابق مصطلح سياق الموقف أو الحال (co-texte)، والذي عد أساس النظرية السياقية عند فيرث وأستاذه **مالينوفسكي**، انظر أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص ٦٨ وما بعدها.

(٧٣) انظر: محمد خطابي، **لسانيات النص**، ص ٣٠١.

لبوس اللفظة العادية [٧٤]، فالنـص المنجز في الكتابة الصحافية يفترض دوما رد فعل كتابي من طرف مخالف أو مؤيد، وفي ضوء غياب تلك الردود عن معرفة المتلقي، يمكن الاستئناس بديمومة فعل الكتابة قرينة دالة على القبول الجماهيري للكاتبة مدة حول كامل من التواصل الكتابي مع القارئ المحلي. فمواصلة الكتابة في الجريدة نفسها عن موضوع نظام ساهر مثلا بعد نص الكاتبة الموسوم بـ "نظام ساهر القاهر" يمكن عده جزءا من السياق المصاحب الذي يعبر عن رد الفعل الاجتماعي الذي يتوسع شيئا فشيئا مكونا خطابا لسانيا شموليا بنيته الكلية: "سبل الامتثال إلى النظام".

غـير إن رد القـارئ الإيجابي لا يؤخذ عـلى إطلاقه فـقـد أثـار نـص "زواج السعوديات مـن غـير السعوديين" حفيظة بعـض القـراء، إلى درجة نعتهم للفعل بالجريمة التي لا تغتفر، يقول القارئ: "حيث تقول -أي الكاتبة- في صحيفة الجزيرة، في سقطة صحفية لا تغتفر، تعليقا على موضوع زواج السعودية من غير السعودي: "وقـد يكون معهن بعض الحـق بسبب التصحر والغبار وقلة الأمطار حتى أصبح بعض رجالنا أقرب للضبان والنسور، النمور وما شابهها من ذي مخلب أو نـاب! فالفتاة إذاً من حقها البحث عن الكناري والبلابل" [٧٥].

---

(٧٤) انظر: حسام فرج، **نظرية علم النص**، ص ٢٤، وانظر أيضا Halliday ,Hassan, language, context and text, p06.

(٧٥) من هذه الردود أيضا سواء كان مؤسسا أم لا، تعلق **صالح الشيحي** بالقول: "كارثة أن يكون هذا أسلوب كاتبة لها جمهورها ومتابعوها.. هذا كلام يخجل الإنسان من قراءته فكيف بكتابته ؟!، قضية زواج السعودية من رجل غير سعودي لا يمكن مناقشتها بهذا الأسلوب إطلاقاً.. هذه قضية شائكة.. ناهيك أنه لا يمكن مقارنتها بأي حال من الأحوال بزواج السعودي من غير السعودية.. بون شاسع بين الحالتين، قوانين كثيرة في عالمنا العربي تقف، في صف الرجل،

إن وجود السياق اللاحق للنص دليل على نجاحه في نظرنا في حلحلة المشكلة، وممارسة ضغط ذهني على المتلقي والجمهور عموما بغض النظر عن طبيعة الاستجابة المحصلة، كما إن رفـض بعض القراء لمضمون الأطروحة لا يعني بالضرورة رفضا لهـا عند الأغلبية(٧٦).

لذلك فالأطفال الذين سيكونون نتاجاً لزواج السعودي بغير السعودية سيلحقون بأبيهم، وسيكون باستطاعته اللحاق بهم متى شاء في حال انتهى الزواج، على العكس من الزوجة.. وما نسمعه من حجج، مثل العنوسة، أو كثرة حالات الطلاق، وغير ذلك، لن يكون وسيلة لإقناعنا بقبول فكرة زواج السعودية من غير السعودي أبدا، ناهيك عن بعض الردود المضمرة لخطابات عنيفة ضد حرية الرأي الذي لا يخالف الدين، قول أحدهم: للأسف إنها سعودية؟؟ وقول الآخر هي من القصيم، ومن قبائل بني تميم .انظر منتدى **تعب قلبي** على الشبكة العنكبوتية، كما ينظر مفهوم المقبولية من حيث كونها رغبة نشطة للمشاركة في الخطاب، قائمة على التفاعل بين اطراف مختلفة: حسام فرج، **نظرية علم النص**، ص ٥٢، وانظر توسعا: R.D.Beaugrande, introduction to text linguistics, p132.

(٧٦) انظر: حسام فرج، **نظرية النص**، ص٤٣. البحث في هذا الاستشهاد لا ينوي التورط في مناقشة فكرة لا تنفض يديها من الإيديولوجيا، فهي مشبعة إلى أقصى درجة بها، وإنما غرضه وصف النصوص في سياقاتها فقط. فمثلما تنطلق صاحبة النص في السياق الخاص من معتقدات وأهداف ورؤى إنسانية تغذي بها أطروحتها الأساسية، يغذي المتلقي أيضا ردوده المناهضة للفكرة المعطاة بمعتقدات وأهـواء ونزعات اجتماعية ضرورية في إيديولوجيته لحماية النقاء الاجتماعي الذي تضمنه المرأة الأم. ومن ثم الحفاظ على الخصوصية الاجتماعية وتحقيق الأمن الجمعي، ولعل تلك التصورات تكون مقبولة نظريا، إن تم تحـديد فهم موضوعي للآخـر. وعـن مفهوم السياق الخاص ينظر حسام فرج، **نظرية النص**، ص٤٣، وأيضا: Robert De Beaugrande & Dressler, Introduction to text linguistics ,p163.

إن الناظر في المكون المعجمي لسائر النصوص التي تتشكل منها مدونة رقية سليمان يتكشف له مجال خطاب معين مؤطر بحقل معجمي أساس هو حقل الإصلاح الاجتماعي الذي يعكس الغرض الأساس من فعل الكتابة الصحفية ذاتها. أما عن أدوار المشاركين في الخطاب فيمكن القول أن الكتابة الصحافية، وإن كانت تنطلق من تصور جمهور مفترض من المتلقين يعبر عن تواجد فعلي وفعال للمتلقي المفترض في ذهن الكاتبة(٧٧)، فهي تنطلق من صوت واحد غير متعدد يعلو صوته، دون وجود من يشاركه في النص المنجز رأيا، أو يدلي بموقف ما، إلا أنه يمكن الاحتكام إلى طبيعة الألفاظ المختارة، وأسلوب صياغتها من وصف طبيعة العلاقة العاطفية، والتي لا تعبر عن خصوصيات معجم الكاتبة المعجمية والتركيبية، في ضوء اختياراتها الأسلوبية والبلاغية فقط.

بل تعكس أيضا شعور الكاتبة تجاه أبناء وطنها في العموم، فهدوء النقد، والابتعاد عن الكلمة النابية أو الجارحة يجعل النص المنجز أكثر قربا من وجدان القارئ(٧٨)، ومن ثم التمكن من تصوراته الفكرية بخلاف أساليب أخرى تنتمي إلى الفضاء الكتابي نفسه، والتي اتخذت قصدا أسلوب التهكم سلاحا للإقناع والتجهيل.

إن النصوص المختارة تكشف في عمومها عن توجه الخطاب إلى متلق محب لمجتمعة، مهتم بأدوائه، يبحث عن المصلحة العامة، يدافع عن مكتسبات الأمة ومقدراتها بدون تكلف أو تطرف، يؤمن بالتغيير الايجابي، ويشاطر الكاتبة في همومها الثقافية والاجتماعية بالدرجة الأولى، مما يعني أن أسلوب الكتابة بإمكانه أن ينتج حالة مزاجية متلبسة بالقارئ الذي يتفاعل إيجابيا مع الخطاب الإصلاحي المنجز.

---

(٧٧) انظر: حسام فرج، **نظرية علم النص**، ص ٥١.

(٧٨) المرجع نفسه، ص ٣٨، وانظر أيضا: Ann .M .John , text , role and context ,p33-34.

إن تطلع الكاتبة إلى تغيير النمط الفكري السائد، وإصلاح ما اعوجّ من عادات اجتماعية، وسلوك فردي غير منتظم يندرج في سياق اتصالي ناقل للثقافة من مستوى وعي عادي إلى مستوى أعلى فيه، ومن الضروري -كما يقول نصر أبو زيد- أن يتم الربط بين إنجاز النص لفعله الكلامي، وتقبل الجماعة له، مع مراعاة علاقات الصراع الاجتماعي الذي تتحكمه تناقضات المصالح(٧٩).

كما يتصل البحث في الانسجام النصي بمحاولة تحديد نوع الخطاب، أو صنف النص الذي يندرج تحته الملفوظ من حيث كونه إنجاز لحدث اجتماعي متواصل له غرض وقصد معين، ونصوص المنشود أو المؤمل في كتابة رقية سليمان تنتمي إلى ذلك النوع الكتابي النثري الذي ينقد المؤسسة الاجتماعية قصد تصحيح أوضاعها، والدفع بها نحو صورة أمثل من النجاح والتميز في جميع المجالات، متخذة الوصف والتفسير والحوار مطية لها لتشكيل خطابها الإقناعي الذي تغزل خيوطه البنوية والفكرية في ضوء تكامل الأنواع النصية وتداخلها المقطعي، فليس ثمة نص منعزل عن تشكلات اللغة المختلفة.

ذلك إن أي نص يتأثر صاحبه بالخبرات السابقة لكل النصوص التي تنتمي للنوع نفسه، وبالخطابات المنتمية لأنواع أخرى، مما يعني إمكانية إعادة إنتاج النوع ذاته عبر أنواع أخرى ضمانا لاستمراريته الشكلية والمقاصدية(٨٠) .

يقرر روبيرت دي بوجراند في كتابه "النص والخطاب والإجراء" ارتكاز الملفوظ لتحقيق نصيته على معايير أساسية تشكل نصيته، وهي: المقامية والقصد والقبول والإعلامية والتناص والاتساق والانسجام.

---

(٧٩) انظر: نصر حامد أبو زيد، **النص، السلطة، الحقيقة**، ص ١٠٠.

(٨٠) انظر: حسام فرج، نظرية النص، ص ٣٥.

ولعل من أهم هذه القواعد التي تتحكم في العلاقة بين المنتج والمتلقي قاعدتا القصد والقبول، فبينما تقوم قصدية النصوص على رغبة الكاتبة إحداث إصلاح اجتماعي عام يمثل الفعل الكلامي المنجز بالقول النصي بشكل مباشر أحيانا، يصرح به، ويعلن عنه، وبشكل غير مباشر، يومئ إلى القصد العام، تنخرط النصوص من حيث مقبوليتها في نوعية الردود المحصلة من جمهور القراء بخاصة والمجتمع بعامة مما يمكن عده من زاوية نظرية أفعال الكلام فعل تأثيريا تختلف درجته باختلاف القوة الإنجازية التي تحكمت في الفعل المنجز.

إن قصد الكاتبة لا يتوقف عند حد الأطروحة التي تدافع عنها عبر متوالية نصية محكمة النسج، بالرغم من اختلافاتها الموضوعاتية واختياراتها الأسلوبية الظاهرة، بل تتجاوز، هذا الهدف إلى رغبة إقناع القارئ، وإيصاله إلى مرحلة تغيير السلوك أو تعديله (٨١)، مما يمكن عده قصدا عاما أو بنية كبرى، تمارس اللغة وظيفة التأجيل المستمر لها عبر مساحة نصية معتبرة.

ح) علامات حدود الموضوعات

يقوم وصف النص مبدئيا على تقطيع بنيته إلى وحدات خطابية أساسية، تمثل كل وحدة فيه موضوعا مركزيا يدور حوله الكلام الشفهي أو الكتابي، ومحاولة الوصول إلى حدود هذه الوحدات تتطلب النظر أولا في الغرض الأساس من القول، ووجهة الخطاب في إحالته على ذات مخاطَبَة أو مخاطِبة أو غائبة بالدرجة الأولى، كما ينظر إلى توجه الكلام زمانيا، وما إذ كان مرتبطا في حركته الحديثة بالماضي أو الحاضر أو المستقبل، أو تغييب لحركة الزمن، أما القرائن الحالية المصاحبة فيمكن الاستئناس

---

(٨١) المرجع نفسه، ص ٤٨، وانظر أيضا: فان ديك، **علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات**، ص ١١٨ وما بعدها.

بها في تأكيد التمايز المقطعي مثل علامات الترقيم، والتفصيل مثل ما تقوم به أما من تمييز لموضوعات جزئية تتكون منها القضية الرئيسة موضوع الدعـوى، أو ما ينوب عنها في الخطاب الشفوي مثل ظواهر التطريز الصوتي، وفي صدارتها التنغيم، والسكتات التي تشي بانقطاع الحديث في موضوع ما، واستئناف موضوع جديد تربطه به تأكيدا علاقة ضمنية لا يبوح بها ظاهر الخطاب(٨٢).

ففي نص "تقدير الذات" انتقلت الكاتبة من موضوع المقدمة الذي يهيمن فيه وصف الفكرة، وعرض المشكلة بتعريفها في المنظور العام إلى وصفها وعرضها في المنظور الخاص، من خلال استدعاء رأي باحثة على سبيل الاحتجاج بالسلطة العلمية «يعمد البعض لتعزيز الثقة بأنفسهم للميل إلى توفـير الإمكانيات المـادية، سواء بالحرص على الحصول على منصب أو بالنفوذ الشخصي أو المـادي أو بطريقة الملبس وأسلوب الحديث. بينما لا يمكن أن توجد الثقة بالنفس وبالتالي النجاح ما لم يوجد الشعور بتقدير الذات. تقول د. نانسي ويلوت أستاذ علم النفس بجامعة كولومبيا: "إن صورتنا عن أنفسنا تسهم بشكل فعال في نجاحنا، لأن أي خلل يحدث في هذه الصورة يدفعنا لسوء تقدير إمكاناتنا ومستقبلنا وطموحاتنا، مما يعرقل قدرتنا على تحقيق الأفضل"»، فبالرغم من اتصال الفقرة الأولى بالفقرة الثانية بناء على وحدة الموضوع ونموه واستمراريته إلا أنه يمكن عدهما وحدتين خطابيتين متمايزتين من حيث اشتغال الأولى بالتعريف العام، وانصراف الثانية إلى التعريف الخاص الذي يعبر عن الرأي العلمي المتخصص الذي يزيد الفكرة تأكيدا وفق خطة القول المرسومة.

---

(٨٢) بروان ويول، **تحليل الخطاب**، ص ١٢٢، وقد ذكر **براون ويول** أشكالا منها مثل تحديق المتكلم، وحركاته الجسمية واستعمال ألفاظ تشير إلى تغير موضوع الحديث مثل أجل والتأوه والهمهمة وغيرها.

ط) العنوان، وانسجام النص

يؤشر العنوان للموضوع الرئيس الذي يمثل بؤرة النـص المنجز[٨٣]، فقد يعبر صراحة عن الفكرة العامة، كما قد يختزلها في صورة جزئية من صورة الفكرة الكلية، بل يمكن القول بتحوله في بعده الكلي إلى نص مواز أو مصاحب (Paratext)[٨٤].

ويقوم العنوان في نظر الدارسين بوظيفة تنبيهية، وتحفيزية قصد ممارسة فعل القراءة، والترويج للمعنى باعتباره أول عتبة يطؤها القارئ ليلج عالم النص[٨٥]، وبقدر مناسبة العنوان للخطاب، وموضوعه العام يتحقق الفهم، وتأول الدلالة بها يحقق انسجام الخطاب في مستوييه الداخلي والخارجي، أي بين محتواه، وأفق توقعات المتلقي، بل إن العنوان أهم وسيلة لاستدعاء المعنى، أو تخزينه في الذاكرة، لمرحلة أخرى يتم فيها استغلاله في مقامات التفكير والتبليغ المختلفة.

هـذا وتحتاج عناوين عديدة من حيث بناؤها المعجمي والنحـوي إلى إدراك استلزامات خطابية عديدة لربطها بمضامين النصوص المختلفة بخاصة في الخطاب الشعـري، أمـا النصوص النثرية وبخـاصة الإعلامية منها، والمعتمدة عـلى خـطـط

---

(٨٣) انظر: جميل حمداوي، "**السيميوطيقا والعنونة**"، مجلة عالم الفكر، وزارة الثقافة الكويتية، عدد٣، مجلد ٢٥، سنة١٩٩٧، ص ٩٧ وما بعدها. وانظر أيضا روايينية، الطاهر، "**شعرية الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي**"، ملتقى السيمياء والنص الأدبي، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، ١٩٩٥، ص١٤١.

(٨٤) Gerard Genette, Introduction a l archi texte, collection, poetique, ed Seuil, Paris, 1979, p86 -87

(٨٥) انظر: سليمة لوكام، "**شعرية النص عند جيرار جينيت، من الأطراس إلى العتبات**"، مجلة التواصل، محكمة تصدر عن جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، عدد ٢٣، جانفي ٢٠٠٩، ص٤٨ و٤٩.

الوصف والتفسير والعرض والطلب فتكاد تنخرط جميعها في سياق الوضوح الدلالي المصاحب لقصدية الإفصاح عن الأطروحة الرئيسة بشكل مباشر، تحقيقا للتفاعل الاجتماعي مع الجماهير، فعناوين رقية سليمان في ضوء المدونة المعينة واضحة، وبسيطة في تركيبها النحوي، يغلب فيها التأليف عادة بين المبتدأ وخبره في سياق الجملة الاسمية الإخبارية البسيطة، باستثناء بعض العناوين التي اختارت بنية الإنشاء الاستفهامي.

ي) موضوع الخطاب وقواعد بناء البنية الكبرى

تمثل الفكرة العامة أو الأساسية بوصفها منطلقا للنص، وأطروحة أساسية له الموضوع الذي يحين إليه خطاب ما، فيكون الغاية من العرض النصي، وبؤرته التي يتمحور حولها حدث الكلام، ومن ثم فعل التأويل، إذ إن معرفة المتلقي بموضوع الخطاب[٨٦] المعين تضمن في مرحلة القراءة اكتشاف أهدافه، ومقاصده الثاوية خلف حرفية المعنى اللفظي والجملي.

وانطلاقا من المعلومات السالفة أو المعرفة الخلفية والمعرفة بالعالم مما يمكن عده إطارا مرجعيا للموضوع، تتغذى قدرة المتلقي التفسيرية، وتمكنه من اشتقاق المعاني الفرعية التي تكون بدورها، وعبر استنتاجات ذهنية ومعرفية المغزى أو معنى المعنى، والذي يتوخى المؤلف صياغته عبر اختيارات قولية منجزة لفعل الكلام المطلوب. هذا وترسخ النظرية النصية الحديثة قيام البنية اللغوية على قواعد أساسية لبناء وفهم النصوص المتشكلة عبر استراتيجيات خطابية مختلفة.

---

(٨٦) محمد خطابي، **لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص٧٠ .

ولعل أبرز من وضح المسألة في ضوء مفهوم نحو النص العالم الهولندي فان ديك بخاصة في كتابه النص والسياق[٨٧]، كما أكد ارتباط فهم النصوص بمستوى إدراك المتلقي لطبيعة العلاقة المنطقية الدلالية التي تربط القضايا التي تحملها الجمل بوصفها بنى صغرى تتشكل منها صيرورة الخطاب اللسانية، وأساسه الفكري، في ضوء اكتشاف العلاقات الدلالية الكامنة بينها، وانطلاقا من معرفة العالم والمعرفة السابقة[٨٨]، وبضعة عمليات ذهنية مؤطرة بفعل الاستنتاج والاستدلال بوصفهما قواعد كبرى يتمكن المتلقي من ملء فجوات النص، وفراغاته المعبرة عن المضمر، ففي نصنا يمكن اختصار البنى الفرعية في قضايا أساسية مترابطة دلاليا، وفي ضوء ترابطها يتحقق انسجامها مع البنية الكبرى للنص "تقدير الذات، ثابت أم متغير" في ضوء التراتبية القضوية التالية:

١- مفهوم تقدير الذات، ٢- مصادر تقدير الذات، ٣- الإيمان بالقيم رافد لتقدير الذات، ٤- الثقة بالنفس رافد لتقدير الذات، ٥- الماضي وتحطيم الذات، فإذا كانت القضايا الأربعة الأولى مفعلة لأطروحة تثبيت تقدير الذات، فإن القضية الفرعية الخامسة مجسدة لمفهوم تغير تقدير الذات، مما يعني استكمال الإجابة علة السؤال الضمني الذي تضمره الجملة الفاتحة ممثلة بالعنوان المعين: وفاده: هل تقدير الذات إحساس ثابت أم متغير؟.

---

(٨٧) فان ديك، **النص والسياق**، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩، ص ٨٢ و١٢٣.

(٨٨) انظر: فان ديك، **علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات**، ص ٧٥، وانظر سعيد حسن بحيري، **علم لغة النص**، ص ٢٥٥، وانظر أيضا عبدالقادر بوزيدة، **"فان ديك وعلم النص"**، مجلة اللغة والأدب، فصلية محكمة تصدر عن قسم اللغة العربية، جامعة الجزائر، عدد١١، سنة ١٩٩٨، ص ٢٥.

لقد عرض **فان ديك** وزميله **والتر كينتش** قواعد كبرى تتحكم في تنظيم الفهم وتشكيله ذهنيا لدى متلقي النص، وهي قاعدة الحذف والاختيار والتعميم والتركيب (٨٩)، و تعني قاعدة الحذف استبعاد كل العبارات غير المهمة في تشكل المعنى الأساس.

أما قاعدة الاختيار فتتضمن الاكتفاء بالقضية المهمة التي يحتاجها المتلقي لفهم القضية الرئيسة، فكثير من القضايا المعبر عنها في النص يمكن استبعادها، والاكتفاء بما هو غير مضمن بالضرورة في البنية الكبرى، فلنا مثلا أن نستبعد احتجاج الكاتبة بمقالة نانسي ويلوت -مثلا- بالرغم من أهمية الحجة ذاتها في تثبيت أطروحة الكاتبة.

أما قاعدة التعميم فيجنح إليها على سبيل الاستبدال الذي يعوض بنية سالفة بعد أن يستوعب مفهومها لتضحي جزءا من المفهوم الجديد، فلو أخذنا المقطع التعليلي التالي للكاتبة فإنه سيكون مثلا حيا لبناء فكرة رئيسة بناء على قاعدة: "*ولا تعجب حين ترى أحد زملاء الدراسة وقد تردى مستوى تقديره لذاته برغم تميزه أثناء الطفولة أو الشباب. وقد تعذره حين تعلم أنه تعرض لتحول في مسار أحداث حياته كرحيل شخص عزيز، أو بسبب تعرضه لحادث أو إصابته بمرض عضال، أو خسارة في تجارته أو فقده لوظيفته* "، فالمتواليات الجملية والقضوية يمكن استخلاص قضية رئيسة عن طريق التعميم فنقول كما قالت الكاتبة: *الاضطرابات الحياتية والمشكلات المالية تشكلان مزيجا مَرًّا، وهراوة قاسية لتحطيم سلالم تقدير الذات*. أما قاعدة الدمج أو التركيب فيمكن استثمارها في تلخيص مجموعة من الأفكار عن طريق دمجها في بعض لتحصيل بنية قضوية أساسية، ومثالها دمج كل الجمل المعبر بها عن القضايا الفرعية في جملة استفهامية واحدة عنون بها نص الهويريني السالف، تقدير الذات ثابت أم متغير؟.

---

(٨٩) انظر: تفصيل القواعد في فان ديك، **علم النص**، ص ٨١ و ٨٤ و٨٧ و٩٤.

إن التحقق من تماسك النص المعين مرتهن بمدى قدرة القارئ المثالي على استثمار هذه القواعد ذات الصفة الاختزالية في جوهرها في تفتيت جزيئات المادة النصية من ناحية المضمون، ومن ثمة إعادة صياغة بنيتها القضوية الفرعية، وتعليق بعضها ببعض وفق قواعد الدلالة الأساسية مثل اربط السبب بالنتيجة، وإحالة الذات على الحدث و تعليق الخاص بالعام والمقيد بالمطلق والجزئي بالكلي على سبيل التضمن أو الالتزام(٩٠).

وعلى صعيد تنظيم المعلومات في نصنا المعين يمكن الحديث عن تتابع ملائم للفكرة الأساسية يقوم على تتالي للفقرات التي تشكل بتتابعها الجملي مقاطع ابتدائية وصفية وتفسيرية يهيمن عليها التعريف والتقرير من ناحية الغرض، أما هندسة البناء فقائمة على سلسلة ممتدة من الجمل القصيرة والطويلة تنفتح على جملة فعلية إخبارية مثبتة غائية طويلة هي: يعمد البعض لتعزيز الثقة بأنفسهم إلى توفير الإمكانيات المادية، ثم تتوسع بالإلحاق والعطف بـ: أو لتكتمل دلالتها الرئيسة في فقرة مستقلة نسبيا من حيث المعنى العام على الصورة التالية:

"عمد البعض لتعزيز الثقة بأنفسهم للميل إلى توفير الإمكانيات المادية، سواء بالحرص على الحصول على منصب أو بالنفوذ الشخصي أو المادي أو بطريقة الملبس وأسلوب الحديث". هذا ويمكن تقطيع هذا النص إلى فقرات خمس، يمكن عدّها نصوصا صغيرة (Mini Text)، تبدأ الفقرة الأولى فيها بالجملة الفاتحة إلى حد قول الكاتبة (على تحقيق الأفضل)، وتبدأ الثانية من (إن احترامنا لذواتنا)، وتنتهي عند (والإنجاز)، بينما تبدأ الثالثة من (طالما يعقد الشخص)، إلى (جلد الذات)، وأما الفقرة

---

(٩٠) يقرر فان ديك أهمية هذه القواعد في وصف إجراءات الوصول إلى معنى الخطاب ومحوره أو فكرته الرئيسة في المتعرف عليه، انظر **علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات**، ص٩٤.

الرابعة، فتبدأ من (أما ما يمكن أن يحدد مستوى تقدير الذات) إلى (لتقديرها)، أما الفقرة الخاتمة فتبدأ (وبالمقابل)، وتنتهي مع آخر جملة تقريرية في النص لتحطيم سلالم تقدير الذات.

ك) استراتيجية الكتابة الصحفية وتنظيم المعلومة النصية

تنخرط نظرية تحليل الخطاب في محاولة الإجابة عن سؤال مهم يتصل بتجنيس النص، وتحديد نوعه في ضوء المفارقة الشكلية والغرضية، فبينما يعبر الملفوظ عن معان ظاهرة يتيح التحليل النحوي الدلالي التمكن من تفاصيلها، وإدراك محتواها، ينتج الخطاب العابر من خلالها إلى توقع المتلقي أفعالا كلامية أساسية تندرج في التحذير من بعض القيم السلبية المستشرية في الجسد الاجتماعي.

والدعوة إلى إصلاح الخلل عن طريق التوضيح والتوجيه والحجاج عن رؤية حضارية معينة، تعكس رؤية الكاتبة، ويقينياتها بالدرجة الأولى، والتي تم التعبير عنها من خلال نموذج كتابي يعرف بالمقال الصحفي بوصفه بنية عليا، تتشكل من عدد لا نهائي من النصوص المتشابهة شكلا ومحتوى، مع الاحتفاظ بالاختيارات الأسلوبية، والخطط القولية الخاصة من حيث كونها مؤشرات أسلوبية تعبر عن لا نمطية النصوص المنجزة في الموضوع الواحد من جهة، وتعكس الاختلاف حول بناء نظرية نصية واحدة في تجنيس النصوص تتمتع بصفة شمولية من حيث القواعد والاختيارات[٩١].

---

(٩١) انظر: سعيد بحيري، **علم لغة النص**، ص ٢٢٠ وما بعدها، وانظر أيضا: فولفجانج هاينه من، وديتر، **مدخل إلى علم لغة النص**، ترجمة فالح العجمي، ص ١١٩، وما بعدها، وفان ديك، **علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات**، ص ٢٠٧، وما بعدها.

إن المهم في سياق عرضنا هذا تأكيد التوافق الحاصل بين اختيارات الكاتبة، ومعرفة القارئ بخصائص المقال الإعلامي ذي النزعة الاجتماعية من حيث شكله ولغته ومضامينه الفرعية، فهذا التوافق يبني بالتأكيد التماسك النصي بين فعلي الإنتاج والتأويل.

إن التماسك الشكلي بين سلسلة النصوص المختلفة موضوعيا في المدونة قائم على تشكلها البنوي الواحد الذي يهتدى إليه عن طريق مقارنة القارئ لأنواع النصوص المختلفة، واستنباط المكونات الشكلية التي تقوم عليها في تمثيلها للنظام الكلي ذي الصفة المعمارية المجردة، وهذا ما يعرف بهيكل الخطاب أو خطاطته الأساسية (Chema de discour)[٩٢].

كما إن المعنى الدلالي الذي تنهض عليه النصوص المتنوعة، والتي تكون في مجموعها خطاب الإصلاح الاجتماعي عند الكاتبة رقية سليمان يمكن استجلاؤه -كما مر بنا- من خلال وصف المعاني الجزئية التي تعبر في تعالقها عن المعنى الاتصالي التداولي، وهو في الحقيقة المعنى الفاعل في الخطاب الذي هدفت هذه الدراسة إلى استجلائه عبر التحليل النصي التداولي، والربط بين معاني النصوص الفرعية في ضوء علاقة الكاتبة بالجمهور المتلقي، في ظل سلطتي الزمان والمكان المعينين يحيل إلى انسجام داخلي بين أطراف المدونة المختارة من جهة، وانسجام آخر مقامي بين النصوص باعتبارها كتابة والواقع الاجتماعي المعبر عنه بهذه الكتابة.

---

(٩٢) انظر: فان ديك، **علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات**، ص ٢١٠ و٢١١و ٢١٢، وفي هذا السياق يعرف **فان ديك** البنية العليا بقوله: «**بناء ذهني يمثل معرفة الإنسان بالشكل النمطي لنوع النص**»، ص ٢١٠.

كما يكشف ارتباط النصوص العلاقة الكائنة بين الكاتبة والإطار النفسي الاجتماعي الذي يكتنف عملية الكتابة الصحفية نفسها في حيز جغرافي وزماني محدد سلفا، له مرجعيته الثقافية والفكرية والأدبية التي يتأسس عليها، وينخرط في صيرورتها الحضارية، بما هي فعل تعبيري يمثل هاجس المثقف العربي في اتصاله وانفصاله عن الواقع المعيش، وأسلوب تعاطيه مع المؤسسة الحاكمة للجماعة التي إليها ينتمي، بل ربما يذهب بعيدا في تأويل علاقة المشروع الإصلاحي المنجز في الكتابة الإعلامية السعودية المحلية والواقع اليومي للمواطن بما يكتنفه من إشكالات فكرية تسبب نوعا من الصدام المرجعي بين أنصار التحديث الاجتماعي ومؤيدي التراث بما تحمله هذه اللفظة من دلالات ثقافية واجتماعية ومذهبية قد تكون فضفاضة وعائمة أحيانا كثيرة، وبين الراغبين في الأنموذج المدني الغربي، وتفسيره للعلاقة بين الفرد والمؤسسة، والمعرضين عنه لأسباب كثيرة بعضها موضوعي، وأخرى غير ذلك. لقد نتج عن تفاعل هذه الأسيقة، وإحالة النصوص عليها خطاب إصلاحي اجتماعي ينقد في هدوء بمنطق سليم، دون أن تنخرط صاحبته في استهزاء أو استهتار أو استخفاف بعقول المخالفين، أو المخاطبين بصفة عامة بخلاف ما يتلمسه القارئ الحصيف في بعض النماذج الإعلامية الأخرى في فضاء المدونة الصحفية نفسها(٩٣).

---

(٩٣) نقصد بهذا الوصف الخطاب اللاذع الذي تشكله نصوص محمد عبد اللطيف آل شيخ وحماد السالمي التي، وأدرج حججهما في ما يعرف نظريا بحجج التجهيل، إذ تقدم هذه الحجة في سبيل إضعاف قوة الرأي المضاد على رسم حاجته بالجهل والزعم والظن وتهافت الفكر قصد صرف السامع عنه، وتحويل وجهته السماعية والعقلية والعاطفية إلى المحاجِج فقط، إن وسم الآخرين بالتجهيل يضم بين طياته نفيا للآخر، ورفضا لمبدأ الحوار والجدل ذاته، لاغيا تعدد الأصوات ودمجها في صوت واحد له سلطة التوجيه والتعليم والسيطرة، كما أن اعتماد هذه

ولعل من أهم خصائص الكتابة الإعلامية التي تميز نصوص رقية الهويريني اهتمامها بأسلوب التهـويل والتضخيم قـصد إثـارة القـارئ، ولفت انتباهه لأهـمية ما يوصف أو يقرر، مستدعية صيغة الإخبار في الماضي تمعينا لدلالة الثبات والاستقرار على الحال، ومن ذلك ما يستشف من تعليقها على نظام ساهر القاهر(٩٤): "أصح المرء وجلا خائفا مترقبا(٩٥)، يضع يده على محفظته كلما تلقى رسالة جوال خشية أن تكون مرسلة من المرور بعد تطبيق نظام (ساهر القاهر)".

لقد حملت هذه المقدمة الأطروحة الأساسية، أو دعوى النص الحجاجي الذي ستبذل المحاججة له حججا مختلفة فـي قوتها الإقناعية توزعها عـلى المساحة النصية بخطة تعـادل فيها بين حجة الواقـع وحـجة المنطق، كما يلفتنا استهلالها إلى التـأثر

الحجة يسم طرفا من المحاجَجين بالوثوقية والاستقامة والانتخاب في مقابل طرف آخر يمتاز بعكس الصفات السالفة. و المصادرة على المطلوب، والحجاج المغالطي الذي اعتمده قدماء السفسطائية في قلبهم لحجج الخصوم، والبناء عليها، هذا لا يعني الإنقاص من قيمة الرأي عندهما بل بالعكس من ذلك لقد قادتني دراستي في نماذج لنصوصهما لم تنشر بعد إلى تأكيد براعتهما في بناء الخطاب الحجاجي، وقدرتهما على تنويع الحجج وتنظيمها تنظيما محكما يحقق غاية التبليغ والإقناع والإمتاع في الآن نفسه. انظر توسعا نعمان بوقرة، تحليل الخطاب غير الأدبي، مخطوط تحت الطبع، وانظر مفهوم الحجاج المغالطي في المدونة التراثية في: الجاحظ، **البيان والتبيين**، إذ يقول: "هو تصوير الحق في صورة باطل"، ١/ ٢٢٠، وانظر توسعا: محمد النويري، **"الأساليب المغالطية"**، ضمن أهم نظريات الحجاج، ٤١٣ وما بعدها.

(٩٤) رقية الهويريني، "نظام ساهر القاهر"، جريدة الجزيرة، عدد١٣٧٥١ سنة ٢٠١٠، ٢٣ مايو ٢٠١٠، ص ٣٠ تحت عنوان المنشود.

(٩٥) تتناص هذه الصورة مع صورة قرآنية تصف حالة موسى عليه السلام لما اعتراه الخوف بسبب وكزه للرجل، قبيل خروجه إلى مدين خائفا يترقب في سورة القصص، وهذا إنما يدل على تأثر أسلوب الكاتبة بأسلوب القرآن الكريم.

بأسلوب القرآن في التصوير، إذ تتحاور المقـدمة مـع قـوله تعالى فخرج منها خائفا يترقب، تأكيدا للجو المريب الذي يكتنف حياة المواطن، فنظام ساهر أصبح مصدر قلق له، بل لقد تحول إلى مدعاة إلى لا أمن السائقين، في الوقت الذي كان يهدف فيه بداءة إلى إصلاح حال الناس، وتنظيم حياتهم المرورية، والتي هي جزء من حياتهم الاجتماعية، واستقرارهم المدني .

كما تكشف وحدة جوال عن هيمنة نظام الاتصال السمي بالرسائل القصيرة في التواصل اليومي، وقـد يـدل على سبيل الافتراض المسبق على الوضعية الاجتماعية والميسورة في تملك جهاز اتصالي متطور، أو انشغال الناس الدائـم، أو تطور نظام الاتصالات في المجتمع، وتفوق الحكومة الالكترونية في تعاملاتها اليومية مع المواطنين.

أما القوسان فيؤشران إلى أهمية المنصوص بينهما، مما يؤكد أثرهما النفسي البصري على القارئ، ووظيفتهما التنبيهية له على ما تشير إليه الدراسات السيميولوجية المعاصرة. لقد استند الدفاع عن نظام ساهر في رؤية المحاججة على نقد رؤية الآخرين، ودحض تصورهم السلبي من حيث كونه أضحى وسيلة إلى استغناء الخزينة العامة، فالرافضون يرون هذا النظام الرقابي في سرعة تطبيقه الصارم بدون تهيئة مسبقة أو كافية للسائقين أضحى صيادا يتحين عثرات الفرائس لينقض عليها مشبعا نهمه في إذلالها، والسيطرة عليها ماديا، ولعل استناد المحاججة إلى منطق التدرج في التشريع، بوصفه منطقا إلهيا قضى بتحريم المحرم بعد التدرج في ذكر معايبه أكثر الحجج النفسية تأثيرا في الواقع الفـردي والاجتماعي: "إن السرعة فـي تطبيقه دون تمهيد وتهيئة وإرشـاد وتوجيه للمواطنين والسائقين يعد خطأ فادحا"، فمبدأ التدرج الذي تدعو المحاججة إلى اعتماده في هذه الحال أمر لابد منه، وقرائن التدرج أفعال كلامية تبيينية

تنزع إلى التوضيح وبسط الرؤية والمزايا قبل أن تتحول إلى أفعال إيقاعية طلبية: تمهيد – تهيئة إرشاد – توجيه(٩٦).

أما النوع الثاني من الحجج فيمكن ربطه بالواقع الفعلي الذي يقوم الفعل بناء على نتائج الممارسة، فالحجة الواقعية تسترفد طاقتها الإقناعية من معطيات الواقع المادي الذي انخرط في التنفير من صورة تطبيق نظام ساهر، فقد وصف المقطع الوصفي التالي حالة الناس، وتذمرهم من عدم دقة منظومته الرقابية: "لعل ثورة المواطنين واستنكارهم ضد هذا النظام لديها ما يؤيدها إذا أخذنا في الاعتبار بعض السلبيات مثل: آلية تسجيل المخالفات على مالك السيارة في حين أنه أحيانا قد لا يقودها كرب السيارة أو المرأة التي تملك السيارة، وتتحمل تكاليفها مع وقف تنفيذ قيادتها، وهذا الإجراء من باب الظلم للملاك وداع للاستهتار والتعمد من قبل السائقين، والأمر يسري على سيارات التأجير أيضا حيث تسجل المخالفات على شركة التأجير، وليس المستأجر، ويطبق على حالة الاستعارة"(٩٧)، إن هذا المقطع الوصفي لا ينخرط في سياسة تقريرية إخبارية عن الواقع فحسب، بل يتلمس طريق الاعتذار لتفكير الناس واحتجاجهم على مردود النظام المعين. إن النزعة التبريرية تتحول في هذا المقطع إلى فعل تعبيري إنكاري يغالي في إنكاريته بوصف النظام بالظلم وتجاوز

---

(٩٦) رقية الهويريني، "نظام ساهر القاهر"، جريدة الجزيرة، عدد١٣٧٥١ سنة ٢٠١٠، ٢٣ مايو ٢٠١٠، ص ٣٠ تحت عنوان المنشود، أما عن مفهوم الفعل التبييني فيمكن التوسع في: صلاح إسماعيل عبد الحق، **التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد**، ص ٢٢٢ وانظر أيضا:

Francois Recanati, naissance de la pragmatique ,in quand dire c est faire,p185.

(٩٧) رقية الهويريني، "نظام ساهر القاهر"، جريدة الجزيرة، عدد ١٣٧٥١ سنة ٢٠١٠، ٢٣ مايو ٢٠١٠، ص ٣٠ تحت عنوان المنشود.

الحدود، كما لم يستطع المقطع السالف اخفاء رغبة مضمرة بضرورة تطبيق المسؤولية شرط للحساب فالمرأة التي لا تقود لا تغرم.

إن هذا الملفوظ الوصفي من وجهة نظر تداولية صرفة يخفي إضمارات كلامية فعلية تنجز عملا غير صريح هو الدعوة إلى قيادة المرأة، إلا أن حيثيات المقام، وشرائط فعل التلفظ استلزمت خرق الصريخ بالمضمر الذي لا يخفى على المتأول في سياق ربط حبائل الكلام بعضها. ويستغرق المقطع الوصفي اللاحق الحجة نفسها، وقرائن هذا الحجاج الواقعي الوحدات المعجمية التالية:

معظم الناس - شركة خاصة متحكمة - دارة مرور الرياض – المخالفات – الغرامات - التحذير - التثقيف – السداد - الوساطات، وغير ذلك من الوحدات والعبارات التي تنتمي إلى حقل معجمي عينه هو حقل الواقع المروري. كما إن المحاججة اعتمدت في هذا الحقل علاقة الترادف التي تربط المعاني الإفرادية المتشابهة ببعضها لتقوية المعنى العام، وتأكيد الوصف، وترسيخ الفكرة.

كما تتكرس دلالة القلق عبر استدعاء وحدات تنتمي إلى معجم الخوف مثل: التشكيك - هاجس – التحذير – الحظر - ضحايا – حرب الشوارع - استنزاف الأرواح - إعاقات - أموات - ردع. هذا ولقد اخرط الخطاب الحجاجي المنجز في فعل كلامي أساسي يمثله فعل النصح، إذ تبادل المحاججة باعتبارها مواطنة بناءة فعل النصح للقائمين على نظام المرور، مسدية لهم توجيهات عملية تدعم نجاح الفعل، وتوفيقه في تنظيم الواقع المروري.

وقد تركز فعل النصح الذي التزمت به المحاججة تجاه النظام على طلب إنفاذ ما يلي: ١- توعية الناس، ٢- تحذيرهم من الإفراط في السرعة، ٣- ضبط أنواع المخالفات، وغراماتها،٤-التوعية المدرسية والمسجدية، وهذا يعني أعطاء مشروعية

مؤسسة اجتماعية للنظام،٥-توظيف الإعلام، ٦- استثمار النص الإشهاري في التوعية الشعبية، ٧- التدرج في التنفيذ. تنطلق المحاججة في بناء استدلالاتها من معرفة سابقة، تجعل قصور النظام فـي تقنياته الذاتية فـي ورطة حقيقية، بل وتتهمه بالنقص، وهـذا ما يعرف في أدبيات النظرية الحجاجية بأسلوب التجهيل، إذ كيف يمكن للقارئ أن يوفق بين صدور هذا النقد الوجيه من محاججة مهنتها الأساسية الكتابة الصحفية، وبين نظام يفترض قيامه على خبرات شخصية، ومعرفية عديدة، أفليس من الجهل أن يغفل النظام اللوحات الإرشادية التي تحدد السرعة في شتى الطرق الرئيسية والفرعية مثلا؟!

هذا ويعد المقطع الوصفي الأخير خاتمة نصية تصف حـال المواطن السائق، والإرباك المادي الذي يسببه له مخالفة نظام ساهر القاهر، لقد تحول فعل العقاب أداة تربوية وإصلاحية لواقع الحال، وقد عبرت المحاججة عن رؤيتها الداعية إلى ترسيخ ثقافة العقاب المتدرج، كاشفة عن خصوصية اجتماعية مهمة تحين البعد المادي من جهة، وتجعله سببا في إثارة فئة أقل وعيا لا ترى في فقد المال إلا مدعاة للتندر والمباهاة، في قولها التقريري التالي: فلم أر مثل فقد المال معلما ومؤدبا [٩٨]! أما الأغنياء وأبناء الأثرياء فإن تلك المخالفات ستكون إحدى الدعابات المتداولة في جلسات الوناسة!

إن النتيجة المعطاة عبر هذا التحاجج لتظهر صراحة في أمل أن يحقق النظام غرضه الوقائي والاجتماعي، ملفتا مرة أخرى إلى مخاطر الاستهتار في القيادة، واللعب بالنار، والذي لا ينتج إلا إعاقات وأموات. إن حجة الحجج الإفصاح عن واقع الحال بلغة الأرقام، وإن كانت المحاججة لم تعنى بالتفاصيل الرقمية إلا أن القارئ سيجد

---

(٩٨) يمكن عد هذا الإعلان حجة من حجج العموم التي يتوافق عليها جميع الناس، عن هذه الحجة يراجع Bruton, l argumentation dans la communication ,p 61-67.

هذا البعد في توظيف صيغة جمع التكسير في صورة التنكير مما يزيد في دلالتي الكثرة، والمبالغة.

إن اختيار المقدمات الحجاجية بهذه الصورة، من جهة كونها منطلقا استدلاليا، ومبتدأ برهانيا يجعل الخطاب متسما بقوة حجاجية تقود إلى ترشيح اليقين بالحقائق الناجمة عن عمل الوقائع وترابطها كما عرضت الكاتبة(٩٩). كما يتحدد تنظيم الكاتبة للمعلومات الأساسية المرتبطة بالموضوع الأساس "تقدير الذات" انطلاقا استحضارها لمفاهيم عامة تتصل بالواقع الاجتماعي الذي يؤطر فكرة تقدير الذات بين الأفراد، كما تستند إلى إطار معرفي آخر تمثله المعلومات المجموعة بالبحث من أصحاب الخبرة في الموضوع، ويمثلها في هذا السياق تعريف الباحثة في علم الاجتماع نانسي ويلوت.

إن فهم الكاتبة لإطار الموضوع في كليته سيسمح ببناء النص بناء ملائما ينسجم مع سياق التلفظ من جهة، ويضمن تماسك الأفكار الجزئية المعبر عنها في النص نفسه، وبالنسبة للمتلقي يمكن أن يصل إلى تحقيق الفهم، وإدراك مقصد الكاتبة إن انطلق من البنية المفهومية ذاتها فيما بنته ذاكرته الدلالية من معلومات سابقة حول الذات، وتجارب حياتية نموذجية(١٠٠).

كما يعكس التتابع الموضوعاتي للأفكار الجزئية المحمولة عن طريق تتابع الجمل والفقرات والوحدات الواصفة عن برمجة فكرية ذهنية منسقة للقضايا المخزنة في ذاكرة

---

(٩٩) انظر: علي الشبعان، **الحجاج والحقيقة**، ص٣٧٨.

(١٠٠) عن مفهوم الإطار أو القالب ينظر: فولفجانج هاينه من وديتر، **مدخل إلى علم لغة النص**، ترجمة فالح العجمي، ص ٨٧، وانظر أيضا محمد خطابي، **اتساق النص، مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص٢٠٠.

الكاتبة، والتي استجمعتها من تمعن أحوال الناس في أوضاعهم النفسية والاجتماعية المختلفة[١٠١]:

تقول في الفقرة الأخيرة "فتتابع خبراتنا الإيجابية حتى سنوات البلوغ تضيف درجات مرتفعة لمستويات تقدير الذات، وإحلال التجارب السلبية مكانها يجعل مستوى تقدير الذات يتقهقر وينخفض".

إن القارئ في تأويله لهذا الملفوظ مطالب بالعودة ضرورة إلى معرفة خلفية ينشط من خلالها تفاصيل مرحلة عمرية مر بها حتى سنوات البلوغ، بما حدث فيها من أعمال إيجابية وسلبية، قصد قياس تأثيرها في تكوين شخصيته، توجيها لإقرار ما ذكره النص، ونبه إليه من وجود صلة وثيقة بين الذكريات الماضية، ونظرة الإنسان إلى نفسه بين الإيجابية والسلبية. إن تفعيل هذا البعد هو ما يسمى في علم النفس المعرفي بتنشيط المدارات والخطط.

أما السيناريوهات فتعني المرجع الموسع الذي نعتمده لتأويل القول في ضوء معرفتنا الكلية بظروف إنتاج الخطاب[١٠٢] المحلل لموضوع تقدير الذات، إذ تكشف المعرفة الخلفية عن تدهور فاضح في العلاقة بين الذات والإنسان العربي الذي تنتمي الكاتبة إليه، فحديثها عن عواقب سوء تقدير الذات ليس مجرد حديث علمي أنتجته رياضة فكرية أو سمر قولي، أو تغريد خارج السرب.

---

(١٠١) براون ويول، **تحليل الخطاب**، ص ٢٨٨، والمقصود بالخطاطة أو المدار تتابع الوقائع المخزنة في الذهن، والتي حدثت وتكررت واقعيا، فاكتسبت سمة الرسوخ الذهني، يتم استدعاؤها غالبا في وصف السياق المرتبط بها.

(١٠٢) فولفجانج وديتر، **مدخل إلى علم لغة النص**، ص ٨٧ وانظر أيضا بول و براون، **تحليل الخطاب**، ص ٢٩٣.

بل يعبر عن عمق عناية الكاتبة بأدواء المجتمع الذي إليه تنتمي فقد أضحى سوء تقدير الناس لذواتهم مشكلة نفسية واجتماعية لها أسبابها ونواتجها غير المرغوب فيها، تدفع إلى التواكلية والانهزامية، والشعور باليأس، وتدعو المهتمين أفرادا ومؤسسات إلى ضرورة مراجعة المسألة، وإيجاد حلول لها، وإن لم يفصح النص في خطته القولية عن أي فعل كلامي طلبي.

أما الهيكل العام للنص فيقوم على عرض أطروحة أساسية تمثل مشكلة نفسية واجتماعية، ونقاش مكوناتها وتداعيتها نقاشا حجاجيا لا يفضي إلى تقديم حل نموذجي لها في الخاتمة كما جرت عادة النصوص القائمة على عرض المشكلات في تقديم حلول صريحة لها مع خاتمتها.

لقد اعتمد هذا النص تقديم التوجيهات التربوية في سياق عرض جزئيات المشكلة في السياق التلفظي نفسه، والسكوت عن عرضها صراحة في الخاتمة.

إن تصور النص وفق هيكل مشكلة وحل مصاحب يعد وسيلة مهمة لتمثيل الخلفية المعرفية لخطاب الكاتبة، والتحقق من تماسك النص، وانسجامه مع الهيكل الكلي للمقالة الصحفية (١٠٣)، الذي يمثله الهيكل، مقدمة ثم عرض الأسباب والنتائج ثم خاتمة ملائمة للمقدمة، تربطها بها علاقة التقابل في الحالة.

كما تنطلق مباشرة الانسجام الدلالي في النص المعين من محاولة الاقتراب من كيفية اشتغال العلاقات الدلالية الأساسية، فعلاقة الإضافة -مثلا- تظهر من خلال

---

(١٠٣) يوجه مفهوم الهيكل المتلقي إلى فهم أمثل للخطاب المدروس، بتوجيهه إلى المعلومات الأكثر أهمية من جهة، وتسهيل تفسير المعلومات، انظر: عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص ٢٠٠، نقلا عن Jan Renkema, discourse studies, p 164.

احتواء النص المعين "الحسد سرطان النفوس" على نصين أحدهما رئيس، وهو مساوئ الحسد النفسية والاجتماعية، وثانيهما ضمني مسكوت عنه، يكشف عن تألم الذات المتكلمة (الكاتبة) من حسد المحيط، ومواقف الأفراد السلبية منها بخاصة، ومن كل مثل اجتماعي يحاكي النجاح والتميز، وانطلاقا من علاقة الإضافة[١٠٤] يتم بناء النص في موضوعه الرئيس "الحسد" عبر تتابع الصفات والأحوال والأحداث التي تنقلها الجمل الوصفية الإخبارية ذات الصفة التقريرية، المتتابعة لبناء قول الكاتبة" فقد يكون أحد أسبابه -الحسد- قلة الإيمان، وعدم تهذيب النفس، وحملها على القناعة، والرضا بالواقع، والركض وراء المادة، وحب التسلط..."، وأيضا في قولها: "يكثر الحسد بين النظراء والأقارب والأصدقاء، وهؤلاء الناس ممن يتعايش معهم المرْ، ويدخلون بيته، أو يشاركونه عمله أو حياته، ويطلعون على أحواله".

وتقوم علاقة التتابع الشاذ بمهمة رئيسة في وسم أحداث الخطاب بسمة المصادفة والفجائية، مما يكون له كبير الأثر في استمالة القارئ، وشحذ انتباهه للمشكلة الرئيسة، فالمفاجأة في نص "الاستغفال" -مثلا- خرقت أفق التوقع بالإعلان عن حدث لا يترتب ظهوره عن سرد الوقائع السالفة، مؤطرة بشخصيات، تحركت في زمان ومكان معلومين، حددهما النص.

أما المؤشر اللغوي الدال على المفاجأة، فهو إذ الفجائية في الغالب، والتي تنسجم في إحالتها المعنوية مع دلالة استلاب الإرادة والاختيار، كما إن توظيف الفعل المبني للمجهول ليس مجرد اختيار أسلوبي يهدف إلى تنويع الصياغة النحوية للجملة، بل إن غايته إحداث انسجام دلالي واجتماعي عام بين عالم النص الداخلي، وسياقه

---

(١٠٤) انظر: عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص٢٠٣.

الاجتماعي، مما يحيل إلى دلالات عدم الاستقرار والاضطراب واللامتوقع. إن التعبير بصيغة المجهول إنجاز لفعل تعبيري يشي بالإحساس بعدم الاستقرار، وفقدان الإرادة وحرية العمل، وجدير بالتذكير في هذا السياق أن النص السردي بعامة يسلك مسلك الإتيان باللامتوقع من الأحداث، شريطة أن تقدم الشخصيات في صورة غير مباشرة، وما يلاحظ على النصوص التي اتخذت خطة سردية بخاصة نص العشق والاستغفال أن الكاتبة لم تنوع في أسلوب تقديم الشخصية، مما يجعل القارئ ثابتا أمام خبر سكوني بسيط.

ولعل ذلك راجع إلى أن توظيف السرد ليس مقصودا لذاته، بل لاستمالة القارئ، وإيهامه بصدق الخبر، توطئة لطرح المشكلة الرئيسة موضوع الحجاج الإعلامي.

انطلقت هذه القراءة بداءة من آليات تحليل الخطاب تحليلا لسانيا تداوليا، مباشرة مدونة إعلامية محددة زمانا ومكانا، إذ تعلق الأمر بخطاب الإصلاح الاجتماعي الذي تدعو إليه **رقية سليمان الهويريني** عبر نصوص مختلفة شكلا وموضوعا، نشرت في عمود المنشود بصحيفة الجزيرة اليومية، إحدى الصحف السعودية ذائعة الصيت من حيث الانتشار والمقروئية بحسب تصريحات مسئوليها.

هذا وقد سعت القراءة من خلال استثمارها لمفهوم الانسجام النصي إلى الكشف عن أدوات التماسك، وعلاقاته العاملة في هذه النصوص لإنجاز الفعل التواصلي الأساس، والمتمثل -كما مر بنا- في فعل الإصلاح الاجتماعي، ببث الوعي بقيمة المواطنة بين الجماهير المشكلة للنسيج الاجتماعي، تجسيدا للوظيفة الاجتماعية والحضارية التي تضطلع بها الصحافة المكتوبة.

خاتمة المبحث

بعد هذه القراءة يمكن تحصيل جملة من النتائج الجزئية، نعرضها فيما يلي:

١- الخطاب الصحفي الإعلامي المعين نتاج للحراك الثقافي والاجتماعي المحلي من خلال اهتمام الكاتبة بالمستجد من قضايا الأمة، والموضوعات عميقة الصلة بثوابت المجتمع ومتغيرات الواقع.

٢- تداخل الأساليب القولية في الخطاب الصحفي المعين، إذ عمد إلى الوصف تارة، وإلى السرد تارة أخرى، مما جعل المقال الصحفي لدى الكاتبة يرتكز في كثير من نماذجه الموصوفة على البنية السردية بخاصة في نص **"العشق والاستغفال"**، فقد وظف السرد بصور متعددة لخدمة الأطروحة المركزية.

٣- أسفر اتصال الموضوعات الاجتماعية بالمقال الصحفي (عمود المنشود) عن تشكل خطاب نقد اجتماعي يتوسل التوجيه برفق، قصد نشر ثقافة المواطنة، مباعدا أسلوب القدح، والنقد اللاذع، مما يعكس رؤية الكاتبة لمفهوم التطور الاجتماعي، والبناء الحضاري الذي يستلزم قيام ثقافة للحوار الهادئ.

٤- ليست المقالة الصحفية فضاء لغويا لحدث إخباري منقول فقط، بل هي أداة تعليمية لاكتساب مهارات لغوية متعددة مثل: التحليل والتركيب والنقد والقص والحوار والوصف والتعليل والاستدلال، بل هي أيضا رافد مهم من روافد الذخيرة اللغوية يمكن أن يحصّل منها القارئ اختيارات معجمية حديثة تعبر عن اللغة العربية المعاصرة في تجددها ونموها، من خلال هذه النصوص الأصيلة، بخلاف المشككين في جدارة هذا المستوى التعبيري في ترسيخ قوالب اللغة الوظيفية.

٥- يضمر التنوع الشكلي الأسلوبي، وتعدد الموضوعات، وخطط القول كفاءة لسانية، وأخرى تبليغية تتقاطع عبرها ملكات إنجازية عديدة مثل: الوصف والتفسير

والمقارنة والنقد والحجاج، أنتجها حدث الكتابة الإعلامية من لدن "رقية سليمان" أو لنقل أنجز هذا الخطاب من خلال كفاءة إعلامية تحكمها اختيارات لسانية، وأخرى تداولية.

٦- يسهم تناص هذه النصوص مع أخرى في السياق الكتابي نفسه (سياق صحيفة الجزيرة وكتّابها) في الكشف عن سياسة الكتابة العامة في هذه الصحيفة من جهة، وتميز البنية العليا للمقال الإعلامي من جهة ثانية بالنظر إلى توافق المقدمات والقضايا المعبر عنها، وطبيعة النتائج، ناهيك عن استدعاء القصة تقنية حجاجية مائزة عند لفيف من كتاب الصحيفة المعينة.

الفصل الخامس

التحليل التداولي للخطاب الحضاري، أحمد توفيق المدني أنموذجا

مهاد

إن تداخل المواد العلمية يشكل عائقا أساسيا يمنع من تحديد النص الحضاري تحديدا دقيقا، بل ينفي وجود نوع نصي من حيث الجنس والماهية، يمكن أن يصطلح عليه باسم "النص الحضاري" إلاّ أن الطريقة في التعامل مع النص في مستوى قراءته وتوصيف بنياته وأغراضه ومقاصده هي التي ستفتح المجال أمام دراسة النص لكي يستكشف القيم الحضارية التي تشكل نتوءات موضوعية مهمة تهيئ لثراء النص في ناحيته التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والتربوية، والتعامل مع تراث جمعية العلماء المسلمين في مستوى النصوص المنجزة من قبل أعلامها سيتيح لنا الاقتراب من خصائص النص الحضاري وأغراضه الخطابية في التنظير والممارسة في ظل سياقات واقعية معينة.

وما نريد الوقوف عنده من خلال هذا المقصد تكريس الهموم الحضارية لمشروع جمعية العلماء ووسائل الإقناع المتبعة للوصول إلى الغايات الإصلاحية في المجتمع الجزائري في ضوء توصيف لنماذج نصية حضارية لأحد أبرز مفكريها، ألا وهو "**أحمد توفيق المدني**" المفكر والمؤرخ ورجل الثقافة اليومية.

كان **أحمد توفيق المدني** شخصية فكرية وثقافية مثيرة للجدل، مؤثرة في تاريخ الثقافة الجزائرية الحديثة إبان الحكم الاستدماري في الجزائر، ورائدا من رواد الكفاح الوطني ضد الهيمنة الأجنبية في الوطن العربي بعامة والجزائر بخاصة على الصعيد السياسي والفكري والديني، إذ لمع نجمه في سماء الوجود الجزائري إبان الستينات من القرن المنصرم، وتميّزت أفكاره بأصالتها وقيمتها الحضارية في إطار المشروع الحضاري الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قصد إصلاح الوضع الاجتماعي العام للأمة الجزائرية.

والمتتبع لجوانب سيرته النضالية يستكشف تلك الروح الثائرة والحالمة بغد أفضل تنعم فيه الجزائر بالحرية والأمان في ظل مبادئ الإسلام السمحة، وتماشيا مع خطة البحث فإنه من الضرورة بمكان أن نشير إلى بعض جوانب هذه السيرة قبل التوقف عند القيمة الحضارية التي يزخر بها خطابه الفكري، فأحمد توفيق المدني من مواليد تونس سنة ١٨٩٩م[١]، درس بالمدرسة **الخلدونية**، ثم التحق بجامع **الزيتونة** سنة ١٩١٣/ ١٥م[٢]، وخلال سنة ١٩٢٠ بدأ نشاطه السياسي ضمن الحزب الدستوري التونسي مما جعل الحاكم التونسي يأمر بنفيه إلى الجزائر سنة ١٩٢٥[٣] حيث اتصل

---

(١) والده محمد بن أحمد المدني من أصول غرناطية من جهة والده كان عارفا بالعربية، وكان جده شيخ بلدية الجزائر، أما أمه فتركية والدها **عمر بويراز** أحد الثوار الأتراك في تونس على الحكم الفرنسي، كان والده قائد كتيبة تركية في معركة إسطوالي الشهيرة، انظر أكمل الدين أحسن أوغلي، هذا ما حدثني به المدني، مجلة التاريخ، ص٣٦.

(٢) المدني، **حياة كفاح**، ١/ ص٦١و٦٢. ونلفت أنظار القراء إلى تتلمذه في التاريخ للعالم حسن حسني عبد الوهاب والشيخ النحلي في التفسير والصادق النيفر في الفقه وابن القاضي في النحو والشيخ معاوية التميمي في آداب اللغة العربية، انظر **حياة كفاح**، ص١/ ٦٢ وما بعدها.

(٣) حياة كفاح، ١/ ٣٣٥.

العلامة عبد الرحمن ابن باديس متعاونا معه رفقة نخبة من أعلام الجزائر لإنشاء نادي الترقي سنة ١٩٢٧، وهو النادي الذي استقطب رجالات التيار العربي الإسلامي الحديث(٤).

ثم عين محررا سياسيا لجريدتي ***الشهاب والبصائر*** إثر تأسيس الجمعية، كما عين سنة ١٩٤١ أمينا عاما لها إلى غاية ١٩٥٦، وفي ١٩٥٨ عين أمينا عاما للهيئة السياسية الجزائرية بالخارج وممثلا للجبهة بالقاهرة ووزيرا للثقافة بالحكومة المؤقتة، وبعد الاستقلال تقلد مناصب سامية، فقد استوزرته الدولة على الأوقاف، ثم عين سفيرا في **إيران ثم العراق** و**تركيا** و**باكستان**، وكان خير من مثل الجزائر خلقا وعلما بعيدا عن تلك الشبهات التي وقع فيها غيره من غلمان الدبلوماسية بتأثير المصلحة والدسائس -على حد تعبير بعضهم-، وبتأسيس المركز الوطني للدراسات التاريخية عين مستشارا مؤرخا إلى أن توفي -رحمه الله- في الثامن من شهر أكتوبر من العام ١٩٨٣م(٥)، وهو كما يصفه **عبد الرحمن الجيلالي** رائدا مشاركا في كل النشاطات الفكرية والأندية السياسية والاجتماعية في القطر، واسع التآليف، مثريا للمكتبة العربية والجزائرية سيان(٦)،

---

(٤) أبو القاسم سعد الله، **منطلقات فكرية** ، ص١٣١.

(٥) عبد الرحمن الجيلالي، "**مزية الأستاذ أحمد توفيق المدني على تاريخ شمال إفريقيا**"، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الأول من سنة ١٩٨٥، الجزائر، ص٢٤.

(٦) لعل أشهر مؤلفاته: **تقويم المنصور** (١٩٢٢-١٩٣٠)، و**قرطاجنة في أربعة عصور**، و**تاريخ شمال إفريقيا قبل الإسلام** ، كتاب **الجزائر (الجغرافيا والتاريخ والمجتمع)**، وكتاب **محمد عثمان باشا**، و**المسلمون في جزيرة صقلية**، و**هذه هي الجزائر**، وحرب **الثلاثمئة عام**، (١٤٩٢-١٧٩٢)، و**مذكرات نقيب أشراف الجزائر**، و**حياة كفاح** (١٩٠٥-١٩٢٥/ ١٩٢٥-١٩٥٤/ ١٩٥٤...)، و**مسرحية حنبعل**.

موسوعيا دقيق الملاحظة، محققا في مصادر معلوماته(٧)، ملبيا للواجب مهما كلفته الأحوال.

وربما استكشفنا هذه الروح في مقدمة كتابه "حياة كفاح" إذ يقول في المقدمة: *خلقت ثائرا، حيثما تكون الثورة أكون، وتكون الثورة حيثما أكون(٨)، فمنذ فتحت عيني على أضواء الحياة، ومنذ شعرت بوجودي بشرا سويا وجدتني مندفعا اندفاعا جارفا جريئا على مجتمع مهلهل متخاذل منحل، ثائرا على أخلاق ظاهرها النفاق وباطنها الفساد والتحلل من كل القيم العالية، ثائرا على دراسة رتيبة عقيمة لا روح لها، ولا غاية ترتجى من ورائها، ما كانت إلا ألعوبة مستعمر مجرم، سيئ النية خبيث الطوية، يريد بواسطتها تحقيق مبدئه الاستعماري الفضيع"*(٩).

١ - الخطاب الحضاري عند أحمد توفيق المدني

ليس سبيلنا هنا تقصي مفهوم الحضارة(١٠) وأسسها وتميزها عن المدنية فذلك موضوع آخر، إنما سبيلنا تمعين الأسس الحضارية الثقافية والاجتماعية والسياسية التي بفرزها الخطاب الإصلاحي الذي أنتجه أحمد توفيق المدني ضمن منظومة فكرية ومشروع

---

(٧) ربما كان كتابه **الجزائر** خير دليل على عبقريته التاريخية وروح العلمية في تقصي الحقيقة والتثبت في الخبر، إنه بحق رائد الكتابة التاريخية في الجزائر بدون منازع!!.

(٨) لمزيد من تفاصيل مسيرته الثورية ينظر حياة كفاح، ١/ ٧٣-٨٤-٩٢-١٠٦-١٤٢ وما يليها.

(٩) المدني (أحمد توفيق)، **حياة كفاح**، الشركة الوطنية للطبع والتوزيع، ١٩٧٣، الجزائر، المقدمة.

(١٠) عن مفهوم المصطلح يراجع، عز الدين الخطيب التميمي، **نظرات في الثقافة الإسلامية**، دار الشهاب، الجزائر، ص ٢٤٨ وما بعدها. وانظر أيضا، قسطنطين زريق، **في معركة الحضارة**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٦٤، ص ٣٨ وما بعدها.

متميز قدمته جمعية العلماء المسلمين يضطلع أساسا بمهمة الإرشاد الديني ومحاربة كل أشكال الجهل التي كانت سببا في التقهقر السياسي، وغموض فكرة مشروع المجتمع إبان الكفاح الوطني(١١).

والظاهر أن آراء المدني المبثوثة في مؤلفاته التاريخية تؤسس لروح المجتمع المسلم والمتحضر بأخلاق النبل والعمل الجاد، وربما أمكن تلخيصها في المبادئ التالية:

١-الاتجاه الإنساني في المعاملات.

٢-التسامح الديني.

٣-الاتجاه الأخلاقي والتربوي.

٤-تصيح العلاقة بين الخالق والمخلوق.

٥-التضحية في سبل الوطن بالغالي والنفيس، وربما تمكنا من بسط رؤيته الحضارية من خلال الحفر في أعماق النص التاريخي الزاخر بالموضوعات المختلفة والسياقات المتعددة عبر مذكراته وسائر المؤلفات الأخرى.

٢- بنية الإقناع في خطاب المدني في ضوء كتابه حياة كفاح

يقوم توصيف الإقناع من حيث هو وظيفة لسانية في نصوص **المدني** على وصف بنية الحجاج في كتابه حياة كفاح من خلال محاولة الإجابة على التساؤل التالي: حياة كفاح إبداع وتاريخ أم حجاج وإقناع؟ هذا وتقدم مذكرات **المدني** سردا تاريخيا بأهم الأحداث السياسية والوقائع الاجتماعية التي عايشها الرجل منذ نعومة أظافره وتربيته

(١١) مصطفى الأشرف، **الجزائر الأمة والمجتمع**، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٣، ص٢٤٢ و٢٤٣.

في تونس إلى مرحلة الثورة، على أن المنية عاجلته وحالت دون إتمام الجزء الرابع من مذكراته، ويبدوا أنه لامس مرحلة الاستقلال، وليته عاش ردحا ليفصح لنا عن حقائق ما تزال القلوب والألسنة تخشى الخوض فيها.

ولعل جرأته في قول الحقيقة فيما عودنا عليه في سائر مؤلفاته تكون له دافعا ليبسط ما يجب بسطه من صور السلخ والمسخ والتآمر على الثورة بأيدي خفية موجهة من الاستعمار(١٢)، إلا أن الرياح تجريس بما لا تشتهيه السفن، إن مذكراته على ما فيها من انتصارات وانكسارات مفعمة بنفس كاتبها الفكرية والسياسية والأدبية، وهذا أهم ما فيها -بالنسبة إلي- فقد جاء أسلوبه متأنقا بألوان الخيال وأشكال البيان العربي المختلفة، متشبعا بالثقافة الإسلامية وروافدها النصية مما ينم عن عقل نير غائص في جمان العبارة الفصيحة والمعنى الشريف، ولننظر إلى هذه التركيب المثير والمؤثر وهو يداعب حس القارئ العربي لنستكشف عمق التأثر بالثقافة الإسلامية: "*إن لم تكن الليلة هي ليلة القدر التي بشر الله بها في القرآن المجيد، فهي ولا ريب ليلة القدر السياسي في المغرب العربي، وقد فصل بها الله بها بين عهدين: عهد الاستعمار الذي مات، وعهد التحرير الرافع للرايات..*" (١٣)

إن مذكراته تلك والتي يمكن لأي باحث وناقد أن يعدها نموذجا لفن السيرة(١٤) في الأدب الجزائري، ليمكن عدها في مستوى آخر خطابا حجاجيا نتجاوز في

(١٢) انظر: عمر بن قينة، **الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية**، دار الأمة، الجزائر، ١٩٩٥. ص١٨٧ وما بعدها.

(١٣) **حياة كفاح**، ٣/ ٥٢.

(١٤) السيرة الذاتية هي سيرة شخص ما يكتبها بنفسه، أو هي رواية نثرية يرويها شخص ما عن حياته بعد مضي فترة من الزمن، انظر فيليب لوجون، **السيرة الذاتية في فرنسا**، المفاهيم والتصورات، مجلة الثقافة الأجنبية، ترجمة ضحى شيحة، بغداد، ١٩٨٤، ص١٠٠.

قراءته الوظيفة التعبيرية التي تركز على توصيف مدى تعبير الكلام عن فكر صاحبه ووجدانه في مسيرته الحياتية، إلى مستوى تأثير هذا النص على المتلقي الجزائري بخاصة والعربي بعامة، وهو يتابع قول المدني في السرد والتصوير والتحليل والنقد السياسي والاجتماعي، فنحن نعتقد أن الكاتب في **حياة كفاح** لا يقصد الحديث عن مسيرته النضالية قصدا رئيسا ذلك إن فكر أي إنسان هو سيرة له بالبداهة.

وبالرغم من تصريحه في بداية مذكراته بغرضها المباشر في قوله: "**هذا الكتاب .. إنما هو ومضة من روحي .. تتجلى الحقيقة من خلالها وضاءة عن هذا المناضل المدمن الذي هو أنا ...**"(١٥) إلا أننا سنتجاوز هذا الفهم السطحي إلى البحث في مقاصد الكلام على طريقة علماء الأصول فالمذكرات من حيث بنيتها خطاب حواري تأثيري بالدرجة الأولى طرفاه الباث (هو) والمتلقي الشعب الجزائري بشتى طبقاته: "**فإليك أخي حياتي، تقرأها كتابا مسطورا، مفتوحا لكل إنسان، فعساك تجد فيها عبرة، وعساك تخرج منها بومضة من نور أو قبس من نار، أو ذكرى تنفع المؤمنين**"(١٦).

والهدف التأثير والإقناع، وإذا صح زعمنا فإننا سنقول بأن مذكرات كفاح هي خطاب حجاجي ينافح عن وجهة نظر فكرية وممارسة سياسية أفضت إلى واقع اجتماعي معين، أسهم المدني في تكوينه، ولعل خطابه السالف يدافع عن إيديولوجيا آمن بها منذ فتوته، فاختمرت عقله وجعلته يسير في طريق الجهاد، ألم تقرأ قوله في بداية مذكراته: "**إن إحياء الإسلام بكل قيمه وتعاليمه، والجهاد في سبيل الله في كل الميادين،**

---

(١٥) حياة كفاح، ١/ ٨.

(١٦) حياة كفاح، ١/ ٩.

وبجميع ما ملكت أيدينا من مال، ومن روح، ذلك هو سبيل إنقاذ وطننا الإسلامي الكبير مما تردى فيه من احتلال وما تكبل فيه من قيود الظلم والإرهاق(١٧).

وإذا صح الزعم بكونه خطابا حجاجيا فإنه من الضرورة بمكان أن يكشف عن مقومات العملية الحجاجية فيه ووضعها في السياق العام للبحث ممثلا في البعد الحضاري للخطاب عنده. لا يكون خافيا على الباحث المتخصص أن الحجاج خطاب تأثيري يتجلى في أن يجد المتلقي نفسه مدفوعا إلى العمل أو مهيئا لإنجاز عمل محتمل(١٨)، على أن الحجاج يفرض في مستواه الملفوظي نمطا من الأنساق تقود بالضرورة إلى نتائج معينة فالكاتب منذ البداية يضع القارئ في سكة التاريخ الجزائري وعلى مدار الزمن تحركه قاطرة التضحية في سبيل الوطن والعرض والدين فيجد نفسه سليب الإرادة في رفض أو تقبل كل النتائج الممثلة للواقعة التاريخية بحلوها ومرها فتتعادل صورة الشر مع صورة الخير في ميزان التضحية في سبيل الوطن، وغض الطرف عن الخطاء في مسيرة شائكة نحو الحرية، وعليه سيكون كتاب المدني سالف الذكر ملفوظا صريحا له مفهوم هو جزء منه أي مقدمات لها نتائج تشكل معها عالم الخطاب تشكيلا حجاجيا ذا وظيفتين أساستين هما:

الوظيفة التصديقية القائمة على الحمل على تصديق عظمة المتكلم، فقد عمل المتكلم قبل الشروع في الرواية والسرد على توجيه خطابه من خلال عملية ما وراء لغوية غرضها استنتاج ما هو تعظيم وإجلال وتقدير لصناع الحرية والاستقلال، فأغلب التراكيب التي وقفنا عليها بما تحيل عليه من نتائج ضمنية تمجد المتكلم في سيرته وتمجد مشاركيه فيما حققوه من منجزات.

---

(١٧) المرجع نفسه، ١/ ٨.

(١٨) Prelman, Tyteca, Traite de l argumentation, lyon, 1981, p92

وبالتالي سيكون هـذا الخطاب المبطن إبطالا لإدعاءات الخـصوم ومزاعمهم، هذا وقد لاحظنا تواتر لفظة لكن بما تحمله من دلالة على الإضمار في أكثر من مقطع مما يؤكد صحة ما ذهبنا إليه..(١٩).

كما أن هذه النتيجة التصديقية بعظمة كاتب المذكرات الحاضر بقوة في جميع الأحدث الرئيسة في تاريخ الجزائر الحديثة من الثورة إلى الاستقلال مرورا بالمفاوضات المختلفة ليست هي منتهى غاية الخطاب بل أن تتحول إلى **وظيفة إقناعية** من خلال الدعوة الصريحة إلى أخذ العبرة والإقتداء بالسلف في ميدان التضحية، إذ ما فتئ الكاتب يحرض الشباب مرارا وتكرارا على التعلم والتربية الحسنة والجهاد بالنفس والنفيس لتخلص الأمة من الجهل والطرقية والاستعمار، ولك أن تقرأ بإمعان ما كتبه في الجزء الأول في المقدمة، وما كتبه في مقدمة كتابه الجزائر وخاتمته(٢٠)، لتكتشف هذه الغاية

الحجاج الذي يسعى به صاحبه إلى حل مشكلة اجتماعية حضارية هي:
مقدمة ١: شعب فقير، جاهل، ضعيف.
مقدمة٢: لكنه قهر عدوه وفقره وجهله لعلم جمعية العلماء وقوة إرادة شعبه وتضحية مجاهديه.
النتيجة: إذن العلم والعمل والتضحية وقوة العزيمة قيم إخلاص وخلاص.

والنتيجة المحصلة أنه إن كانت القيم المحصلة مرتبطة بأوضاع الخطاب الظرفية أي بالجزائر والجزائريين في مرحلة من مراحل تاريخهم، فإن معظم هذه القيم تظل دائما منشودة في كل وطن وفي كل عصر، وأحسن دليل على ذلك ما وقف عنده صاحي

---

(١٩) يمكن أن تعد في هذا الموضوع دراسة وافية لتقنيات الحجاج ومكوناته في مذكرات كفاح، ونحن ندعو طلبة الدراسات العليا إلى الإقبال على مثل هذه الموضوعات لأهميتها العلمية.

(٢٠) حياة كفاح، ٢/ ٢٠٠ وما بعدها.

المذكرات في زياراته المكوكية إلى بلاد العرب والعجم، وفي هذا السياق المختصر والعام ربما جاز استخلاص الخصائص التالية من خطاب المدني:

١- عموم المخاطب، مما يعطي الخطاب بعدا شموليا ذا نزعة إنسانية.

٢- كونية القيم الخالدة في حياة الإنسان، وإنسانيتها (التضحية، الشجاعة، العلم، الوطنية الصادقة ...).

٣- الدعوة الصريحة والضمنية إلى الإقتداء بالسلف في مواجهات الراهن وتحديات العصر الجديد[٢١].

إن النظر إلى المذكرات من حيث هي فعل كلامي مجرد يفضي إلى عدها سيرة ذاتية شخصية تحتمل الصدق أو الكذب، أما عدها فعلا إنشائيا طلبيا قائما على صيغة **افعل** أو ما يقوم مقامه فيقتضي غض النظر عن احتمالية الصدق أو الكذب فيها والتركيز على موضوع القيمة الذي يمثله البعد الحجاجي بما يدعو إليه من سمو حضاري وقيم خالدة، على أساس الدعوة إلى تغيير الوضع السائد بكل مكوناته في زمن الاحتلال والحرص على الدفاع والمحافظة على مكتسبات الثورة، والحث على مواجهة جميع الأخطار التي تحدق بالوطن مهما كانت التضحيات، وبالتالي لن أغالي حين أقول إن هذه المذكرات، وكل المذكرات التي يكتبها أصحابها ليست كتابا تذكاريا عن الماضي فحسب بل هي كتاب **الإنسان الجزائري المنتظر الذي يملأ الأرض علما وعدلا وإرادة كما ملأها سلفه بعد أن ملئت جورا وفسادا**[٢٢]

---

(٢١) يخفي هذا الخطاب من حيث هو فعل كلامي خبري بعد إنجازيا فيغدو الملفوظ فعلا كلاميا طلبيا بالأساس.

(٢٢) أفدنا في هذا التوجه القرائي من دراسة عبد الله صولة، **"كتاب الأيام لطه حسين خطابا حجاجيا"**، منشورات الجامعة التونسية، منوبة، صناعة المعنى وتأويل النص، ١٩٩٢،

٣- البعد القومي العربي ضمن القيم الحضارية

يصرح المدني في غير مرة بأن الوجود الجزائري رهين تأكيد الانتماء للذات العربية في بعدها اللغوي وارتباطها الإسلامي، يقول: "*تذكر ولا تنس أن الجزائر لا تسعد إلاّ إذا عملت في دائرة دينها ولغتها وقوميتها، فكن أيها الشباب متحدا، متضافرا، وكن عاملا نشيطا، وكن وطنيا جسورا، وكن متفائلا قوي الإيمان بمستقبل الجزائر الباهر، ولتتخذ شعارك في حياتك وأعمالك هذه الكلمات: الإسلام ديني- العربية لغتي -الجزائر وطني*" ولعل هذا الحرص على عربية الجزائر هو الذي دفعه بكل حماسة إلى الحث على ضرورة العناية باللغة العربية تعلما وتعليما في كل المؤسسات يظهر ذلك في تلك المحاضرة التي ألقيت أمام كبار العلماء في مجمع القاهرة التاسع والأربعين(٢٣).

٤- البعد البيداغوجي للخطاب التاريخي

إن نظرة عابرة في كتاب "**تاريخ الجزائر**" **بوصفه نصا تاريخيا وخطابا حضاريا** تصل بالقارئ إلى تكوين تصور تاريخي عن تاريخ الجزائر وطنا وشعبا، فهو أداة عمل ووسيلة إيضاح تاريخية، ووثيقة تربوية تحقق الترابط الوجداني بين المتعلم الناشئ

ص٣١٥، ودراسة فؤاد القرقوري، "**مشكلية الجنس الأدبي كما تتجلى من كتاب الأيام**"، ضمن كتاب قراءة النص بين النظرية والتطبيق، منشورات المعهد الأعلى لعلوم التربية، تونس، ١٩٩٠، ٢١٤. "إن خرق قداسة التاريخ تكمن في اتخاذ الإنسان البسيط موضوعا للفعل التاريخي مجردا من كل قوة إلاهية على طريقة برومثيوس".

(٢٣) انظر: أحمد توفيق المدني، **مجلة الثقافة**، مجلة دورية تصدر عن وزارة الثقافة الجزائرية، عدد٧٧، سنة ١٩٨٣، ص١٣٧-١٥٣.

والوطن موضوع الخبرة التاريخية، وربما تكرست القيمة الحضارية في الكتاب من خلال الدعوة المباشرة إلى:

١- محاربة الجهل بالمبادرة إلى القراءة والتعلم، وتتضمن هذه الدعوة إلحاحا على ضرورة العيش في الواقع وللواقع[٢٤].

٢- التحذير من خطر الأمية الجاثم على صدر الجزائر بالفعل الاستعماري[٢٥].

٣- التنويه بأهمية التعليم العالي الذي حرمت منه الأمة قياسا بسائر الشعوب العربية الأخرى (تونس ومصر).

٤- التحذير من خطورة النظام القضائي والمدني الأجنبي على هوية الأمة واستقلالها الثقافي والاجتماعي[٢٦].

٥- أهداف وخصائص التربية الوطنية الخالصة في ضوء تعاليم الإسلام النبيلة[٢٧].

أما كتابه الموسوم بـ: **محمد عثمان باشا**[٢٨] فوثيقة تاريخية يمكن عدها وسيلة حجاج ودفاع عن الوجود التركي في الجزائر، الذي يمثل الانتماء إلى الحضارة الواحدة والهم المشترك بعكس ما كانت تروج له السياسة الاستعمارية، وأدلة المدني على ذلك كثيرة لعل أبرزها:

١- ضآلة نسبة الأمية إذا ما قيست بحالها إبان الهيمنة الاستعمارية.

٢- صورتا العدالة المتناقضتين إبان الحكم التركي في الجزائر ونظيره الفرنسي.

---

(٢٤) أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، ص١.

(٢٥) المرجع نفسه، ص٢٨٢.

(٢٦) المرجع نفسه، ص٣٠٤ نقده لقانون **الأندجين**.

(٢٧) انظر: الجيلالي صاري، **أهمية كتاب الجزائر**، مجلة التاريخ، ص٤٧.

(٢٨) أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا، داي الجزائر**، ص١٠.

٣- الوضع الاقتصادي السيئ في فترة الاحتلال قياسا بالرخاء الذي شهده الشعب وهو سيد أرضه ومحصوله. إن هذه المفارقات بما تتضمنه من أدلة واقعية تراهن في خطاب المدني التاريخي على العمق الحضاري المشترك بين العرب والترك في الدائرة الإسلامية، هذا ولم يقتصر موضوع الكتاب على هذا الجانب بل تعداه إلى التعريف بأعلام الجزائر في الثقافة والأدب[٢٩].

وتصويرا لمرحلة الصراع الحضاري بين الهلال والصليب كرس المدني كتابه التاريخي "**حرب الثلاثمائة سنة**" لرصد مظاهر العدوان الصليبي على الأمة الإسلامية بدءا من سقوط غرناطة وتوقفا عند مشهد خروج الإسبان من حاضرة الغرب الجزائري وهران (١٤٩٢/ ١٧٩٢)، مقتفيا أسلوب السرد التاريخي، غير غافل عن مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية المصاحبة للحدث العسكري الرئيس.

مما يجعلنا نزعم بأن الهدف الأساس لهذا الكتب والذي يمثل مغزى الخطاب التأريخي عند المدني إنما التأريخ لنشأة الدولة الجزائرية الحديثة، وتأكيد مفهوم الوحدة الحضارية في بناء الشخصية الإسلامية وتحقيق النصر على الآخر فقد اختلطت الدماء العربية بالتركية وكلها دماء إسلامية دفاعا عن الوطن والدين[٣٠]، وربما التمسنا روحه الدينية في تصويره الوقائعي للحادثة التاريخية عبر سرده لخبر من أخبار معارك **شارل كان:**

"بعد نهار مليء بالحوادث والمشاق، أنزل الله السماء مدرارا على أرض المعركة وحواليها، وكانت تزداد شدة وتهاطلا كلما تقدم الليل، بينما هبت ريح عاتية من الشمال

---

(٢٩) أبو القاسم سعد الله، **منطلقات فكرية**، الدار العربية للكتاب، ليبيا -تونس، ط٢، ١٩٨٢، ص١٣٢.

(٣٠) أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة**، الجزائر، ط١، ١٩٦٨، ص٦.

الغربي فتعالت الأمواج وتشابكت وأصبح الأسطول الذي يحمل السلاح والمدفعية والعتاد في موقف حرج، ولم يكن للإسبان في تلك الليلة خيام يحتمون فيها من وابل المطر، إذ لم يكونوا قد جاءوا بالعتاد اللازم من السفن، فقضوا بين الماء والأوحال شر ليلة بعد أن قضوا بين المسيرة ونيران المجاهدين شر نهار.."(٣١).

اتسم الخطاب التاريخي بتمحوره حول الموضوع الجزائري، فالجزائر قديما وحديثا كانت الإطار الفكري لعمله، نتلمس هذا البعد في سلسة مقالاته المنشورة في بعض المجلات الجزائرية كالثقافة والمعرفة والأصالة ومجلة التاريخ، مثل:

١- الثورة الجزائرية عبر التاريخ، المعرفة عدد ٦/ ١٩٦٣.

٢- الثورة الكبرى غرة نوفمبر، الجمعية، عدد١٣/ ١٩٦٦.

٣- أبطال المقاومة الجزائرية، التاريخ، عدد٤/ ١٩٧٧.

٤- تلمسان بين العهد الزياني والعهد العثماني، الأصالة، عدد ٦/ ١٩٧٥. وعلى صعيد آخر كانت **رحلات المدني** لبعض حواضر العالم الإسلامي مصدرا ثرا للوصف عنده.

بل كانت خير دليل يقدمه بين يدي خطابه التاريخي ليبرهن به عن تصورات حضارية واجتماعية وسياسية معينة، فوصفه لحياة الشعب الإندونيسي ما هو إلا سعيي إلى معرفة طبيعة الشخصية المسلمة هناك في أقاصي الشرق الأدنى بما يحمله هذا الوصف من دعوات مبطنة إلى الإصلاح وضرورة تغيير الواقع الفكري والثقافي، بل والنمط الحياتي السائد نحو الأفضل، يقول في كتابه حياة كفاح: **"في مجموعه شعب لطيف مسالم وديع جدا، لكنه إذا تحمس، ثار، وإذا ثار فعل المعجزات، أما إسلامه فيكاد يكون سطحيا ...يُخشى على هذا الإسلام من طول**

---

(٣١) المرجع نفسه، ص ٢٨٦.

الزمن .."[٣٢]، وفي السياق نفسه لا يخفي انزعاجه من الوضع العراقي الاجتماعي والسياسي عقب الثورة -وفي وصفه للوقائع يلمح إلى مخاطر انحراف الثورات عن أهدافها الحقيقية لتكون مطية الوصوليين والمتسلقين- يقول: "**أين هي بقايا مدينه الرافدين؟ لم أجد هنالك ...دارا ولا ديارا... إن شعبا من العمالقة يحكمه ويرديه جماعة من الأقزام، فكيف يا ترى خضع هذا الشعب لأمثال نوري السعيد وعبد الله وفيصل، ومن خلفهم من العناكب والحشرات؟**"[٣٣]، وزار بغداد عقب الثورة فقال : " ...**على حين غفلة والناس نيام، زلزلت الأرض في بغداد زلزالا مروعا قاتلا، يوم ١٤ يوليو ١٩٥٨ فهوى الظالمون كجلمود صخر حطه السيل من عل..**"[٣٤] .

ثم يعقب على ما آلت إليه الحال من خلال هذا المشهد السردي المؤثر: "**حطت الطائرة بجهودها الخاصة، نزلنا، فجاءنا جماعة من الجند يرقصون ويهزجون، يعربدون، دون سوء ويصيحون على الفور بأصوات مختلفة: دار الخائن، فيجيبهم آخرون: محروقة! وخرجنا من حلبه الطيران إلى الطريق العامدون أن نرى أحدا أو يعترضنا أحد، وعثرنا على سيارة أجرة أخذتنا إلى فندق بغداد، وكاد أن يكون خاليا، ثم عثرنا على الحلقة المفقودة التي هدتنا إلى بقية السلسلة، وأخذ القوم يتوافدون علينا تباعا وفيهم من جاءنا -أي والله- بعظم من ساق نوري السعيد، وفينا من جاءنا بلحم عبد الإله مملحة مقددة، كأننا كنا من آكلي لحوم البشر..لا أما الثورة فنعم، وأما الانتقام من الظالمين فيا حبذا لكن ليس إلى هذه الدرجة من الوحشية والشناعة..**"[٣٥].

---

(٣٢) حياة كفاح، ٣/ ٣٧٣.

(٣٣) المصدر نفسه، ٣/ ٣٥٧.

(٣٤) المصدر نفسه، ٣/ ٣٩١.

(٣٥) حياة كفاح ٣/ ٣٩٣.

خاتمة المبحث

وبعد لقد مثلت نصوص **المدني** في تفاعلها اللساني والسياقي خطابا منسجما، يصور الواقع، ويؤرخ للحظة التاريخية، ويبني المنشود، من خلال الدعوة إلى نموذج اجتماعي وقيمي أفضل، وكانت العدة في الإقناع **النص الحضاري**، بحمولته التاريخية والمادية المليئة بالحجج والأدلة.

الخاتمة

قيل للجنيد ما النهاية؟ قال الرجوع إلى البداية

ابن عربي/ تفسير ابن عربي ١/ ٩٥

إن بسط مضامين هذا الكتاب، ثم التأليف بينها في ضوء مقولة النص والخطاب والإجراء تنهي إلى تثبيت النتائج التالية:

١- يحقق تحليل الخطاب بوصفه حقلا علميا متمازج المعارف، فلا يوجد نقاء معرفي بين نظريات تحليل الخطاب، بل هناك تداخل واستعارات معرفية بين هذه الاتجاهات، بمعنى أنه من الممكن العثور على اختلاف في الأسس المعرفية **لنورمان فيركلا** – مثلا –(orman Fairclough) أحد رواد تحليل الخطاب، ورائد آخر هو **فان ديك** (Van Dijk)، ومع ذلك ثمة مشتركات معرفية كثيرة بينهما.

لقد عرف تحليل الخطاب انتشارا مطردا في مجال البحث العلمي المعاصر في إطار العلوم الإنسانية، إذ تجتمع تحته جملة من المبادرات النظرية الحديثة التي نشأت في حقول وفروع معرفية متعددة، ترعرعت في ظل مدارس واتجاهات تفكير مختلفة، كان هاجسها مقاربة الخطاب الإنساني، المشكل من نصوص مختلفة الموضوع والشكل والخلفية. وقد شهدت سبعينيات هذا القرن، وما بعدها جهودا أكاديمية مكثفة

لصياغة الأطر المنهجية لـ "تحليل الخطاب"، عبر التفاعل بين أنساق معرفية مختلفة أطرتها اللسانيات والسيميائيات والنقد الأدبي وعلم النفس بفروعه المختلفة، وتقاطعاته مع الذكاء الاصطناعي، وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وقد امتدت تطبيقاته إلى خارج هذه الفروع المعرفية، من خلال انفتاحه على تأويل تحليل الخطاب السياسي في إطار العلوم السياسية، والخطاب الفلسفي في إطار الفلسفة، والخطاب الإعلامي في إطار الدراسات الإعلامية والخطاب الحضاري في إطار الدراسات الحضارية وغيرها من الأنواع الخطابية الأخرى.

الأمر الذي يجعل من تحليل الخطاب نوعا من البحث الشمولي والديناميكي من حيث كفاءته في استخلاص المعايير والقيود النصية التي تضبط بنائية العناصر وتفاعلها الداخلي، وانسجامها مع السياق المقامي، بالإضافة إلى التمتع بسمة التداخل الاختصاصي، من حيث انفتاح التحليل على المعطيات الدلالية والمنطقية والنفسية والاجتماعية والدينية، وفي هذا السياق تأكد إمكان صياغة نظرية للنص هي نظرية تأويلية قرائية تمتح أدواتها ورؤيتها المنهجية من مجالات عدة أدبية ولغوية وإنسانية عامة من التاريخ الاجتماعي والتحليل النفسي وعلوم الاتصال والعمارة وغيرها، وتمكن هذه الرؤية المتشضية، والموسوعية من الوصول إلى المعنى الأكبر الذي يغدو فعلا متحققا في تجربة القراءة والتأويل، مما يعطي أهمية كبرى لسمة التداخل الاختصاصي في نظرية تحليل الخطاب بمقارباته المختلفة.

كما ألمعنا سلفا إلى ذلك، ومما تجدر الإشارة إليه أن معظم الدراسات الأساسية في تحليل الخطاب لم تنجز من طرف لغويين، بل قدمها علماء اجتماع، وأنثروبولوجيون، وفلاسفة، ثم سارعت اللسانيات لاحقا إلى استيعاب تلك النتائج، لاستثمارها في التحليل اللساني للنصوص.

ولعل تأخـر اللسانيات عن احتواء الخطاب ضمن دائرتها الوصفية راجع إلى تأثير الميراث البنوي السوسيري الذي استبعد من مركـزية اللغة باعتبارها الموضوع الأثير والجديـر بالدراسة اللسانية العلمية، المنجز الكلامي بعدّه موضوعا غـير قابـل للوصف اللساني.

غير إن الدراسات اللسانية بعد ذلك أخذت تعيد النظر في أطروحتها النظرية القائمة على إقصاء المكون السياقي من دائرة إنتاج الدلالة، عادّة الملفوظ بنية مغلقة، وقادت مراجعاتها اللسانية في صلب الاهتمام الأدبي إلى تجاوز الإغراق في الشكلنة، وإقصاء تحليل المعـنى من الوصف اللساني، متجهة إلى المعـطى التداولي الوظيـفي، وتحكمه في إنتاج اللغة، واستخدامها التواصلي الاجتماعي، بالإضافة إلى وصف وتحليل العلاقة الرابطة بين ثلاثي العملية التلفظية، مكونة من المبدع والمتلقي والنص نفسه.

٢- لقد أثمر التفكير الفلسفي في العلامة اللغوية، وكيفية تعامل الإنسان معها تلقيا وتداولا نظريات شكلت فـي منتصف القـرن العشرين توجها جديدا عـرف بالبراغماتية أو التداولية، يعنى بتحليل الاستخدام العلامي بوصفة نظاما من الأقوال والأفعال، سرعان مـا عـرف بنظرية **الأفعال اللغوية** (Actes de langage) فـي أنظار **أوستن** و**سيريل**، وسرعان ما سارع الدارسون في ميدان تحليل الخطاب إلى الإفادة من هـذه النظرية بتفرعاتها ونماذجها المختلفة فـي تحليـل الخطابات المختلفة السياسية والاجتماعية والأدبية، وقد أظهر الأبحاث قيمة متزايدة للمنهج التداولي في الكشف عن مرامي الأقوال وأغراض الخطابات اجتماعيا وثقافيا.

٣- كما تأسست في السياق نفسه رؤية قرائية جديدة للموروث البلاغي، أو ما عرف بالبلاغة الجديدة عند **بارت**، يحتل فيها فعل الحجاج قطب الرحى، والمحرك الثابت لدينامية القول الإنساني، ليس فقط في منظوره الأدبي، بل في تجلياته الخطابية

المختلفة، فقد أضحى الحجاج **الفعل السافر** لكل النصوص، وأضحى تحليل الخطاب فـي جوهره تأويلا للفـعل الحجاجي، ووصفا لإستراتيجياته القوليـة المختلفة فـي شكلها، والمتكاملة في جوهرها لتحقيق غاية التأثير في الآخرين، واستمالتهم. أما في الصعيد الإجرائي فقد توصلت القراءة الواصفة للنصوص المعينة إجمالا إلى النتائج التالية تباعا:

أ) إن التراث السردي العربي، وفي مقدمته **المقامات** في حاجة ماسة إلى قراءات منهجية مدركة لخصوصيته الثقافية المتحكمة في عملية التلقي، ذلك إن المقامة البشرية بوصفها نصا مؤدلجا وليدة ظـروف حضارية معينة تجعل منها بنية مناصية حوارية شكلا وموضوعا لسائر المقامات الأخرى بالرغم من اختصاص هذه المقامة بميزتي توظيف المرأة محـركا للفعلين السردي والإشهاري، والمراوحة بين النثر والشعر إلى درجة تأثير الشعري في المتلقي جماليا وموضوعيا من خلال تقاطع أهم البنى الخطابية من وصف وتقرير وسرد وتفسير وإقناع وحجاج، وتفاعلها لإنجاز البرنامج السردي الإغوائي من جهة، وتحقيق إستراتيجية الحجاج بالاستهواء والإثارة والتشهير، والتي أحكمت قبضتها النصية عبر أنساق تركيبية وأسلوبية متعددة، أفصحت عنها المقامة فـي الخاتمة بتلك الحكمة المبهرة، والتي نعدها البديل الموضوعي لحدث الخطاب في المقامة البشرية من خلال قول الراوي: «وحلف لا ركب حِصانا، ولا تزوج حَصانا، ثم زوج ابنة عمه لابنه».

ب) كما كشَف وصف المضامين الأساسية لشبكة النصوص المختارة في مدونة **الهويريني** عن مقاصد فرعية تبتغي الكاتبة تحقيقها مثل: التربية والتعليم والتثقيف ونشر الوعي وتحصين المجتمع، وبناء التوافق وروح الحوار والمسؤولية الفردية، بل والقيام بوظيفة الوعظ والإرشاد أحيانا، ناهيك عن مقاصد جمالية، متصلة بحرفية

مهنة الصحافة، وشرائط الكتابة الجماهيرية، مثل وضوح التعبير، وبساطة الصورة، وتعدد أدوات الحجاج الإعلامي وتقنياته، والارتكاز فيه بخاصة على حجة الواقع، مع تدعيمها بالحجة النقلية تحقيقا للانسجام الخارجي مع ثقافة المجتمع، إذ تشي النصوص تباعا إلى ضرورة الإفادة من تجارب الآخرين في الإنماء الحضاري بكل مستوياته، في العمران والثقافة والعلاقات العامة.

ج) ليست المقالة الصحفية فضاء لغويا لحدث إخباري منقول فقط، بل هي أداة تعليمية لاكتساب مهارات لغوية متعددة مثل: التحليل والتركيب والنقد والقص والحوار والوصف والتعليل والاستدلال، بل هي أيضا رافد مهم من روافد الذخيرة اللغوية يمكن أن يحصّل منها القارئ اختيارات معجمية حديثة تعبر عن اللغة العربية المعاصرة في تجددها ونموها، من خلال هذه النصوص الأصيلة، بخلاف المشككين في جدارة هذا المستوى التعبيري في ترسيخ قوالب اللغة الوظيفية.

د) بناء النص الإعلامي على نصوص أخرى مستدعاة من الدائرة الثقافية العامة، من خلال إقامة حوار نصي تفاعلي، ويظهر ذلك من خلال تضمين القصص، واستدعاء الشخصيات والرموز التاريخية مثل نص: "نجران وأهل الأخدود" ونص: "الإشاعة، ثابت أم متغير؟"، مما يظهر تعدد المصادر الثقافية للكاتبة، وتوجهها في العموم إرضاء للقارئ إلى الثقافة النقلية، المكرسة لسلطة التراث، ومرجعية التاريخ في بناء الحاضر، ويظهر هذا التوجه بقوة في التناص القرآني والنبوي في مستوى نقل الأخبار وتوظيفها، ولعل هذا المسعى محاولة من الكاتبة الظفر بعصا طاعة الجمهور، والموكول إلى هذه الخطط القولية والحجج المحشودة.

هـ) إن ما يحوّل هذه النصوص المختلفة موضوعيا إلى خطاب جامع إحالتها على قضية مركزية تعكس رؤية العالم عند الكاتبة، وهي قضية إصلاح المجتمع،

وتطوير مؤسساته، لقد صهر هذا الموضوع الأساس من حيث كونه بنية دلالية كبرى لتلك النصوص في بوتقة شكلية واحدة جردها البناء الكلي للخطاب الإعلامي في بنية قضوية هي:

مقدمة (دعوى/ ثقافة المواطنة) ← حجج مختلفة ← نتيجة (إصلاح المجتمع)

متقاطعة مع أغراض نفسية واجتماعية وحضارية وأدبية، فالقارئ في الحقيقة أمام نص واحد أو خطاب واحد، وليس أمام مجموعة متفرقة من النصوص أو الخطابات!!

و) اعتمدت القراءة مفهوم البنية العليا أو الكبرى للوصول إلى الغرض الأساس أو الفعل الكلامي الكلي الذي أنتجه خطاب الكاتبة، أولا عبر وصف المضامين الأساسية، وتفاعلها فيما بينها، وثانيا عبر تفاعل تلك المضامين مع الواقع (العالم)، مما أسفر عن إنجاز فعل الإصلاح والمطالبة به ضرورة ملحة لاستمرار النمو الحضاري، وبناء ثقافة المواطنة تحديدا في عصر تعلو فيه صيحات الإصلاح، وترتفع فيه أمواج التغيير.

ز) إن تمعين النصوص المختارة بالمقاربة اللسانية التداولية بمفاهيمها المتعددة يؤكد سمة تداخل النصوص، وتهافت نظرية الأنواع النصية[1]، فقد تحول النص الإعلامي إلى نص جامع تتقاطع فيه النصوص السردية مع الوصفية والتفسيرية، مندمجة في بنية أكبر هي بنية النص الإقناعي، والذي ينتج عبر تفاعل البنية والدلالة والسياق الحالي خطابا حداثيا، بل يمكن عده في المضمر خطابا فلسفيا يوطئ لإيديولوجيا الحداثة الاجتماعية المستلزمة الرغبة في تغيير الواقع الاجتماعي المعيش.

---

(١) محمد ناصر العجيمي، **اجتياز الحدود في مساءلة مفهوم الخطاب السجالي**، ط١، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ٢٠١٠، ص٢٦٨ وما بعدها.

ح) كما مثلت نصوص **المدني** في تفاعلها اللساني والسياقي خطابا منسجما، يصور الواقع، ويؤرخ للحظة التاريخية، ويبني المنشود، من خلال الدعوة إلى نموذج اجتماعي وقيمي أفضل، وكانت العدة في الإقناع **النص الحضاري**، بحمولته التاريخية والمادية المليئة بالحجج والأدلة.

لقد طمحت هذه القراءة إلى وصف المدونة المختارة وصفا موضوعيا في ضوء الأهداف المصرح بها، غير إنها لم توفق في الإجابة عن كل التساؤلات المطروحة مؤقتا بسبب اتساع الرؤية، وضيق العبارة، وتسلط سيف الوقت على الباحث، فقد تبين لنا صعوبة وصف المكونات اللسانية التفصيلية في أكثر من نص نثري، مما يدعو إلى ضرورة الاكتفاء في هذا المستوى بنص، كما تبين لنا أن البحث في البنية الدلالية الكبرى، وعلاقات الانسجام أولى منهجيا وإجرائيا لاكتشاف إستراتيجية القول من تتبع النصوص في جزئياتها البنوية، وإحصاء أدوات الربط الشكلي التي يتيه الباحث في تفاصيلها، دون الوصول إلى الغرض المنشود.

وبعد، لقد يسرت هذه الدراسة -فيما أرى- في بعدها النظري التعرف على الترابط الفكري بين منظورات مختلفة في تحليل الخطاب في إطار أكثر شمولا هو إطار اللسانيات الحديثة، عبر تفاعلاتها النسقية والسياقية المختلفة، إذ ظهرت عرى التواشج بين التحليل التداولي للخطاب في ضوء نظرية الأعمال اللغوية ونظرية الحجاج، وقد أسهمت هذه البلورة في تقديم قراءة جديدة لبعض النصوص العربية بالرغم من اختلافاتها البنوية والمقاصدية، على أمل اتساع هذا المشروع مستقبلا، ليستوعب نصوصا أخرى قديمة وحديثة، يكون تحليلها شاهد صدق على إمكان المواءمة بين التفكير التراثي، والنظريات اللسانية الحديثة في بعدها الشمولي .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية

الآمدي (سيف الدين أبو الحسن ت٦٣١هـ)

- الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سعيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٠.

ابتسام أحمد حمدان

- الحذف والتقديم والتأخير في ديوان النابغة الذبياني، دراسة دلالية تطبيقية، معنوية، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، سنة ١٩٩٢.

إبراهيم أنيس

- من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط٥، سنة ١٩٧٥.

أبو بكر العزاوي

- اللغة والحجاج، د ط، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، سنة ٢٠٠٩.

أبو القاسم سعد الله

- منطلقات فكرية، الدار العربية للكتاب، ليبيا -تونس، ط٢، ١٩٨٢.

أدونيس

- مقدمة للشعر العربي، دار العودة، ط٣، بيروت، ١٩٧٩.

إحسان النص

- الخطابة العربية، القاهرة، سنة ١٩٦٣.

أحمد توفيق المدني

- حياة كفاح، الشركة الوطنية للطبع والتوزيع، ١٩٧٣، الجزائر.
- حرب الثلاثمائة سنة، الجزائر، ط١، ١٩٦٨.
- كتاب الجزائر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

أحمد حساني

- مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر.

أحمد عفيفي

- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط١، ٢٠٠١.

أحمد المتوكل

- آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب، الرباط، ١٩٩٣.
- اللسانيات الوظيفية، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٨٧.
- من قضايا الرابط في اللغة العربية، ط١، المغرب، سنة ١٩٨٧.
- الوظائف التداولية في اللغة العربية، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة، ١٩٨٥.

أحمد زكي صفوت

- جمهرة رسائل العرب، مصطفى البابي الحلبي، ط ١٩٣٤.

أحمد مختار عمر

– علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨. و ط٣ ، سنة ١٩٩٢.

أحمد مصطفى المراغي

– علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، ط١ ، بيروت، سنة ١٩٨٢.

إدريس مقبول

– الأسس الإبستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، ط١ ، إربد، الأردن، ٢٠٠٧.

الأزهر الزناد

– نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١ ، سنة ١٩٩٣.

ابن الأثير

– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٩.

– النهاية في غريب الحديث، تحقيق الزاوي والطناحي، الرياض، ١٩٦٣.

الإستراباذي (رضي الدين)

– شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، تحقيق رحاب عكاوي، دار الفكر، بيروت، سنة ٢٠٠٠. ودار الكتب العلمية، بيروت، د ت ط.

أسعد زروق

– موسوعة علم النفس، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.

الأصفهاني (أبو الفرج)

– الأغاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.

بشرى موسى صالح

- نظرية التلقي، أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠١.

بنعيسى أزاييط

- المعنى المضمر في الخطاب اللغوي العربي، البنية والقيمة التنجيزية، مقاربة تداولية لسانية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، ١٩٩٦-١٩٩٧.

تمام حسان

- البيان في روائع القرآن، القاهرة، سنة ١٩٩٣.
- اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب الطبعة الثالثة، ١٩٩٨.

التوحيدي

- الإمتاع والمؤانسة، تحقيق، أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ط٢.

توفيق الزيدي

- أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، د ت ط.

التهانوي

- كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبدالبديع، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٦٣.

الجرجاني (عبد القاهر)

- دلائل الإعجاز، تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، د ت ط.

جميل عبد الحميد

- البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩.

الجاحظ (أبوعمرو بن بحر ت٢٥٥هـ)

- البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٧٥.

الجرجاني (الشريف علي بن محمد بن علي)

- التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

جيلالي دلاش

- مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٢.

الحاتمي

- حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق هلال ناجي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٨.

حامد خليل

- المنطق البراغماتي عند شارل بيرس، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، دت ط.

ابن حزم

- الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام، د.ت.ط، القاهرة، وبتحقيق أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، سنة ١٩٨٠، ١/ ٤٢.

حسن بحراوي

- بنية الشكل الروائي (الفضاء - الزمان - الشخصية) (د.ت).

حسن ناظم

- البنى الأسلوبية، دراسة في أنشودة المطر للسياب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، سنة ٢٠٠٢.

حسام أحمد فرج

- نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، سنة ٢٠٠٧.

حسام البهنساوي

- قواعد الربط وأنظمته في العربية، ونظريات الربط اللغوية الحديثة، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، سنة ٢٠٠٨.

حسان الباهي

- اللغة والمنطق، بحث في المفارقات، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، سنة ٢٠٠٠.
- الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، ط١، الدار البيضاء، سنة ٢٠٠٤.

حلمي خليل

- دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠.

حميد لحميداني

- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، بيروت، المركز الثقافي العربي للطباعة والتوزيع، ط١، أوت ١٩٩١ .

حمو النقاري

- منطق الكلام، من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون بالاشتراك مع منشورات الاختلاف ودار الأمان، لبنان-الجزائر-المغرب، سنة ٢٠١٠.

ابن خلدون (عبد الرحمن ت ٨٠٨هـ)

- المقدمة، دار القلم، ط٧، بيروت، ١٩٨٩ .

ابن رشد

- تلخيص البرهان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢.
- تلخيص المنطق، دار الفكر اللبناني، بيروت، مجلد ٠٧، كتاب سوفسطيقي.

رشيد ابن مالك

- مقدمة في السيميائية السردية، الجزائر، دار القصبة للنشر، د ط، سنة ٢٠٠٠.

ابن رشيق

- العمدة، شرح عفيف نايف حاطوم، دار صادر، ط١، بيروت، سنة ٢٠٠٣.

رمضان عبد التواب

- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢.

زكي نجيب محمود

- موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٨٣.

سامي سويدان

- في دلالية القصص وشعرية السرد، دار الآداب، لبنان، ١٩٩١.

سامية الدريدي

- الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأسلوبه، عالم الكتب الحديث، وجدارا للكتاب العالمي، ط١، سنة ٢٠٠٨.

سعد مصلوح

- "العربية من نحو الجملة إلى نحو النص" (الكويت، الكتاب التذكاري، جامعة الكويت، كلية الآداب إعداد وديعة طه نجم وعبده بدوي، ١٩٨٩).

سعيد بن كراد وآخرون

- استراتيجيات التواصل الإشهاري، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سنة ٢٠١٠.

- السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، ط١، سوريا، سنة ٢٠٠٥.

سعيد حسن بحيري

- ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي، دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة، الإنجلو مصرية، ط١، ١٩٩٥.
- علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، سنة، ١٩٩٦.

سعيد يقطين

- انفتاح النص الروائي(النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٧.

سليمان حمودة

- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د ت ط.

سمير محمد حسن

- بحوث الإعلام، الأسس والمبادئ، عالم الكتب، القاهرة، بدون تاريخ.
- الإعلام والاتصال الجماهيري والرأي العام، عالم الكتب، القاهرة، سنة ١٩٨٤.

السكاكي(أبو يعقوب)

- مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٣.

سيد هاشم طبطبائي

- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، الكويت، منشورات جامعة الكويت، سنة ١٩٩٤.

شكري مبخوت

- دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات، الكتاب الجديد المتحدة، ط١، لبنان، سنة ٢٠١٠.

صبري إبراهيم السيد

- تشومسكي فكره اللغوي وآراء النقاد فيه، سنة ١٩٨٩ .

صبحي إبراهيم الفقي

- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ط١، دار قباء، القاهرة، سنة ٢٠٠٠ .

صلاح إسماعيل عبد الحق

- التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد، دار التنوير، بيروت، ط١، سنة ١٩٩٣ .

صلاح الدين زرال

- الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، سنة ٢٠٠٨ .

صلاح فضل

- بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أغسطس، ١٩٩٢ .

طه عبد الرحمن

- تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي، ط٢، الدار البيضاء، بيروت، سنة ١٩٩٣.
- اللسان والميزان، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط١، د ت.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، سنة ٢٠٠٠ .

طاهر سليمان حمودة

- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٨٣.

الطاهر وعزيز

– المناهج الفلسفية، ط١، المركز الثقافي العربي، المغرب، سنة ١٩٩٠.

عاطف جودة نصر

– النص الشعري ومشكلات التفسير، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، القاهرة.

عباس رحيلة

– الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم ٤٠، ط١، سنة ١٩٩٩.

عبد الله العشي

– زحام الخطابات، ط١، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، سنة ٢٠٠٥.

عبد الجليل العشراوي

– الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد، سنة ٢٠١٢.

عبد الحميد بورايو

– التحليل السيميائي للخطاب السردي، دراسة لحكايات من ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة (الملك شهريار، الصياد والعفريت، الحمامة المطوقة، الحمامة والثعلب ومالك الحزين)، منشورات مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، الجزائر، ط١، دار الغرب للنشر والتوزيع، سنة ٢٠٠٣.

عبد الحميد عبد الواحد

– الكلمة في اللسانيات الحديثة، ط١، مطبعة التسفير الفني، صفاقص، سنة ٢٠٠٧م.

عبد الرحمن أيوب

– دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، سنة ١٩٥٧.

عبد اللطيف محفوظ

- وظيفة الوصف في الرواية، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، بروت- الجزائر، سنة ٢٠٠٩.

عبد الفتاح كليطو

- الغائب دراسة في مقامات الحريري، ط١، دار توبقال، الدار البيضاء، سنة ١٩٨٧.

عبد السلام عشير

- عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، ط١، سنة ٢٠٠٦.

عبدالقادر قنيني

- أوستن، نظرية أفعال الكلام، الدار البيضاء، دار إفريقيا الشرق، ١٩٩١.

عبد القادر المهيري وآخرون

- أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد الوطني لعوم التربية، تونس.

عبد العزيز طليمات

- فعل القراءة، بناء المعنى وبناء الذات، قراءة في بعض أطروحات آيزر، ضمن كتاب نظرية التلقي، إشكالات وتطبيقات، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ط١، سنة ١٩٩٧.

عبد العزيز المقالح

- الشعر بين الرؤيا والتشكيل، دار طلاس للدراسات والترجمة، ط٢، سنة ١٩٨٥.

عبد المالك مرتاض

- تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

- في نظرية الرواية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والأدب، الكويت ١٩٩٨.

عبد المجيد نوسي

- التحليل السيميائي للخطاب الروائي، البنيات الخطابية - التركيب - الدلالة، الدار البيضاء، المغرب، شركة النشر والتوزيع - المدارس، ط ١، سنة ٢٠٠٢.

عبد النبي بن عبد الرسول نكري

- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، "دستور العلماء"، تحقيق قطب الدين محمود غياث الدين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، بيروت، سنة ١٩٧٥.

عبدالهادي الشهري

- استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤.

عبد الواحد المرابط

- السيمياء العامة وسيمياء الأدب، من أجل تصور شامل ، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون مع منشورات الاختلاف، بيروت- الجزائر، سنة ٢٠١٠.

عثمان بدري

- بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة، بيروت ١٩٨٦.

عثمان بوزنيد

- نحو النص، إطار نظري ودراسات تطبيقية، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، سنة ٢٠٠٩.

عزة الشبل محمد

- علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، سنة ٢٠٠٧.

عز الدين الخطيب التميمي

- نظرات في الثقافة الإسلامية، دار الشهاب، الجزائر، د ت.

عز العرب لحكيم لبناني

- حدود التواصل، الإجماع والتنازع بين هابرماس وليونار منانغريد فرانك، إفريقيا الشرق، ط١، ٢٠٠٣.

علي الشبعان

- الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، بحث في الأشكال، والإستراتيجيات، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ٢٠١٠.
- الحجاج بين المنوال والمثال، نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، ط ١، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، سنة ٢٠٠٨.

علي آيت أوشان

- السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، سنة ٢٠٠٠.

علي أبو المكارم

- الظواهر اللغوية في التراث النحوي، (الظواهر التركيبية)، القاهرة الحديثة للطباعة، ط١، سنة ١٩٦٨.

علي سامي النشار

- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧.

علي عبد الرؤوف اليمي

- المقامات وباكورة تخصص الشطار الأسبانية، كتاب الرياض، عدد ٤٨ ديسمبر ١٩٩٧.

علي زوين

– منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشئون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٨٦.

علي محمد علي سلمان

– كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، سنة ٢٠١٠.

عمر أوكان

– اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، ط١، المغرب، ٢٠٠١.

عمر بن قينة

– الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية، دار الأمة، الجزائر، ١٩٩٥.

عواطف عبد الرحمن وآخرون

– تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية العربي للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

الفاسي الفهري

– المعجم العربي، نماذج تحليلية جديدة، دار توبقال، ط١، الدار البيضاء، سنة ١٩٨٢.

فاطمة الطبال بركة

– النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط١، بيروت.

فالح بن شبيب العجمي

– تحت القشرة، دراسات في الثقافة والموروث، ط١، الانتشار العربي، بيروت، سنة ٢٠٠٨.

فريق البحث في البلاغة والحجاج

- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منوبة، د ت ط.

ابن قتيبة

- تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد الصقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، سنة ١٩٥٤.

قسطنطين زريق

- في معركة الحضارة، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٦٤.

كريم زكي حسام الدين

- التحليل الدلالـي، إجراءاته ومناهجه، ط١، دار غريب للطباعة والنـشـر، القاهرة، د ت ط.

ماهر عبد القادر محمد علي

- فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥.
- فلسفة العلوم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥.

محمد الأخضر الصبيحي

- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، بيروت، سنة ٢٠٠٨

محمد الخبو، أحمد السماري ومحمد نجيب العمامي وعلي عبيد ونور الدين بنخود وفتحي النصري ومحمد آيت ميهوب

- معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، ط١، دار محمد علي للنشر، دار الفارابي، لبنان، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، دار تالة، الجزائر، دار العين، مصر، دار الملتقى، المغرب، سنة ٢٠١٠.

محمد سالم محمد الأمين الطلبة

- الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت – لبنان، سنة ٢٠٠٨.

محمد حماسة عبد اللطيف

- الإبداع الموازي -التحليل النصي للشعر- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١.

محمد عبد حسن الله

- الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٨١.

محمد الحناش

- البنيوية في اللسانيات، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط١، سنة ١٩٨٠.

محمد حسن عبد العزيز

- مدخل إلى علم اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١.

محمد خطابي

- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، سنة ١٩٩١.

محمد داود

- الدلالة والحركة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠.

محمد رضا المظفر

- المنطق، دار التعارف للمطبوعات، ط٢، بيروت، سنة ١٩٨٥.

محمد شطاح ونعمان بوقرة

- تحليل الخطاب الأدبي والإعلامي بين النظرية والتطبيق، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، سنة ٢٠٠٦.

محمد العمري

- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، دط، المغرب، ١٩٩٩.
- دائرة الحوار ومزالق العنف، إفريقيا الشرق، ط١، الدار البيضاء، سنة ٢٠٠٢.

محمد حسين الطبطبائي

- أسس الفلسفة والمذهب الواقعي، تعليق مرتضى المطهري، وتعريب محمد عبدالمنعم الخاقاني.

محمد سبيل وعبد السلام بن عبد العالي

- اللغة، دفاتر فلسفية، نصوص مختارة، ط٤، دار توبقال، الدار البيضاء، سنة ٢٠٠٥.

محمد السيد أحمد

- الهيرمينوطيقا عند غادامير، القاهرة، دار الثقافة، ط١، ١٩٩٣.

محمد الشاوش

- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، ٢٠٠١.

محمد شوقي الزين

- تأويلات وتفكيكات في الفكر العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٢، سنة ٢٠٠٠.

محمد شومان

- تحليل الخطاب الإعلامي، أطر نظرية ونماذج تطبيقية، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٧.

محمد فكري الجزار

- العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، ١٩٩٨.

محمد طروس

- النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، سنة ٢٠٠٥.

محمد القاضي

- الخبر في الأدب العربي، دراسة في السرديات العربية، منشورات كلية الآداب، منوبة، سنة ١٩٩٨.

محمد العبد

- العبارة والإشارة، دراسة في نظرية الاتصال، دار الفكر العربي، ط١، سنة ١٩٩٥.

محمد العمري

- في بلاغة الخطاب الإقناعي، دار الثقافة، ط١، الدار البيضاء، المغرب، سنة ١٩٨٦.

محمد الحاج غاليم

- المعنى والتوافق، مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، سنة ٢٠١٠.

محمد محمد يونس

- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، سنة ٢٠٠٤.
- المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، ط٣، دار المدار الإسلامي، بيروت، سنة ٢٠٠٧.

محمد مفتاح

- دينامية النص، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، سنة ١٩٩٠.
- تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٣، سنة ١٩٩٢.

- التلقي والتأويل، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠١.

محمد ناصر العجيمي

- اجتياز الحدود فـي مساءلة الخطاب السجالي، ط١، مكتبة علاء الدين، صفاقص، سنة ٢٠١٠.
- الخطاب الوصفي في الأدب العربي القديم.

محمد النويري

- "علم الكلام والنظرية البلاغية عند العرب"، كلية العلوم الإنسانية، دار محمد علي الحامي، صفاقص، ط١، تونس، سنة ٢٠٠١.

محمد الهادي الطرابلسي

- بحوث في النص الأدبي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٨.

محمود أحمد نحلة

- نحو آفـاق جديدة للدرس اللغـوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، سنة ٢٠٠٢.

محمود زيدان

- في فلسفة اللغة، بيروت، دار النهضة العربية، سنة ١٩٨٥.

محمود السعران

- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩.

محمود سليمان ياقوت

- علم الجمال اللغوي، المعاني، البيان، البديع، دار المعرفة الجامعية، ط١، سنة ١٩٩٥.

محمود قاسم

- المنطق الحديث ومناهج البحث، مكتبة الإنجلو مصرية، ط٣، القاهرة، سنة ١٩٥٣.

محي الدين محسب

- الأسلوبيات الأدبية، من لغة النص إلى مغزى الخطاب، رؤية منهجية وتطبيقية في النص الشعري العربي، من إصدارات كرسي د. عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، مطبعة سفير، الرياض سنة ٢٠١١، ص ١٥-٣٣.

المرادي

- الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق طه محسن، مؤسسة دار الموصل للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٧٦.

مسعود صحراوي

- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٥.

مصطفى الأشرف

- الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٣.

منذر عياشي

- اللسانيات والدلالة، الكلمة، مركز الإنماء الحضاري، ط١، حلب، ١٩٩٦.
- مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١٩٩٠.

منقور عبد الجليل

- علم الدلالة، ط١، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة ٢٠٠١.

ميجان الرويلي وسعد البازعي

- دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٠.

ابن منظور

- لسان العرب، دار صادر للنشر والطباعة، بيروت لبنان، المجلد ٥، ط٦، ١٩٩٧، وأيضا ط٣، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٩٤.

نايف خرما

- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، مجلس النشر العلمي، الكويت، عدد ٩، سنة ١٩٧٨.

نور الدين صدوقي

- حدود النص الأدبي، دراسة في التنظير والإبداع، ط١، الدار البيضاء، سنة ١٩٨٤.

ناظم حسن

- البنى الأسلوبية، دراسة في أنشودة المطر للسياب، المركز الثقافي العربي، الدار البضاء، بيروت، سنة ٢٠٠٢.

نعمان بوقرة

- تفسير النصوص وحدود التأويل عند ابن حزم الأندلسي، قراءة في أعراف الفهم الظاهري للخطاب القرآني، أمانة عمان الكبرى، مطبعة الروزانا، ط١، سنة ٢٠٠٧.
- الخطاب التداولي بين التراث والدراسات الغربية الحديثة، قراءة في الأصول والمفاهيم والغايات التطبيقية، مركز بحوث كلية الآداب، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، عدد ١٣٥، سنة ١٤٣٠.

الهادي الجطلاوي

- مدخل إلى الأسلوبية، تنظيرا وتطبيقا، منشورات عيون المقالات، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، سنة١٩٩٢.

ابن هشام

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦.

ابن وهب الكاتب (أبو الحسين اسحاق بن إبراهيم بن سليمان)

- البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبوعات جامعة بغداد، سنة ١٩٦٧

ابن يعيش

- شرح المفصل للزمخشري، عالم الكتب، بيروت، د ت ط.

يوسف الإدريسي

- الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، المغرب، سنة ٢٠٠٥.

يوسف نور عوض

- نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين للنشر والتوزيع، د ت ط.

ثانياً: الكتب المترجمة

آن روبول، وجاك موشلار (جاك)

- التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغموس ومحمد الشيباني، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، سنة ٢٠٠٣.

إدوارد ليش

- نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، سنة ١٩٩٧.

أرسطو

- الخطابة، تعريب إبراهيم سلامة، مكتبة الأنجلو مصرية، ط١، سنة ١٩٥٠.

أرمنكو فرانسواز

- المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، بيروت، مركز الإنماء القومي، د ت.

آن إينو آريفيه، جان كلود كوكي، ميشال آريفيه، وجان كلود جيرو زلزي بانييه وجوزيف كورتيس

- السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ، ترجمة رشيد بن مالك، مراجعة وتقديم عز الدين المناصرة، ط١.

أندريه لالاند

- موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط٢، بيروت، سنة ٢٠٠١.

أولمان (ستيفن)

- دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، مصر، ١٩٩٠.

أوستين (ج)

- نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبدالقادر قنيني، الدار البيضاء، دار إفريقيا الشرق، سنة ١٩٩١.

بارت(رولان)

- قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، دار إفريقيا الشرق، ط١، المغرب ١٩٩٤.

برند شبلنر

- علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، سنة ١٩٨٧.

بول ريكور

- النص والتأويل، ترجمة منصف عبدالحق، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، عدد٣، سنة ١٩٨٨.
- من النص إلى الفعل، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت، ١٩٨٩.
- الوجود والزمان والسرد، فلسفة بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي.

جان كوهين

- بناء اللغة الشعرية، ترجمة أحمد درويش، دار المعارف، مصر، ١٩٩٣.

جوليا كرستيفا

- علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبدالجليل ناظم، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، سنة ١٩٩٧.

جورج مولينيه

- الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط١، بيروت.

جورج لا يكوف ومارك جونسون

- الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبدالمجيد جحفة، دار توبقال، ط١، الدار البيضاء، سنة ١٩٩٦.

جوزيف كرتيس

- مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ترجمة جمال حضري، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، والجزائر، منشورات الاختلاف ط١، سنة ٢٠٠٧.

جون لايونز

- اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧.

جونتان، كولر

- مدخل إلـى النظرية الأدبية، ترجـمة مصطفى بيومي عبدالسلام، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة ٢٠٠٣.

دومينيك مانغنو

- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخـطاب، ترجـمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط١، بيروت - الجزائر، سنة ٢٠٠٨ .

روبيرت دي بوجراند

- النـص والخـطاب والإجـراء، ترجمة تمام حسان، عـالم الكتب، القاهرة، ط١، سنة ١٩٩٨.

روبير مارتان

- في سبيل منطق للمعنى، ترجـمة الطيب البكوش، وصالح الماجري ومساهمة البشير الورهاني ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٦.

رومان جاكبسون

- قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنوان، دار توبقال، الدار البيضاء، سنة ١٩٨٨.

زتسيسلاف واورزيناك

- مدخل إلى علم النص - مشكلات بناء النص، تعريب سعيد بحيري، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، سنة ٢٠٠٣.

فان ديك

- النص والسياق، استقصاء البحث فـي الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبدالقادر قنيني، إفريقيا الشرق، بيروت، طبعة ٢٠٠٠.

فيليب هامون

- سيميولوجية الشخصية الروائية، ترجمة سعيد بن كراد، الرباط، المغرب، د ط، سنة ١٩٩٠.

فولفجانج هاينه من وفيهفجر ديتر

- مدخل إلى علم اللغة النصي، تحقيق فالح بن شبيب العجمي، منشورات جامعة الملك سعود، ٢٠٠١.

كراتشكوفسكي

- علم البديع والبلاغة العربية، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط ١، سنة ١٩٨١.

كولر جونتان

- مدخل إلى النظرية الأدبية، ترجمة مصطفى بيومي عبدالسلام، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة ٢٠٠٣.

ماريو باي

- أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧.

هنريش بليت

- البلاغة والأسلوبية، ترجمة محمد العمري، المغرب، إفريقيا الشرق.

هولبيك، ماري لاهي

- أنوثة شهرزاد، رؤيا ألف ليلة وليلة، ترجمة عابر خزندار، القاهرة، ١٩٩٦.

والتر أونج

- الشفاهية والكتابية، ترجمة حسن البنا عز الدين، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٨٢.

يوري لوتمان

– تحليل النص الشعري، بنية القصيدة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤.

يول وبراون

– تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، مطبوعات جامعة الملك سعود، ١٩٩٧.

ثالثاً: الكتب الأجنبية

Adam (J.M.)

- Elements deLinguistique textuelle (theorie et pratique de l'analyse textuelle) Mardaga. 1990.

Adam.J.M

- linguistique textuelle mdes genres de discourse aux texts mpAris m Nathan , 1999.
- linguistique et discours litteraire, Paris, Larousse, 1976.

Amossy,

- l'argumentation dans le discours, discours politique, littérature d'idées, fiction nathan, paris,2000,

Barthes(B)

- Theories du texte ,dictionnaire des genres et notions Litteraires Introduction à l'analyse structural des récits, communication N° 8, 1966.
- poetique du recit, coll, point, edition du seuil. 1977.

Bertil.Malmberg,

- les nouvelles tendances de la linguistique, presses universitaires de France, 1972, p 241

Bonge

- Analyse conversationnelle et theorie de l action, Didier, Paris, 1992.

Breton (Philipe) et Gauthier (Gille)

- Histoire des théories de l'argumentation, edition la découverte, paris, 2000

Benveniste,E

- Problemes de linguistique generale, ed, Gallimard, Paris.

Dubois et autres, J

- dictionnaire deLinguistique, Paris, Larousse, 1973.

D. Hymes

- Modele pour l interaction du langage et de la vie sociale min Etudes de linguistique appliqué ,Didier, 1980.

Ducrot

- dire et ne pas dire, Herman, Paris. 1972. .,1966.

Golder,Caroline,

- le devloppement des discours argumentatifs de la chaux et Niestle, Paris, 1996.

Gerard Genette,

- Introduction a l archi texte ,collection, poetique, ed Seuil, Paris, 1979.

Frederic(M)

- La repetition, etude Linguistique, niemayer, 1985.

Fraser (Bruce)

- Conversational Mitigation, in Jornal of Pragmatics 4-1980.

Joelle Gardes Tamine

- La Rhetorique, Paris, Armand Colin, Masson, 1966.

J.Lauxerois

- Lusage de la Parole publique, Preface de la Rhetorique dAristote, Paris, Pocket, 2007.

J.Greimas,J.Couttes

- Semiotique, dictionnaire raisonne de la theorie du langage, Hachete, Universite, Paris 6,Collection dirigee par Bernard Quemada,

Jacques Moeschler,

- Argumentation et conversation ,element pour une analyse pragmatique du discours, serie ;langues et apprentissage des langues,1996.
- Le Grand Robert, Dictionnaire de la langue Francaise, Paris, 1989.

Halliday(M)

P.Oleron

- Largumentation, que sais-je/ Paris, P.U.F, 1983.

Prelman ,Tytica

- Traite de l’argumentation: la nouvelle rhétorique, preface de M. meyer. Edition de l’université de bruxelles. 1992.

Paul Ricoeur

- conflits des interprétation, essais d'herméneutique, ed seuil, Paris 1964.

Maingueneau.(Dominique)

- Pragmatique pour le discours Littéraire, Bourdas, Paris, 1990.

Maingeneau(R)

- Elements Llinguistique pour le Texte litteraire, Bourdas, Paris Pragmatique pour le discours litteraire, Bordas, Paris, 1990.

Meillet(E)

- Linguistique historique et linguistique generale, Paris, 1975.

M.Meyer

- de la problématologie, Bruxelles, mardaga, 1986.
- Questions de rhetorique, Langage, raisonet seduction, Paris, 1993 -16 ,v.

Plantin
- Essai sur l argumentation, Paris, ed Kime, 1990.

Philippe (Hamon)
- Texte et ideologie, Paris, p.u.f,ecriture, 1984. pour un statut sémiologique des personnage "in poétique de récit".

Philippe Breton et Gilles Gauthier
- Histoir des Theories de L argumentation, Paris ed la decouverte, 2000.

Searle(Jean)
- Les actes de langage, Essai de philosophie du langage, Paris, collection Savoir Hermann, 1972.

Sarfati,G.E,
- Elements d analyse du discourse, Paris, ed Nathan.

Sperber(.D , Wilson)
- La pertinence, communication et cognition, Paris, ed De Minuitcollectif la rousse, Paris.

F.D.Saussure
- cours de lingiustique générale Publie par Charles Bally et Albert Sechehaye Payot, Paris, 1960.

Hakan(Özkan)
- Comment narre-t-on-un ẖabar? Le narateur dans les recits de la literature d arabe, in Synergies, moderne arabe, coordonne par ibrahim al- Balawi,Henda Dhaouadi et Antonella Ghersetti,Recherches francophones sur le recit arabe classique, numero 6, annee 2009.

Todorov(,Tzvitan)
- Les catégorie du récit littéraire, In communication n°8, col, points d Fd Pa seuil, Paris, 1981.

Tutes ou (mariana),
- l'argumentation, introduction a l'étude du discours, edituna universtatu din bucuresti, 1998.

C.K.Orcchoni
- L enunciation de la subjectivite dans le langage, librairie Armand Colin, Paris, 1990.
- Limplicite, Armand Colin, Paris, 1986.

O.Ducrotet ,Todorov
- Dictionnaire encyclopedique, Seuil.Paris, 1972.

Olivier, Reboul
- introduction à la rhétorique, paris, PUF, 1991.
- R.H.Robins,Breve histoire de linguistique de Platon a Chomsky, pp103.

Jilles siouffi
- 100 fiches pour comprendre la linguistique, p138-139.

Kristiva
- Recherches pour une semanalyse , Seuil, 1969.

رابعاً: المجلات والندوات

- آفاق الثقافة والتراث، جمعة الماجد، الإمارات، عدد٣٤، يوليو، سنة ٢٠٠١.
- آفاق المغربية، عدد ٦، سنة ١٩٨٧.
- إبداع، القاهرة، العدد١، يناير ١٩٩٣.
- أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد ١٢، عدد ١، سنة ١٩٩٤.
- أعمال الملتقى الدولي الثالث للسانيات، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية، المطبعة العصرية، تونس، عدد٦، سنة ١٩٩٦.
- الآداب اللبنانية، عدد١، سنة ١٩٧١.
- التاريخ، مجلة المركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الأول من سنة ١٩٨٥، الجزائر.
- التبيين، جمعية الجاحظية، الجزائر، عدد ١٩، سنة ٢٠٠٢.
- التواصل، مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، عدد٤، جوان سنة ١٩٩٩، وعدد ٢٣، جانفي ٢٠٠٩. وعدد ٢٣، جانفي ٢٠٠٩.
- الثقافة الأجنبية، ترجمة ضحى شيحة، بغداد، ١٩٨٤.
- الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية مجلد ٢، عدد ٤، سنة ١٤٢١-٢٠٠١.
- دراسات سيميائية أدبية لسانية، عدد٥، المغرب، سنة ١٩٨٨.
- الحياة الثقافية، تونس، عدد١١٣، مارس، ٢٠٠٠. والعدد ٤١، سنة ١٩٨٥.
- حوليات الجامعة التونسية، العدد٤٠، سنة ١٩٩٦ وعدد٤١ ، سنة ١٩٩٧.
- حوليات جامعة الجزائر، عدد ٨، سنة ١٩٩٤.
- حوليات جامعة الكويت، الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، عدد ١٦٢، سنة ٢٠٠١.

- الخطاب الثقافي ، دورية تصدر عن جمعية اللهجات والتراث الشعبي بجامعة الملك سعود ، عدد١ خريف ١٤٢٧/ ٢٠٠٦.
- صحيفة دار العلوم، كلية دار العلوم، ديسمبر ١٩٩٩.
- علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، عدد ١٢، مجلد ٤٧ وعدد ١٣، مجلد ٥٢. وعلامات في النقد، جدة، عدد ٢٢، مجلد ٦، ديسمبر سنة ١٩٩٦.
- علامات، عدد ٢١، المغرب، سنة ٢٠٠٤.
- علوم اللغة، مجلد ٣، عدد ٤، دار غريب، القاهرة، سنة ٢٠٠٠.
- عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، مجلد ٢٥، عدد ٣، مارس، ١٩٩٧. والمجلد ٣٢، عدد ٢، ٢٠٠٣. ومجلد ٣٠ ، يوليو –سبتمبر، ٢٠٠١ والمجلد ٢٠، عدد ٣، سنة ١٩٨٩. والمجلد ٢٠، عدد ٤، سنة ١٩٨٩. والمجلد ٣٠، يوليو–سبتمبر، ٢٠٠١، والمجلد ٢٥، ٣ يناير ١٩٧١. ومجلد ٢٨، عدد ٣، مارس، سنة ٢٠٠٠. ومجلد ٣٤، عدد ١، سنة ٢٠٠٥، والمجلد ٢١/ العدد ١ يوليو أغسطس، سبتمبر ١٩٩١.
- الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ؟، عدد ٤٠٧، آذار سنة ٢٠٠٥. وعدد ٤٠٧ آذار ، ٢٠٠٥ .
- الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت، عدد ٩٩، سنة ٢١، شتاء ٢٠٠٠.
- الفكر العربي المعاصر، عدد ١٨–١٩، سنة ١٩٨٢، لبنان و ٦٠–٦١ سنة ١٩٨٩.
- فكر ونقد، عدد سبتمبر، ١٩٩٧.
- فصول، مجلد ١٦، عدد ٠١، ١٩٩٧، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر. والعدد الخاص بالأسلوبية، القاهرة ١٩٨٤، مجلد ٠٥، عدد ١. والمجلد ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٨١. والعدد ٦٢، سنة ٢٠٠٣.

- الفلسفة العربية، مجلد ٢، عدد١، يونيو ١٩٩٢.
- الكاتب العربي، اتحاد الكتاب العرب، سوريا.
- كتابات معاصرة، عدد ٥٨، سنة ٢٠٠٥.
- اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، عدد ١٢، ١٩٩٧ والعدد ١٥. وعدد ١٧، جانفي ٢٠٠٦، وعدد ١٢، ديسمبر ١٩٩٧.
- اللسانيات واللغة العربية، مخبر اللسانيات واللغة العربية بجامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، العدد الرابع، ديسمبر ٢٠٠٧.
- العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، خريف، سنة ١٩٨٩.
- علوم اللغة، تصدر عن دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
- علامات في النقد، نادي جدة الأدبي، جزء ٢٠، مجلد ٥، ١٩٩٦، وعدد ٢٢، مجلد ٦، ديسمبر سنة ١٩٩٦.
- المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، عدد ٧٣، شتاء ٢٠٠١. والعدد ١٠٧، سنة ٢٧، صيف ٢٠٠٩.
- ملتقى غازي، في أنماط النصوص، الأبنية السردية والتأويل، اللجنة الثقافية، سراس للنشر، تونس، ٢٠٠١.
- مجلة المعرفة السورية، وزارة الثقافة، دمشق، عدد ٤٥١، سنة ٢٠٠١.
- ندوات جامعة منوبة، مجلد ٠٨، سنة ١٩٩٢.
- ملتقى السيميائية والنص الأدبي، أبحاث منشورة، معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة باجي مختار، عنابة- الجزائر، ١٧ مايو سنة ١٩٩٥.
- المناظرة، مجلة مغربية، عدد٤، سنة٢، ماي، سنة ١٩٩١.
- نزوى، سلطنة عمان، عدد٢٤، أكتوبر، سنة ٢٠٠٠.

ثبت المصطلحات

أولاً: عربي – إنجليزي – فرنسي

أ

عربي	English	Français
أحكام المحادثة	Coversational Maximes	Conversationnelles Insertion
افتراض مسبق	Presupposed	Présupposé
أفعال الحكم	Verdictives	Actes verdictifs
أفعال السلوك	Behabitives	Actes comportatifs
أفعال العرض	Expositives	Actes expositifs
الأفعال الكلامية المباشرة	Direct speech act	Actes de parole direct
الأفعال الكلامية غير المباشرة	Indirect speech act	Actes de parole indirecte
أفعال الوعد	Commissives	Actes promissifs
الأقوال المضمرة	Implicatures	Sous entendus

ت

عربي	English	Français
تداولية	Pragmatics	Pragmatique

تواصل / تبليغ	Communication	Communication

ح

الحجاج	Argumentation	Argumentation
حوار	Dialogue	Dialogue

خ

الخطاب	Discourse	Discours

د

دلالة	Meaning	Signification

س

سياق	Context	Context
سياق النص / النص المصاحب	Cotexte	Cotexte

ط

الطلب	Request	Demande

ع

العلاقة	Relation	Relation

غ

الغرض / الغاية الكلامية	Illocutionary point	But illocutionnaire

ف

الفعل	Act	Acte
الفعل التأثيري	Perlocutionnary act	Acte pérlocuyoire
الفعل الكلامي	Illocutionnary act	Acte Illocutoire

ق

قرائن الحجاج		Connecteurs argymentatifs
القصد	Intention	Intention
قوانين الخطاب	Discourse rules	Lois de discours
القوة الكلامية	IIIlocutionary force	Force Illocutionnaire

ك

الكلام الصريح	Explicite utterance	Enoncés explicites
الكلام الضمني	Implicites utterance	Enoncés implicites
الكلام الإنشائي	Performatives utterance	Enoncés performatifs
الكمية (مبدأ)	Quantité	Quantité

م

المتخاطبون	Interlocutors	Interlocuteurs
المحادثة	Conversation	Conversation
المعنى	Sense	Sens
مونولوج	Monologue	Monologue

و

الوظيفة التعبيرية	Expressive function	Function expressive
وضعية	Position	Position position

ثانياً: فرنسي – إنجليزي – عربي

A

Français	English	عربي
acte	Act	الفعل
Act illocutoire	Illoctionnary act	الفعل الكلامي
Actes perlocutoires	Perlocutionnary act	الفعل التأثيري
Actes comportatifs	Behabitive	أفعال السلوك
Acte de parole direct	Direct speech act	الأفعال الكلامية المباشرة
Acte de parole indirect	Indirect speech act	الأفعال الكلامية غير المباشرة
Actes actualisation	Commissives	أفعال الوعد
Actes verdictifs	Verdictives	أفعال الحكم
Antériorité	Anteriority	القبلية
Anticipatoin	Anticipatoin	التوقع
Argumentation	Argumentation	الحجاج

C

Français	English	عربي
Code	Code	الوضع
Communication	Communication	التواصل/ التبليغ
Conditions d’emploi	Use conditions	شروط الاستعمال
Conditions de réussite	Felicity conditions	شروط النجاح
Contexte	Context	السياق
Conversation	Conversation	المحادثة
Cotexte	Cotext	سياق النص

D

Demande	Request	الطلب
Dialogue	Dialogue	الحوار
Discours	Discours	الخطاب

E

Enoncé	Utterance	الكلام، الحديث
Enoncé performatif	Performative utterance	الكلام الإنشائي
Enoncés implicites enonciation	Implicit utterances utterance	الكلام الضمني الحديث

F

Fonction phatique	Phatic function	الوظيفة الانفعالية
Fonction poétique	Poetic function	الوظيفة الشعرية
Force illocutionnaire	Lllocutionnnary force	القوة الكلامية

I

Intension	Intention	القصد

L

Lois du discours	Discourse rules	قوانين الخطاب

M

Maximes	Conversational	أحكام المحادثة

P

Pragmatique	Pragmatics	تداولية
Présupposée	Presupposed	افتراض مسبق

Q

Quantité	Quantity	مبدأ الكمية

R

العلاقة	Relation	Relation

S

المعنى	Sense	Sens
الدلالة	Meaning	Signification
الأقوال المضمرة	Implicatures	Sous entendus

كشاف الأسماء

أ

ر

ز

س

ش

ط

ع

غ

ف

كشاف الموضوعات